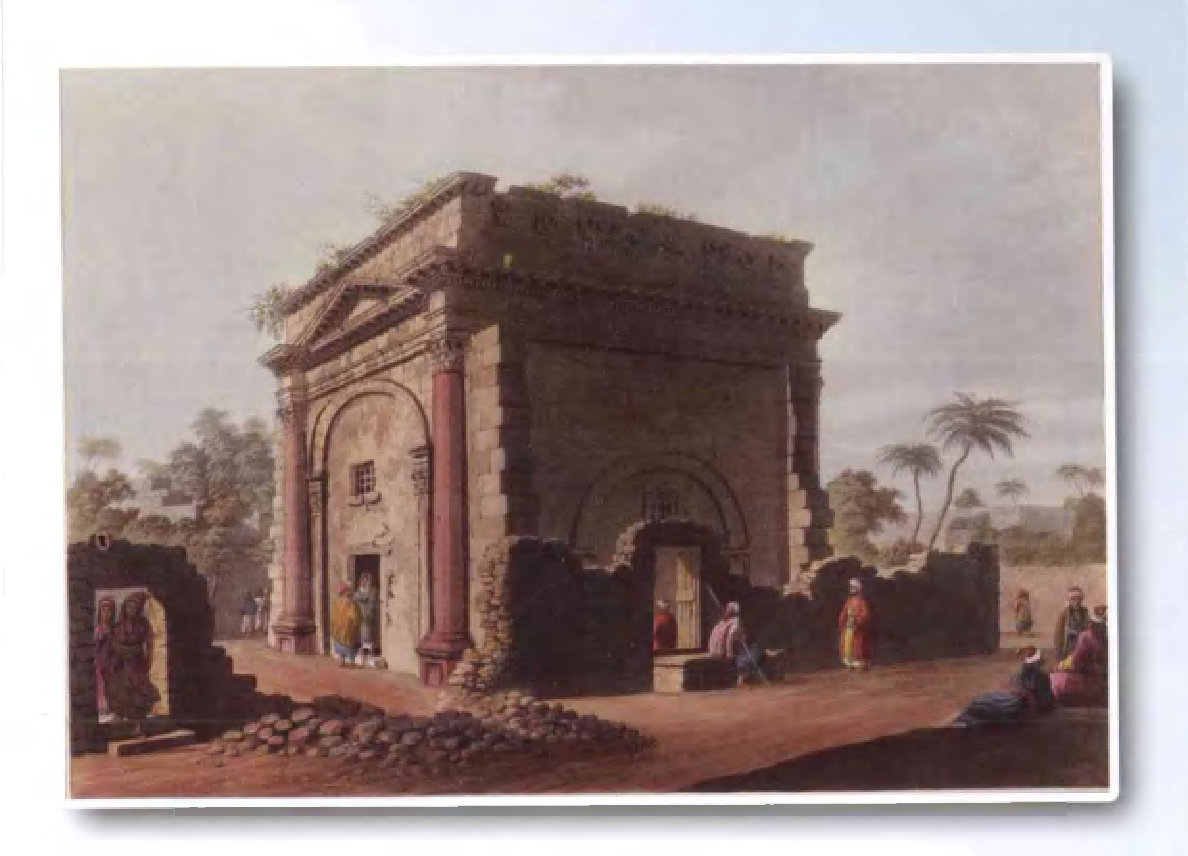
وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

موضوعات تاريخية عن اللاذقية



د. خالد فتّاحي

موضوعات تاريخية

عن اللاذقية

لوحة الغلاف
للرسام الإيطالي
لويجي ماير

إحياء التراث العربي ونشره

موضوعات تاريخية
عن اللاذقية

د. خالد فتّاحي

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١٩م

موضوعات تاريخية عن اللاذقية / خالد فتاحي.- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٩م.- ٢٦٤ص؛ ٢٥سم.- (إحياء التراث العربي ونشره).

١- ٩٥٦,١٥١ ف ت ا م ٢ – العنوان ٣- فتاحي ٤ – السلسلة

مكتبة الأسد

مُقَدِّمَة

هذه الموضوعات بعناوينها المختلفة هي مساهمة بسيطة لتسليط الضوء على نقاط متعلقة بتاريخ مدينة اللاذقية.

لقد ظهرت مؤلفات ودراسات تاريخية متعددة عن تاريخ مدينة اللاذقية قام بها العديد من الكتّاب الذين أغنوا بكتاباتهم هذا الموضوع درساً وتمحيصاً من جميع الجوانب، نذكر منهم السادة الأفاضل مع حفظ الألقاب:

إلياس صالح - رفيق التميمي - محمد بهجت - يوسف الحكيم - جبرائيل سعادة - ياسر صاري- خضر عمران - زهير غريب - غيد إلياس بيطار - علي الخليل - سامر منا - مضر كنعان - هاني ودح.

وساهم كل منهم بشكل ما كثيراً أو قليلاً بإعطاء معلومات قيمة عن هذه المدينة الساحلية. وكوّنت مجمل أعمالهم هذه لوحةً لاذقانيةً واضحة المعالم عن هذه المدينة. لم أشر هنا لذكر الباحثين الآخرين الذين كتبوا بشكل رائع عن أوغاريت ومدن الساحل السوري القديمة الأخرى، كما لم أتطرق لذكر العديد من الباحثين الذين يكتبون بوسائل التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) عن موضوعات متفرقة جميلة وشائقة عن الحياة والعادات والتقاليد في مدينة اللاذقية.

إن مشاركتي في عمل لجنة الدراسات التاريخية والأثرية في مديرية أوقاف اللاذقية، منذ عام ٢٠١٢، والجو العلمي السائد فيها، كل ذلك

حفّزني على كتابة موضوعات متنوعة مستقلة بعضها عن بعض، وبفترات زمنية متباعدة.

وقد اتبعت المنهج الوصفي العلمي في البحث قدر الإمكان. هذا بالإضافة إلى محاولتي إبعاد الكتابة عن الجفاف بذكر بعض الأشعار، أو الأخبار الطريفة المتعلقة بالموضوع. وذلك ليجد القارئ بعض المتعة فيما يقرأ. كما هو الأمر في موضوع الزلازل.

واعتمدت على المصادر التي كتبها المؤرخون الذين عايشوا أحداث الزلازل، أو كانوا الأقرب زمناً لحدوثها، مما يعطيها المزيد من المصداقية، هذا مع إيراد أبيات من الشعر معبرةً عن معاناة الناس من هذه الحوادث.

أما في الحديث عن نهاية أوغاريت، فتم استعراض الفرضيات السابقة. ثم اقترحْتُ فرضيةً جديدةً أكثر منطقيةً عن نهاية أوغاريت، بناءً على معطياتٍ واقعيةٍ.

لأنتقل بعدها إلى الكلام عن قلعة اللاذقية، فبدأت بعرض تاريخي لفتح المدينة، ثم قُمْتُ بدراسةٍ ميدانيةٍ واقعيةٍ لمنطقة الحدث والمواقع الميدانية الأخرى وذلك لإثارة مخيلة القارئ، فكأنه يشاهد شريطاً متحركاً لهذه الأحداث.

وكذلك الأمر فعلته في الحديث عن الأعمدة الرومانية التي كانت تزيِّن المدينة لكثرتها، ولم يبقَ منها إلاّ النَّزْر اليسير، الذي يذكرنا بماضي المدينة الجميل.

ثم عرضت ما كان قائماً في ذلك الزمان، فيما يخص المياه والصناعات اليدوية والحرفية ودور السينما، التي كان لها دور اجتماعي في تسلية الناس لفترة نصف قرن من الزمن، ولا يزال.

وتم عرض لوحات استشراقية جميلة للمدينة لرسَّامين غربيِّين عالميِّين في ذلك الزمان.

وعرضت أيضاً مخططات لأحياء المدينة القديمة مع صور لبعض الأماكن قبل اندثارها .

وتداخل الأماكن الجديدة مع القديمة، مما يعطي فكرة عن التمدد العمراني لهذه المدينة.

إن إنجاز أي موضوع هو نتيجة تضافر سواعد وجهود العديد من القوى لإنجاز هذا العمل. وهناك شعار جميل يعبر عن ذلك رأيت فيه فلسفة للحياة، معلق على لوحة في كلية الآداب – جامعة تشرين- يقول (أنا وأنت نبني هذا البلد). وهذا صحيح، لأنه لا أنا وحدي ولا أنت وحدك تستطيع بناء البلد، وإنما جميع الأيادي الخيِّرة والبنَّاءة مجتمعةً تستطيع ذلك.

وبلاد الشام غنيةٌ بكل شيء منذ أمد التاريخ، وهي عبارة عن لوحة جميلة من الفسيفساء متعددة الألوان ومتناسقة الأحجار مثل تنوع طبيعتها وسكانها. ونزع أي حجر منها يشوه منظر اللوحة الجميل المتكامل. فهي كالشمس عندما تسطع، فإنها تمنح النور والدفء والحرارة للأشجار والبحار والكائنات والبشر بمختلف ألوانهم وأعراقهم وعاداتهم ومعتقداتهم. هذا التنوع يعطي الحياة رونقها وطعمها ونكهتها. ولا يستطيع أحد أو جماعة احتكار واستئثار نور الشمس وحده وحجبها عن الآخرين. وكذلك هي بلاد الشام تعطي الدفء لجميع سكانها وبناة حضارتها باختلاف لغاتهم ومذاهبهم وتقاليدهم وعاداتهم وأعيادهم.

من الملاحظ أنَّ ما تفقده مكتباتنا هو موسوعة شاملة عالمية من آثار بلاد الشام الموجودة والمتوزعة في العديد من متاحف العالم، مثل متحف اللوفر والمتحف البريطاني وواشنطن وبترسبورغ والفاتيكان وإستانبول ومدريد وبرلين وغيرها .

فهناك صور قليلة ومتفرقة عن آثار بلادنا الآشورية والنبطية والتدمرية والرومانية والبيزنطية والأموية والعباسية والمملوكية والعثمانية. والمطلوب حصر جميع هذا التراث والآثار والتعريف بكل أثر وشرحه بإيجاز في عصوره ومحتواه ومكان العثور عليه ومصدره وتاريخ وصوله لذلك المتحف. وهذا ما يريده الباحثون. ولا بد من القيام بهذا العمل. وهذا يحتاج إلى إمكانات مالية كبيرة وجهود جبَّارة لإنجاز هذا العمل في مجلدات ضخمة. وبعد إصدار هذه الموسوعة الكبيرة واطلاع القارئ والباحث على هذا الكم الهائل من آثار حضارة بلادنا ،سيصاب بصدمة قوية لحجم هذه الثروات الأثرية المتوزعة في متاحف العالم، ويدرك مدى النهب والسلب الذي تعرضت له هذه الآثار ومعظمها تم بطرق غير شرعية عن طريق مهربي الآثار وتجَّارها .وبعد إصدار هذه الموسوعة الضخمة باللغة العربية، يمكن إصدارها بلغات أجنبية ليتعرفها العالم أجمع، وتصبح هذه المعلومات ملكاً للإنسانية جمعاء.

أما المخطوطات العربية الموزعة في مئات من المكتبات العامة والخاصة فالعديد من هذه المخطوطات لم تفتح ولم يعرف محتواها . فيكفي حالياً معرفة عناوينها ومختصر عن محتوى كل مخطوط، لينتقي منها الباحث الموضوع الذي يهمه. وتوضع هذه المعلومات تحت تصرف الباحثين والمهتمين كل حسب اختصاصه.

وأخيراً أقترح إعادة إنشاء مدينة اللاذقية القديمة بأسوارها وقلعتها وشوارعها وأسواقها ومعابدها وملاعبها وبواباتها كما كانت أيام الرومان والبيزنطيين وبداية العهد العربي. وذلك عن طريق رسمها بمخططات ثلاثية الأبعاد يقوم بها مهندس أو مجموعة من المهندسين المتحمسين لهذا العمل. والخطوة التي تلي ذلك هي صنع ماكيت (نموذج مصغر من الكرتون أو الخشب) لهذه المدينة كما كانت في الماضي البعيد وحسب المخطط السابق. ويوضع هذا الماكيت في صالة مبنى المديرية العامة للآثار والمتاحف في اللاذقية ليطّلع عليها الزوار. وهي مهمة هذه المديرية لإنجاز هذا العمل. فهي تغني الزائر العادي عن حضور المحاضرات والشرح التفصيلي لكل الصور بجهاز الإسقاط.

ومن الأعمال الجميلة لإبراز المعالم التاريخية لمدينة اللاذقية والجديرة بالاهتمام أن تقوم بلدية اللاذقية بالتعاون مع وزارة السياحة باستملاك العقار الذي تقوم عليه الأعمدة الرومانية الاثنا عشر في شارع الغافقي بعد دفع التعويضات العادلة لأصحاب محلات بيع الفراريج، ونقلهم إلى مكان آخر.

تلك الأعمدة المتناسقة الطول والبعد فيما بينها والموصوفة باستقامة نسقها الذي يحدد معالم الطريق الروماني القديم للمدينة.

لتعود هذه الأعمدة شامخةً في مكانها كما كانت منذ أكثر من ألفي عام، وذلك بإزالة الأبنية الطفيلية حول النصف العلوي البارز منها فوق الطريق، وإزالة الأتربة عن النصف الآخر المدفون في الأرض حتى الوصول إلى قاعدتها التي أقيمت عليها منذ ذلك الزمن، وهي على عمق نحو ثلاثة

أمتار من مستوى الشارع الحالي. وإحاطة المنطقة بسلسلة حديدية حول مسار هذه الأعمدة لحماية المارة من جهة ولإبراز جمال هذه الأعمدة مع الرواق التابع لها من جهة أخرى. ويبرز في نفس الوقت خان الحنطة بجماله كما كان في الماضي، ويمكن تحويله إلى متحف تراثي أو مركز ثقافي، فتصبح هذه المنطقة معلماً سياحياً رائعاً يضاهي قوس النصر في المدينة.

ويتوج هذه الآثار العظيمة والحضارة العريقة في بلادنا القيم الأخلاقية والروحية. فبلادنا المهد التاريخي للحضارة الإنسانية، ومنها انتشرت في أرجاء المعمورة.

لو بحثنا بتجرد وبشكل علمي وحيادي في تاريخنا لوجدنا أن الكثير من هذه القيم المتداولة حالياً التي يتغنى بها البعض قد سبقنا بها الآخرين وخاصة الغرب، فمنظمة حقوق الإنسان التي أقرتها الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية في منتصف القرن العشرين لتدافع عن حقوق الإنسان تذكرنا بقول عمر بن الخطاب المدوي منذ أكثر من ألف عام: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) بعد أن تلقى شكوى من مواطنٍ بسيطٍ اعتدى عليه ابن حاكم مصر دون وجه حق، ولم تنصفه السلطة هناك، وهي قصة معروفة. هذا القول الشهير الذي لا تزال تتردد أصداؤه حتى الآن، يجب أن يعتمد شعاراً لمنظمة حقوق الإنسان العربية.

فعندما يشعر المواطن بالعدل والمساواة ، وبمبدأ تكافؤ الفرص لجميع المواطنين على السواء، يصبح لدينا مجتمعٌ متماسكٌ قويٌ. الروابط الأسرية والاجتماعية عندنا أقوى منها في المجتمعات الغربية، فاحترام الأكبر سناً وحسن التعامل مع الأهل والجيران وجميع الناس وزيارة المرضى والرأفة

بالحيوان واحترام المرأة والتواضع والنظافة الشخصية وحسن التصرف عند تناول الطعام وغيرها . يمكن الكتابة عن هذه الموضوعات بإسهاب وبأسلوب حديث وإدخالها في المناهج الدراسية. كنا في الماضي نقرأ في الصفوف الابتدائية عن الوفاء في قصة وفاء السموءل، وعن الكرم في قصة حاتم الطائي. ونحن نذكر هذين الاسمين لشهرتهما بين الناس، علماً أن هناك المئات من القصص في مجتمعنا تفوقُهما وفاءً وكرماً.

وأخيراً أتمنى أن أكون إلى حد ما قد سلَّطت الضوء على بعض المعلومات التاريخية، وأن أكون قد وفقت بذلك.

والله الموفق

١/ ٣/ ٢٠١٧

نهاية أوغاريت وقارة أطلنطس

أيّ علاقة تربط أوغاريت بقارة أطلنطس الغارقة؟

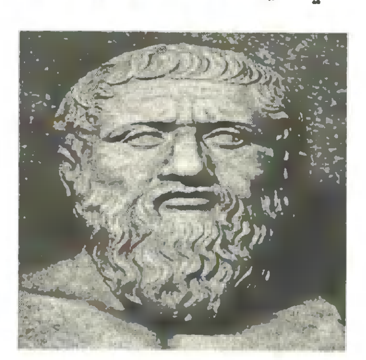
إن أول من أشار إلى وجود قارة أطلنطس هو أفلاطون[1]، (٣٤٧-٤٢٧ ق.م) الذي عاش بعد هلاك قارة أطلنطس بألف عام، وقد كتب أفلاطون أعماله الرئيسة، التي أعطاها صيغة فنية راقية تمثلت في حوارات. وكان أفلاطون قد عرض حكاية أطلنطس في حوار «ثيمييوس» و«كريتيوس». وكريتيوس عم أفلاطون، وهو شخصية سياسية بارزة. وفي هذا الحوار عرض أفلاطون رؤاه الفيزيائية وأفكاره عن خلق الكون، ومفهوم المكان، وغيرها من الأفكار. وفي هذا الحوار أيضاً يذكر أن كهنة مصر رووا لـ «سولون»[2]، عن قارة أطلنطس. و«سولون» هو المشرّع اليوناني الكبير، وهو أحد أجداد أفلاطون من جهة أمه. وكان قد بلغ السادسة والستين من العمر عام ٥٧٢ ق. م عندما اعتزل منصبه، بعد أن ظل «أركوناً لمدة خمسة وعشرين عاماً، فآثر الحياة الخاصة، إذ سافر إلى مصر ليطّلع على حضارتها، ودرس التاريخ في

(١) أفلاطون (٤٣٠-٣٤٧ ق.م) من مشاهير فلاسفة اليونان، تلميذ (سقراط) ومعلم (أرسطو)، من مؤلفاته (الجمهوريّة) أو(السّياسة)، و(المحاورات: كريتون، وفيدون، وتيمِه، والوليمة، و(الشرائع). انظرْ: المنجد في الأدب والعلوم، فردينال توتل، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ١٩٥٦م / ٢٨.

(٢) سولون (٦٤٠-٥٥٨ ق.م): مشرِّع يوناني، أحد حكماء اليونان السّبعة، وضع لبلاده قوانين كثيرة حرَّرتها من قيود كثيرةٍ. انظرْ: المنجد في الأدب والعلوم، فردينال توتل / ٢٧٣.

هليوبوليس (عين شمس) على يد كهنة مصر، ويقال: إنه سمع منهم عن أطلنطس القارة الغارقة، التي قص قصتها في ملحمة لم يتمها، فافتتن بهذه القصة أفلاطون الواسع الخيال بعد مئتي عام من كتابتها(١).

وقال أفلاطون في معرض حديثه عن أطلنطس: إن هذه القارة تقع في المحيط الأطلسي وراء أعمدة هيركوليس، وهو الاسم القديم لجبل طارق. ووصفها وصفاً يكاد يكون دقيقاً ومقنعاً في الوقت نفسه. وقال: إنها ذات حضارة متقدمة في جميع النواحي الصناعية والزراعية، وهي قلب إمبراطورية عظيمة، فيها العديد من السُّكَّان، ومدنها ذات سقوف ذهبية، وكانت تمتلك أساطيل بحريةً ضخمةً، وجيوشاً جرَّارةً مستعدّة للغزو أو لفتح بلدان أخرى، وإن هذه الجزيرة كانت أكبر من ليبيا وآسيا الصغرى معاً. ويصفها أفلاطون بأنها جنَّة الأرض، فيها الجبال العالية، والسهول الخصبة، وأنهار صالحة لعبور السفن، وفيها مخزون معدني كبير، وسكانها ذوو نشاط وحيوية(٢).



سولون المشرّع اليوناني الكبير

---

(١) ول ديورانت، قصَّة الحضارة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج ٦ ص ٢١٩.

(٢) الفردوس المفقود: لغز (أطلنطس)، ترجمة إسماعيل اليوسف، دار الكتاب العربي، دمشق، سورية، ١٩٨٧م - ص ٤.

ويصف أفلاطون الجزيرة بفوهة بركان ضخم قديم كالتالي:

«يقولون: إن هذه المنطقة كلها كانت عاليةً جداً، وتنحدر انحداراً شديداً من جهة البحر، ومع ذلك إن السهل المستوي والمنبسط يطوق المدينة، والسهل تطوقه الجبال من جهاته كلها.

وتضيف هذه القصة أنه كان في وسط أطلنطس جبل صغير يُشبَّه كثيراً بمخروط بركان جديد يتوضع في وسط بركان كبير قديم متهدم، وكانت ينابيع حارةً، وأخرى باردةً، تدل على المنشأ البركاني للجزيرة[1].

هذه الإمبراطورية العظيمة اختفت في يوم وليلة وغاصت تحت مياه البحر!

ولكن عالم الآثار اليوناني الدكتور (كلانوبولس) له رأي آخر، فيقول: «لقد أمكن تعيين موقع عاصمة أطلنطس، فهي بجوار جزيرة «ثيرا» - أي سانتورين - في بحر إيجة، وهذه الجزيرة على بعد نحو ٢١٥كم جنوب شرق مدينة أثينا، وعلى مسافة ١١٠كم شمال جزيرة كريت. وقد شوهدت المباني بعضها فوق بعض تحت الماء، كما شوهدت قلعة «بوسيدون» تماماً كما وصفها أفلاطون، وهي إلى الشمال من الشُّعَب الناتئة لجزيرة «ثيرا»، تمتد إلى الغرب من الجزء الشرقي للجزيرة. وقد شوهدت بعض الآثار والبيوت المتهدمة تحت الماء في هذا الخليج على عمق «١٢٠» قدماً». ويقول (لويس سبنس) عالم إسكتلندي متخصص في الميثولوجيا:

«إنَّه يمكن أن تكون هناك قارتان باسم أطلنطس وليست واحدةً، فما المانع من وجود حضارات أخرى مزدهرة في أماكن متباعدة في جزر المحيط الأطلسي بعد أعمدة هرقل».

---

(١) س. بريو شينكين، أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة، ٢٠١٠م.

لقد بيّنت أبحاث العلماء في الوقت الحاضر أن (أطلنطس أفلاطون) هي على الأرجح جزيرة سانتورين التي كانت تقوم على فوهة بركانها الخامد منذ (٢٠,٠٠٠) عام. مدينة وصل عدد سكانها إلى ٣٠ ألف نسمة. وكانت هذه المدينة واحدةً من المراكز المهمة في الدولة الكريتية المينوية التي كانت تسيطر على البحر المتوسط.

فهل حدث ارتباك جغرافي لدى أفلاطون أو لدى المصادر التي أخذت عنه ؟

إن ذلك محتمل جداً إذا أخذنا بعين الاعتبار الزمن الذي عاش فيه أفلاطون، وحدّد فيه موقع قارة أطلنطس في المحيط الأطلسي.

وقبل غرق قارة أطلنطس وقبل وقوع الكارثة بـ ٣٠٠ عام ؛ أخذت الهزات الأرضية تتكرر أكثر فأكثر، وفي نحو عام ١٤٠٠ ق.م وقعت الكارثة، فتناثرت في الهواء عشرات الكيلو مترات المكعبة من الغبار، وانطلقت من مختلف جهات «سانتورين» أمواج صدم صوتية صادرة عن الانفجار سرعتها ١٠٠٠كم/ ساعة، وبعد فترةٍ قليلة انطلقت وراءها أمواج «تسونامي» المدمرة بسرعة ٣٥٠كم/ في الساعة. وأخيراً تحركت ببطء آخر موجات الدمار بسحابة الغبار، فقطعت مساحات هائلة» من اليابسة، جاعلة منها أرجاء غير قابلة للحياة. وتُقدَّر الطاقة التي ولدها انفجار «سانتورين» بما يعادل ٢٠٠,٠٠٠ قنبلةٍ ذريةٍ من تلك التي ألقاها الأميركيون على هيروشيما! (قوة قنبلة هيروشيما ١٣٠٠٠ طن من مادة ت ن ت). وتعد هذه أعظم الكوارث التي حلَّت بالأرض على مدى التاريخ البشري المعروف كله. ونتيجة لتلك الكارثة دُمِّرت واحدةٌ من أكبر حضارات البحر المتوسط والأقاليم المجاورة؛ وهي الحضارة التي دعاها «توينبي» بالحضارة الكريتية المينوية.

لقد عُثر في جزيرة «أناتي» الواقعة على بعد ٢٥كم شرقي جزيرة «سانتورين» في أعالي أحد الأودية؛ الذي يرتفع ٢٥٠م عن سطح البحر، عُثِر على طبقةٍ من «التيغرا»، سماكتها ٥م. وحسب رأي العلماء هذه «التيغرا» تكونت في البحر في أثناء ثورة بركان «سانتورين»، ثم حملتها إلى اليابسة موجة تسونامي بعد انهيار تجويف البركان[1].

«التسونامي» أمواج بحرية تعد الأعنف والأكثر تدميراً للمناطق الساحلية التي تتعرض لها. وهي ليست كالأمواج العادية التي تنتج عن حركة الرياح، وليست كالطغيان المائي الموجيّ الذي تسببه الأعاصير المدارية عند بلوغها السواحل، فالتسونامي تُعرف بأمواج البحر الزلزالية.

«تسونامي» مصطلح ياباني مركب من كلمتين «تسو» وتعني ميناء؛ و«نامي» وتعني موجة.

الأمواج الناتجة عن الرياح تميل للتكسر على الشاطئ، والفترة الزمنية بين الموجة والأخرى عموماً بضع ثوانٍ، وطولها عشرات الأمتار. بينما في الأمواج التسونامية الناتجة عن الزلازل؛ إنَّ الفترة بين الموجة والأخرى من ٢٠ دقيقة إلى عدة ساعات. وطول الموجة يمكن أن يصل إلى مئات الكيلومترات، وسرعة الموجة تتراوح بين (٧٠٠-١١٠٠)كم/ ساعة. ويعتمد طول الموجة وسرعتها على عدة عوامل؛ فعند اقتراب التسونامي من خط الشاطئ سرعته تتناقص ككل الأمواج، بسبب ارتفاع قاع البحر للأعلى تدريجياً، وطول أمواجه تنضغط، أي تقل طولاً، وكمية الطاقة الكبيرة المختزنة في الأمواج الطويلة تتحول إلى زيادة في ارتفاع الأمواج، وتعاظم في اضطرابها.

---

(١) س. بريو شينكين، أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة، ٢٠١٠م ص ١٠٣.

وقد تصل قمة الموجة في المياه الضحلة في بعض الحالات إلى ٣٠ متراً. وتعمل الخلجان والثغرات البحرية ومراكز الخلجان الصغيرة على تضخيم (زيادة) في الطاقة والقوة للتسونامي. ويكون الحائط الواسع من مياه البحر؛ الذي يبلغ وزنه بلايين الأطنان قوة تخريب وتدمير هائلة عندما يتحطم على خط اليابسة الساحلي.

-«تسونامي» المحيط الهندي الذي حدث بجوار جزيرة «سومطرة» الإندونيسية في يوم ٢٦ كانون الأول ٢٠٠٤م الذي شاهدنا بعض آثاره على شاشة التلفاز، كان من نتائجه مقتل نحو ٣٥٠ ألف شخص. وقد وصلت أمواجه إلى الصومال التي تبعد عن مركز الزلزال البحري نحو ٢٥٠٠كم، وأودت بحياة مئة شخصٍ، منهم ما لا يقلُّ عن أربعين سائحاً أجنبياً، وآلاف المصابين نقلوا إلى المشافي، وكانت الخسائر المادية كبيرةً جداً، وغمرت المياه قرى بأكملها. وبلغ عدد موجات التسونامي خمس موجات متلاحقة، بارتفاعات متفاوتة (٢-٤-٨-١٦-٣٠)متراً، وكان المد الأعظمي هو الخامس ٣٠ متراً[1].

يعتبر بركان (ثيرا) سانتوريني واحداً من أعنف البراكين التي عرفتها الحضارة، وهو مرتبط بتاريخ البشرية في منطقة البحر المتوسط، من خلال المينويين الذين يمثلون الحضارة الأولى في المنطقة التي نشأت في «كريت» وغيرها من الجزر المجاورة.بيد أن هذه الحضارة اختفت فجأة قبل الميلاد بنحو ١٤٠٠ عام. ثمة قرائن تدل على ذلك، ولقد ظهر الخيط الأول المؤيِّد لتلك القرائن عند حفر قناة السويس من عام ١٨٥٩ إلى ١٨٦٩م، لكي تربط بين البحر المتوسط والبحر الأحمر. فقد أخذ المهندسون القائمون على المشروع طبقةً

---

(١) التسونامي – الأدب العلمي العدد ٢٦ – أ. د. علي حسن موسى.

كثيفةً من الرماد البركاني الموجود على جزيرة ثيرا (سانتوريني) لاستخدامها في تصنيع الإسمنت اللازم للمشروع، لكنهم اكتشفوا تحت طبقة الرماد تلك آثار حضارةٍ تعود إلى ما قبل حضارة الإغريق. وقد حُدِّدت مؤخراً فترتها بنحو ١٤١٠ ق.م[1].

- لقد تساقط معظم الرماد الناتج عن انفجارات بركان (سانتوريني) في البحر، وعليه تكون العينات المأخوذة من قاع البحر في المنطقة المحيطة إحدى الحلقات المهمة في هذا الموضوع. وباستخدام القياس الإشعاعي للكربون في المنطقة المحيطة بـ (سانتوريني) استطاع العلماء من خلاله تقدير تاريخ ذلك الرماد بنحو عام ١٤١٠ق.م. إنَّ انفجاراً لبركان من نوع (سانتوريني) قد يقذف إلى الجو بكميات هائلة من الرماد والكتل الصخرية، وقد تغطي سحب الرماد والصخور المنطقة المحيطة بالبركان بستار من الظلام. ففي بركان جزيرة (كراكاتوا) الإندونيسية الذي انفجر في عام ١٨٨٣م، غمر المنطقة ظلام دامس استمر يوماً كاملاً، وامتد لمسافة بلغت ٢٠٠كم، وكانت قوة الانفجار تسمع على بعد مئات الكيلومترات. وبغضِّ النظر عن التأثير التدميري الذي أحدثته فوهات (سانتوريني) المتعددة التي تركت بصمتها على المنطقة الشرقية للبحر المتوسط ؛ من المؤكد أن الانفجار العنيف أدى إلى عاصفةٍ موجيةٍ (تسونامي) هائلةٍ.

-إن الانفجار الشديد لأحد براكين البحر المتوسط يمكن أن يقترن بالعديد من أحداث التاريخ الإنساني المكتوب، وإن التدمير القريب لمدينة

---

(١) البحر المتوسط – نشأته وتاريخ تطوره – مجلة الفيصل العدد ١٤٨ عام ١٩٨٤ – د. فاروق الباز – د.ميشيل حلبوتي.

(ثيرا) قد يكون خلف قصة أطلنطس، إذ تبدو رواسب الرماد كأنها قد خطت نهاية إحدى الحضارات، وهي الحضارة المينوية، وشجعت على ظهور حضارةٍ جديدةٍ هي الحضارة الإغريقية. وأوغاريت هي أحد مراكز الحضارات المهمَّة هذه على شواطئ البحر المتوسط التي أصابها الدمار.

- ذكرت الرقم الطينية التي عثر عليها في أوغاريت جميع الأمور الحياتية واليومية من بيع وشراء لأراضٍ، أو مواد، أو تبادل تجاريٍّ مع جهات خارجيةٍ، ولم يعثر من بينها على أي ذكر لحدوث هذه الكارثة الكونية الكبرى التي عمت منطقة البحر المتوسط وشملت حتى لبنان ومصر. وهذا يدل على أن أوغاريت كانت قد محيت من الوجود إثر هذا الانفجار. تقع مدينة أوغاريت بالقرب من ساحل البحر المتوسط، وتبعد عنه أقل من كيلومتر واحدٍ، وكانت في الزمن القديم لا تبعد أكثر من ٧٠٠متر عن البحر، وقد طمست جميع معالم الشاطئ القديم[١].

وترتفع عن سطح البحر نحو ٢٢ متراً، وحولها سهول منبسطة واسعة، وعدد سكانها بين (٢٥٠٠-٣٥٠٠) نسمة، وتبعد عن مركز انفجار بركان (ثيرا) نحو ٨٤٠كم، وهي مكشوفة له، وليس لديها أيّ مقومات للصمود ضد الطوفان البحري، فعند حدوث الانفجار البركاني تصدر عنه أمواج صدم صوتية سرعتها ١٠٠٠كم/ الساعة، وربما سمع سكان أوغاريت هدير صوت الانفجار من بعيد، وشخصوا للسماء يستطلعون الأمر. وبعد نحو الساعتين وصلت موجة التسونامي الأولى فاكتسحت الناس والماشية والأشجار وغيرها، وبعد نحو نصف الساعة تلتها الموجه الثانية من التسونامي، وكانت أكثر تدميراً، ثم أعقبتها الموجه الثالثة وكانت أشد فتكاً ودماراً، فانهارت البيوت وأمالت الجدران القائمة وغطتها بالمياه

---

(١) من هنا انطلقت الحضارة. العميد البحري حسين حجازي. ص ٨٣.

والأوحال والأتربة والأحجار، وتوغلت هذه الأمواج نحو ١٠كيلو متر، في الأراضي المنبسطة والمحيطة بالمدينة. وهكذا دمرت حياة الناس والحيوان والنبات تدميراً شاملاً، كما حدث لمدينة (بومبي) في إيطاليا عام ٧٩م، وبقيت مطمورة أيضاً مع سكانها مئات من السنين بعدما فاجأتها الكارثة، وإن كانت الأسباب الأولى مختلفة في الحالتين ولكن النتائج واحدةٌ. ولم يجرؤ سكان المناطق الداخلية على الاقتراب من هذه المدينة المنكوبة والمشؤومة مئات السنين، خوفاً من غضب الآلهة عليهم مرة ثانية. وطمرت أوغاريت بفعل العوامل الطبيعية من رياح وأمطار وأتربة، ونمت عليها الأعشاب مما جعلها تبدو أرضاً زراعية. وغابت أوغاريت عن الأنظار لأكثر من ثلاثة آلاف وثلاثمئة عام تقريباً.

واجتاحت أمواج التسونامي الساحل السوري، ومن ذلك القرية الصغيرة الكنعانية المبنية على تل صخري قرب شاطئ البحر، جنوب حوض الميناء الطبيعي للاذقية، التي كانت تسمى ياريموتا / راميتا / ، وكانت تتبع مملكة أوغاريت. وقد تكرر ذكرها في رسائل تل العمارنة التي كتبت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وعاش سكانها على الصيد البحري والزراعة. وقد عثر في هذا التَل على كسر فخارية تعود إلى ما بين عامي (١٦٠٠–١٢٠٠ق.م). وتعدّ ياريموتا/ راميتا، وتعني (الأرض المرتفعة)، الطفلة الوليدة لمدينة اللاذقية لاحقاً التي لم تعمر طويلاً.

إن أساطير الشعوب القديمة عن صراع الآلهة لم تكن من فراغ، فهي تاريخ عن أحداث طبيعية وكوارث حقيقية، لم يستطع الناس تفسيرها في ذلك الزمان إلا حسب مداركهم ومفاهيمهم. إنَّ ما يحدثه غضب الطبيعة على حياة البشر والشعوب من دمار وخراب خلال ساعات يفوق ما تحدثه الحروب من دمار خلال سنوات وإحدى هذه الأساطير أسطورة هلاك أطلنطس، ولها على أرجح تقدير تفسير معقول تماماً، يقوم على استقصاء انفجار بركان جزيرة

(ثيرا) وأمواج التسونامي التي تلته، وسحابة الغبار والرماد المحرق الذي أثَّر في محيط المنطقة شاملاً شواطئ المتوسط بما فيها أوغاريت. وقد وجدت هذه الظاهرة الكونية انعكاسها أيضاً في بعض الأساطير المصرية زمن السلالة الثامنة عشرة - (١٥٨٠-١٣٥٠ق.م)، التي كتبت في صيغة تنبؤات:«ساد الخراب في كل مكانٍ. تسعة أيام لم يخرج أحد من القصور. كانت هذه الأيام مملوءة بالرزايا والعواصف، لم يستطع أحد إلهاً كان أم بشراً أن يرى وجه الآخر. هذا العواء الذي لا يتوقف. دُمِّرت المدن. مصر العليا أقفرت. الدماء في كلِّ مكانٍ. الطاعون في البلاد كلها»[1].

وتنبئ البرديات الأحدث عهداً بانقطاع الصلات بين سواحل البحر المتوسط وجزيرة كريت.

يقول سفر الخروج: إنَّ ليلاً رهيباً استمر ثلاثة أيام، أفاد منه اليهود الذين كانوا مساجين عند فرعون للهروب. فهل يمكن ربط هذا الحادث بتداعيات انفجار بركان (ثيرا) وتأثيره في أجواء منطقة شرق المتوسط[2]؟!

وتعج أساطير كثير من الشعوب الإغريقية والحثية والبابلية بحوادث الطوفان والكوارث الطبيعية، وأنها صراع بين الآلهة (زيوس) إله الرعد، و(بوسيدون) إله البحار، مع إله العاصفة وإله الشمس وغيرهم من الآلهة.

وهذا هو تفسير الشعوب القديمة لهذه الظواهر الطبيعية. كانت أوغاريت مدينة مزدهرة تعج بالنشاط والحياة الزراعية والصناعية والتجارية والعلاقات مع مدن الجوار.

---

(١) أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة – س. بريو شينكين – ٢٠١٠م، ص ٩٩.
(٢) البحر المتوسط – المجال والتاريخ – فرنان بروديل ص ١٠٠.

ووُضعت فيها أول أبجدية في العالم، ثم غابت عن الوجود فجأةً منذ نحو ٣٣٠٠ عام. إن انبعاث حضارة أوغاريت من جديد بعد هذا الاختفاء الطويل لها وما كانت عليه في الماضي من عراقة وتقدم في شتَّى مجالات الحياة، ألهبت مشاعر الكتاب والمؤرخين والموسيقيين والشعراء، ومن بينهم الشاعر الكبير عمر أبو ريشة، وأورد هنا بعضاً من أبيات قصيدته الجميلة عن أوغاريت:

مالي أراك كئيبة ... النظرات، لم تتبسمي
هذا الذهول ينمُّ عن ... ذاك الجوى المتكتمِ
ويكاد يسأل: مَن أنا ... ويكاد يخذلني فمي !
أنا يا بنة الأمجاد ... مثلك واقفٌ في مأتمي
أنا من بقايا أمةٍ ... هي والعلى من توءَمِ
مرَّتْ على الدنيا مرورَ ... القطرِ بالحقل الظمي
وتناقلتْ آياتِ رحمتها ... شفاهُ الأنجمِ !
ردَّتْ إلى مغناك ... عهدَ ربيعك المتصرمِ
فإذا شممتِ الطيب فهو ... نثيرُ ذاك الموسمِ !
لا تسألي أين انتهتْ ... لا تسألي، تتألمي[1] !

فكيف امَّحَتْ فجأة هذه المدينة ؟ هناك فرضيتان حول هلاكها؟

تقول الفرضية الأولى: إن شعوب البحر كانوا يأتونها من البحر فيهاجمون ويقتلون وينهبون ما استطاعوا ثم يذهبون. وشعوب البحر هي قبائل مختلفة،

---

(١) ديوان عمر أبو ريشة ص ١١٨.

قدمت من مناطق أرخبيل بحر إيجه والبلقان. لم يكونوا بمجملهم قراصنةً، وإنما كان منهم أقوام مهاجرون، وكان من بينهم قبائل وشعوب أصابها القحط، فهاجروا إلى مناطق شرقي المتوسط. ولم تَفِدْ شعوب البحر دفعة واحدةً، بل كانت هجماتهم على مراحل؛ وعلى امتداد ثلاثة قرون من الزمن.

كان لغزوات شعوب البحر نتائج مهمة ومؤثرة في مناطق المشرق العربي القديم، ومن أهمها دمار بعض المدن الفينيقية مثل: كركميش وصيدا وصور وأوغاريت. ويظهر من البقايا الأثرية أن بعض قبائل شعوب البحر قد استقر في موقع ابن هانئ التابع لأوغاريت على الساحل السوري[1].

ويربط (م. ليغيراني) - الذي يقول بهذه الفرضية - بين هلاك أوغاريت؛ وحركة انتقال الشعوب التي حدثت على التخوم، بين العصر البرونزي والعصر الحديدي، غير أنه يؤكد عدم توفر وثائق تسمح باتهام شعوب البحر أنها حطَّمت أوغاريت وأبادتها[2].

وأما الوثائق التي يدرسها (م.أستور) فهي تتحدث عن اشتراك أوغاريت في الحرب على شعوب البحر، ولا تشير إلى هلاك مملكة أوغاريت. إن شعوب البحر نهبت ضواحي أوغاريت، ولكن المدينة نفسها استطاعت أن تصدها، أو أنها عقدت مع زعمائها اتفاقيةً ما.

لو أن هذه الفرضية صحيحة لاستطاع السكان الهاربون من غزو شعوب البحر العودة إليها بعد رجوع الغزاة إلى بلادهم، وأعادوا بناء ما تهدم من جديد.

---

(١) الموسوعة العربية (أوغاريت).

(٢) مجتمع أوغاريت- إ. ش. شيفمان – ترجمة حسان ميخائيل إسحق ١٩٨٨ – دار الأبجدية – دمشق.

الفرضية الثانية: يرى (كلود شيفر) أن أوغاريت هلكت في أعقاب تعرضها لهزة أرضية، ولم تقم للمدينة قائمةٌ بعدها، وأن الألواح التي اكتشفت في فرن الشيِّ هي أهم برهان على صحة هذا الافتراض. فنصوص هذه الألواح تؤكد أن الموت فاجأ أوغاريت لحظة كانت لها علاقات واسعة ومتنوعة مع العالم الخارجي، وعندما كانت تعقد مختلف ضروب الصفقات والعمليات الحسابية. ويجدر أن نشير إلى أن هذه الوثائق لا تشير من قريب أو بعيد إلى وجود أي خطر يهدد أوغاريت. لو كانت هذه الفرضية صحيحة، وكانت نهاية المدينة بسبب زلزال، لانطمر المئات من سكانها تحت الركام، ولاكتشفت هذه العظام بأعداد هائلةٍ في أثناء التنقيب ورفع الركام عن المدينة خلال اكتشافها عام ١٩٢٨م، ولذكرت هذه الأمور في محاضر التنقيب.ليس هناك تاريخ محدد ودقيق حول نهاية أوغاريت وسبب دمارها واندثارها نهائياً، وهي نقطة البحث الأساسية في موضوعنا هذا.

لنستعرض مقتطفات مما ورد في المراجع والكتب حول هذا الموضوع:

- «نحو عام ١١٨٠ ق.م، زالت من الوجود نهائياً مدينة أوغاريت ومملكتها وحضارتها.

وتم ذلك بشكل صاعقٍ، إذ دهمتْها النيران العاتية من كل جانب فقضت على المدينة بكاملها. ولم ينج من هذا المصير المشؤوم أي بناء كان قائماً في المدينة في التاريخ المذكور، وأما آثار الكارثة فتبدو واضحة بشكل خاص في القصر الكبير والقصر الجنوبي، وقد تأكد من خلال التنقيبات الجارية في أوغاريت أن السكان قضوا نحبهم، أو رحلوا إلى الأبد»[1].

---

(١) رأس شمرا : البعثة الفرنسية المنقبة. ترجمة فهمي الدالاتي. ص ٩٦.

- يحدد (كلود شيفر) في جميع مقالاته وكتبه تاريخ الزلزال بـ «١٣٦٥ ق.م»، معتمداً في ذلك على الحفريات التي قام بها، ودراساته في علم الآثار والتاريخ. ويقول:

إنَّ «نقمد الثاني» كان ملك أوغاريت في زمن وقوع الزلازل، وإن الألواح التي اكتشفت في فرن الشي هي أهم برهان على صحة هذا الافتراض. وإن الوثائق لا تشير من قريب أو بعيد إلى وجود أي خطر يهدد أوغاريت. وأخيراً تدل حالة التصدع التي تتصف بها الأبنية التي اكتشفت في رأس شمرة على أن أوغاريت هلكت في أعقاب تعرضها لهزة أرضيةٍ[١].

- كانت أوغاريت في عصرها الذهبي، هذا العصر الذي امتد من ١٤٤٠ ق.م وانتهى عام ١٣٦٠ق.م، بفعل كارثةٍ طبيعيةٍ، وليس بسبب تدخل بشريٍ[٢].

وصل إلى عرش أوغاريت (عمورافي) آخر ملك حكم في أوغاريت عند نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد؛ قبيل غزو شعوب البحر وإحراقها. والدليل المادي على أن هذا الملك قد شهد نهاية المملكة، وخراب المدينة، هو العثور على رقم طينيةٍ خاصةٍ به في الموقد الذي كانت تُشوى به ولم تُستخرج، لأنَّ الكارثة كانت قد وقعت، وسقطت أوغاريت. وأثبتت التنقيبات الأثرية أن المدينة قد أحرقت، وفر منها سكانها إلى الأبد[٣].

---

(١) مجتمع أوغاريت. إ ش. شيفمان، ترجمة : حسان ميخائيل إسحق، ١٩٨٨م، ص ٢٣٣.
أوغاريت – صفية سعادة- ١٩٨٢م، ص٥٤.

(٢) أوغاريت – صفية سعادة- ١٩٨٢م، ص٣٤.

(٣) نصوص من أوغاريت – د. علي أبو عساف – ١٩٨٨ م، ص ١٢.

- يمكن تعيين ما يُسمى بالعصر الذهبي لأوغاريت (من ١٤٤٠-١٣٦٠ق.م) تقريباً، ونحو ١٣٦٠ وضع حريق نهاية لهذه الفترة من الازدهار. يبدو أن أسباب هذا المصاب ناتجةٌ عن حادث طبيعي كهزةٍ أرضيةٍ مثلاً، تسبب عنها حريق أكثر مما حادث عن حملة انتقامية نظمها الحثيون، لأن تصرف أوغاريت بالنسبة للمملكة الحثية يصعب أن يستحق مثل هذا المصير[1].

- وليست جزيرة سانتورين (ثيرا) القديمة في بحر إيجه إلا فوهة بركانية، لم يبق منها إلا نصفها وقد غزا البحر نصفها الآخر، عندما شطرها انفجار رهيب إلى شطرين في نحو ١٤٥٠ق.م. ويقول الخبراء: إن الانفجار كان أقوى بأربع مرات من ذلك الذي فجّر جزيرة (كراكاتو) عام ١٨٨٣م في مضيق (الصوند)[2].

- كان القرن الثاني عشر مظلماً بين القرون المظلمة. ومع القرن الثاني عشر قبل الميلاد يحل ليل بهيم يدوم نصف ألف سنة من السنين. أمّا ما اختفى يوم ذاك فكان الإمبراطورية الحثية في آسيا الصغرى، وكذلك القصور المسينية التي احترقت كلها ودمرت[3].

- وُضعت عدة احتمالات لنهاية هذه المملكة وحضارتها عام ١١٨٠ ق. م، منهم من قال: إن حريقاً هائلاً دمر المدينة، ويبدو أن بعض سكان أوغاريت لقوا حتفهم، وبعضهم الآخر هجروا المدينة دون عودةٍ.

ورأي آخر رجّح أن المدينة أصابها زلزال عنيف خلال فترة (نقمد الثاني)، ويرجح (شيفر) أن تاريخ هذه الهزة هو سنة ١٣٦٥ق.م. والاحتمال الأخير هو

---

(١) رأس شمرا والعهد القديم -إدمون جاكوب -ترجمة جورج كوسى -٢٠٠٧م ص ١٧.
(٢) البحر المتوسط : المجال والتاريخ -فرنان بروديل، ص ١١.
(٣) البحر المتوسط : المجال والتاريخ - فرنان بروديل، ص ٩٩.

أن شعوب البحر هم الذين دمروها ١١٨٠ق.م، وأنا من أنصار ذلك لأن الاكتشافات الأثرية أثبتت صحة ذلك[1].

- وفي عام ١٤٥٠ ق.م التهمت النيران قصر (كنوسس) نفسه، فقد عثر (إيفز) في كل مكان فيه على شواهد دالة على اندلاع اللهب الذي لم يقوَ الأهلون على حصره... مما جعل كثيراً من العلماء يظنون أن هذا الدمار من فعل الغزاة لا من فعل الزلازل، ومهما يكن سبب هذه الكارثة فإن الجزيرة قد أُخذت بها على غرةٍ، وذلك لأن بأماكن الفنانين وحوانيت الصناع شواهد كثيرة على أن أصحابها كانوا منهمكين في أعمالهم حين حل الموت بهم[2].

من المعلوم في إحدى الدول المعروفة المتقدمة أنه عندما تريد هيئة علمية مسؤولة التأكد من صحة موضوع ما، ترسله إلى ثلاثة مراكز أبحاث ودراسات مستقلة بعضها عن بعض، للدراسة والتمحيص وإجراء الاختبارات وإعطاء النتائج.

فإذا جاءت النتائج متطابقة من جهتين ومختلفة عن الجهة الثالثة، يعاد إرسال الموضوع مرة ثانية إليهم لإعادة الدراسة، وإجراء مزيد من البحث والتدقيق ولا تُعتمد النتيجة نهائياً إلا عندما تتطابق نتائج الجهات الثلاث.

وهذا ما يجب عمله عند تحديد تاريخ معين مضى عليه آلاف السنين وخاصة إذا تعرضت المنطقة نفسها لتغيرات طبيعية، وانفجارات متتالية متباعدة زمنياً، والتأكد من أخذ العينات الصحيحة، لأنها عملية في منتهى الدقة والأهمية.

فكثير من الأشياء والأمور المتداولة كأنها حقائق صُحِّحت بعد فترة من الزمن، عندما ظهرت دلائل ومعطيات جديدة تؤيد ذلك.

---

(١) الساحل السوري وعلاقاته الحضارية خلال الألف الثاني قبل الميلاد - ٢٠١٥ م، ص ٢٥.

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت، ج ٥، ص ٤٥.

لو سمحت التواريخ التي يحددها رجال الآثار عن الأحداث الماضية القديمة بالتقديم أو التأخير بحيث تنسجم مع التحاليل العلمية الدقيقة لبقايا تلك الآثار ومخلفات الدمار؛ لتوصلنا إلى تواريخ صحيحة وأدق بكثير مما هو عليه اليوم، وخاصة تواريخ الألف الثاني قبل الميلاد المتعلقة بأوغاريت.

الفرضية الثالثة التي أطرحها الآن في هذه الدراسة حول نهاية أوغاريت:

لا شك أن أوغاريت خلال تاريخها قد تعرضت إلى كثيرٍ من الكوارث والزلازل والحرائق والنهب والدمار من قبل عوامل الطبيعة وشعوب البحر وغيرهم، وجميع هذه الضربات لم تكن قاضية على الحياة في أوغاريت، وأمّا الضربة القاضية والمفاجئة التي أصابتها ومحتها من الوجود فترة طويلة فكانت تداعيات انفجار بركان (ثيرا) وهي أكبر كارثة طبيعية لا في هذه المنطقة فحسب، بل في تاريخ البشرية.

هذا الانفجار الذي بلغت قوته ما يعادل ٢٠٠,٠٠٠ قنبلة ذريةٍ كما أسلفنا، كانت له تداعياته على المنطقة بما فيها أوغاريت من أمواج تسونامي وسحابة الغبار القاتم والرماد الحارق والظلام الدامس الذي استمر أياماً وشهوراً، وغطى منطقة بلاد اليونان والأناضول وشواطئ البحر المتوسط، مما أدى إلى القضاء على الحضارة المسينية والحثية قبل بزوغ الحضارة الإغريقية.

وبرأيي أَن انفجار بركان (ثيرا) قد تسبب في ظاهرة العصور المظلمة التي أشار إليها بعض الباحثين دون معرفة أسبابها. ومنهم على سبيل المثال (فرنان بروديل) في كتابه (البحر المتوسط)، إذ يقول: «كان القرن الثاني عشر مظلماً بين القرون المظلمة. ومع القرن الثاني عشر قبل الميلاد يحل ليل بهيم يدوم نصف

ألف سنة، وأما ما اختفى يوم ذاك فكان الإمبراطورية الحثية في آسيا الصغرى وكذلك القصور المسينية التي احترقت كلها ودمرت»[1].

إن تأثير هذه الظواهر الكونية يمتد إلى مناطق بعيدة عن مكان حدوثها امتداداً غير متوقع، فمثلاً الصومال قد تأثرت بموجات تسونامي التي أحدثها زلزال جوار جزيرة (سومطرة) عام (٢٠٠٤) والصومال تبعد عنه نحو ٢٥٠٠كم.

وما خلَّفته هذه الموجات من ضحايا وخراب ودمار كبير.

فكيف لا تتأثر أوغاريت بموجات تسونامي وسحابة الغبار القاتمة والرماد المحرق الذي أحدثه انفجار بركان (ثيرا) الذي هو أقوى بعشرات المرات. بل هو أكبر انفجار بركاني في تاريخ البشرية المعلوم. علماً أن أوغاريت لا تبعد عن مركز الانفجار أكثر من ٨٤٠كم.

لا يمكن تجاوز تأثير هذه الكارثة الطبيعية الكبيرة وتداعياتها على حضارة مدن البحر المتوسط.

لم يدرس هذه الظاهرة الكونية الباحثون في حضارة أوغاريت، وكانت الإشارة إليها دون معرفة الأسباب في الصفحة (٣٦) من كتاب رأس الشمرا (آثار أوغاريت)، كما يلي:

وفي عهد (نقمد الثاني) أي نحو عام ١٣٦٥ ق.م يجب أن يُحدد حدوث الهزة والفيضان البحري والحريق، تلك الضربات التي أتت على المدينة ومرفئها.

---

(١) البحر المتوسط : المجال والتاريخ – فرنان بروديل، ص ٩٩.

وتظهر اليوم البيوت المنهارة والجدران المشققة المائلة وآثار الحرائق التي كانت قد نشبت في أحياء مختلفة من المدينة، ويظهر أن المرفأ قد مُنِيَ بالتخريب أكثر من بقية الأماكن. ففي إحدى الرسائل الموجهة إلى الفرعون (أمينوفيس الرابع) كتب ملك صور ما يلي:

«وقد هدمت أوغاريت مدينة الملك بالنار، فنصفها احترق، والنصف الآخر أصبح أثراً بعد عين»[1]. وربما جاءت إلى أوغاريت شعوب البحر بعد هذا الحدث، فرأتها مدمرةً فتابعت زحفها نحو الجنوب.

ليست هناك تواريخ دقيقة لأحداث الألف الثاني قبل الميلاد، وإنما تواريخ تقريبية، ولكن تاريخ انفجار بركان(ثيرا - سانتوريني) وتداعياته يجب أن يكون هو المحور الرئيس الذي تتحدد بموجبه وتصحح تواريخ أحداث المنطقة وحضارتها.

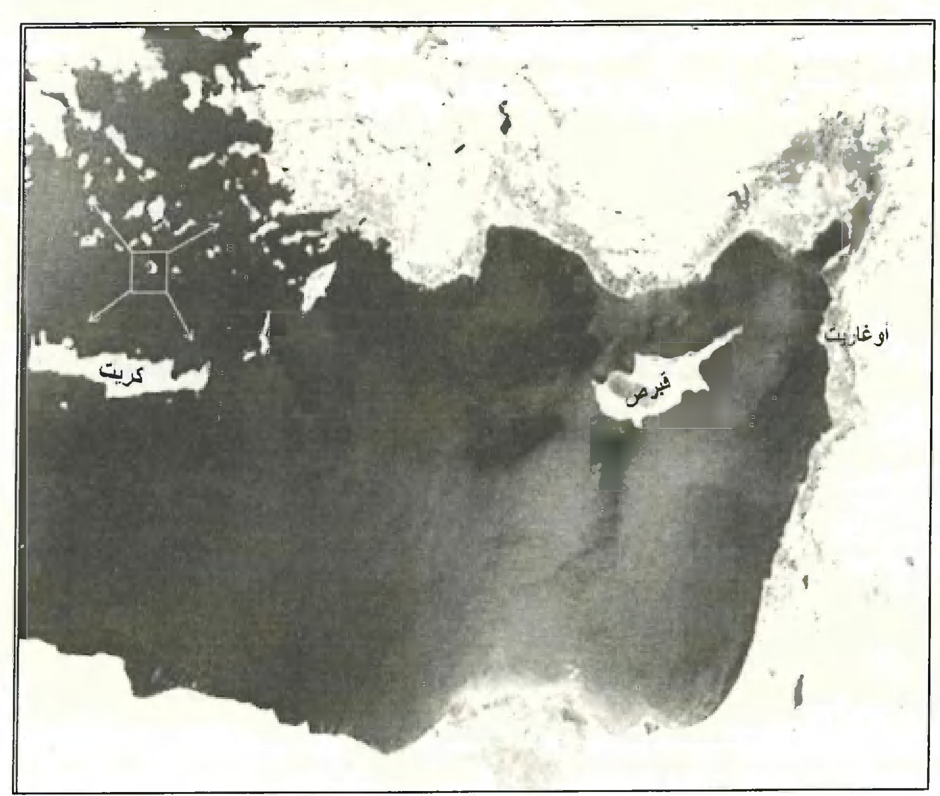
كما نحدد الآن بعض التواريخ والأحداث ونقول:

قبل الحرب العالمية الثانية، أو بعدها.إنَّ العلاقة التي ربطت مصير أوغاريت بقارة أطلنطس هو بركان (ثيرا) المدمِّر الذي قضى على حضارتيهما معاً في يوم واحدٍ، ومسح معهما ياريموتا من الوجود في الوقت نفسه.

وهذا ما رأيناه عنواناً مناسباً لهذه الدراسة المتواضعة حول نهاية مملكة أوغاريت.

---

(١) رأس الشمرا: آثار (أوغاريت) جبرائيل سعادة- ١٩٥٤م. ص ٣٦.



خريطة شرق المتوسط،

ويظهر مكان انفجار بركان ثيرا

٧/ ١٢/ ٢٠١٥

تاريخ الزلازل في اللاذقية

للزلازل دور مهمٌّ في حياة الناس، إذ إنَّها تقلب حياتهم رأساً على عقب، فتدمر البيوت والممتلكات، وتفقدهم الأعزاء والمقربين لهم، لذلك كان تاريخ هذه الزلازل نقطة فارقة في تاريخ الناس في الماضي، فالزلازل جزءٌ من حياة الأرض وجزءٌ مأساويٌّ من تاريخ البشر.

ماهية الزلازل:

يمثل الغلاف الصخري الطبقة الخارجية للأرض، التي تتميز بقوتها النسبية وصلابتها، مقارنةً مع المواد التي توجد تحتها. وتتراوح ثخانة هذا الغلاف بين عشرات الكيلومترات تحت أجزاء من أحواض المحيطات، وما يزيد على مئة كيلو متر تحت أجزاء من القارات. ولا يمثل الغلاف الصخري طبقة مستمرة، بل وجد أنه مجزأ إلى عدد من الكتل تدعى الصفائح الصخرية، يمكن أن يشتمل كل منها على قارات وأجزاء من محيطات.

تتحرك صفائح الغلاف الصخري فوق الغلاف الضعيف باتجاهات وبسرعات نسبية تتراوح بين١ -١٥سم/ سنة، وبذلك تُعدُّ الحدود بين هذه الصفائح مناطق نشاط أرضي تحدث على امتدادها الزلازل والبراكين.

ويُعدُّ صدع غرب الشام أو صدع البحر الميت صدعاً أرضياً رئيساً يمتد بطول ١١٠٠كم، بدءاً من خليج العقبة مروراً بالبحر الميت وسهلي البقاع والغاب في لبنان وسوريَّة، إذ إن زلازل تاريخية كبيرة حدثت على امتداده كزلزال عام / ١٨٢٢/ م بقوة ٧,٥درجة على مقياس (ريختر)، ومقياس (ريختر) صممه خبير الزلازل الأميركي (تشارلز ريختر) عام ١٩٣٥م[1].

لذلك الزلازل التي تصيب اللاذقية لن تكون منعزلة عن الزلازل التي تحدث في مناطق مجاورة وأحياناً بعيدة، وبالعكس إنَّ الزلازل التي تحدث في أماكن مجاورة تتأثر بها مدينة اللاذقية أيضاً، فليس للزلازل حدود سياسية كما سنرى في تاريخ وقوعها، لذلك تم التعرض لتاريخ بعض الزلازل القوية التي حدثت في البلدان المجاورة. وبما أنَّ اللاذقية كانت قليلة السكان إذ لقي معظم السكان حتفهم لتعرضها عدة مرات للزلازل، فكان عدد سكانها عام (١٥٩٥)م هو (١٧١٤) نسمة فقط، لانهماك سكان المدينة في إعادة إعمار ما تَهدم منها والسكن فيها، فقد لا تكون جميع هذه الزلازل مدونة من قبل المؤرخين في اللاذقية. وهناك قول شعبي متداول بين سكان اللاذقية:(إنَّ اللاذقية انقلبت سبع مرات). وهذا قريب من الواقع، فعندما تحفر (أساسات) لأبنية حديثة في البلدة القديمة، يتكشف للناس أحجار كبيرة لأبنية قديمة، وبقايا أقنية فخارية، أو صهاريج لمياه الأمطار، فقد كان مستوى المدينة أخفض من الحالي، والدليل الحي الموجود على ذلك هو أننا نرى مستوى أرضية قوس النصر التاريخي في منطقة الصليبة أخفض بمقدار / ٢,٥/ متر من مستوى الشارع العام الحالي: أي إن اللاذقية القديمة مطمورة تحت التراب بعمق (٢,٥-٣)م من مستوى الشوارع الحالية.

---

(١) الموسوعة العربية ج١٠. ص ٣٧٩.

وهناك قول شعبي آخر عن اللاذقية: (إنّها مدينة الألف عمود)، وليس أدل على ذلك من كثرة الأعمدة المتهدمة والمطمورة عشوائياً بالعرض والطول، حتى إن بلدية اللاذقية لم تستطع في الستينات تنفيذ أعمال الصرف الصحي عند نهاية شارع (أبي العلاء المعري)؛ الممتد من قوس النصر باتجاه الغرب حتى تقاطعه مع شارع ٨ آذار؛ أي قرب جامع (الحمد). وذلك لصعوبة رفع الأعمدة البازلتية المطمورة والمتوضعة عرضياً وسط الطريق، والمتداخلة مع أساسات الأبنية المقامة على جانبي الطريق.

وتذكر المصادر دون أن توضح الأسباب بدقة أن اللاذقية كانت في حالة خراب خلال العهد العثماني. ويبدو أن معاناة المدينة وما تعرضت له في العهود السابقة من زلازل وحروب قد جعلتها في هذه الحالة المزرية. ومن سوء حظ اللاذقية أيضاً أنها تقع بين مدينتين حاضرتين كبيرتين، اختطفتا الأضواء وطغتا بأخبارهما على أخبار اللاذقية، وهما (أنطاكية) في الشمال ذات الحصون المنيعة العالية والمركز التجاري والديني والحضاري، و(طرابلس) في الجنوب ذات الميناء الكبير والمدينة المعمورة والمشهورة في ذلك العصر، التي كانت على مستوى (دمشق) و(حلب) من الأهمية التاريخية حتى إن اللاذقية ألحقت كسنجق بولاية (طرابلس).

لقد تعمدت أن أورد النصوص عن أخبار هذه الزلازل كما جاءت في المصادر التاريخية دون تبديل أو تحريف، لكي أترك للقارئ التمتع بقراءة النصِّ التاريخيِّ كما جاء تماماً، والرجوع للمصدر عند اللزوم، وإذا تطلب الأمر توضيحاً مني لكلمة ما فتكون ضمن قوسين.

وتوخيت إيراد ما كتبه المؤرخون، ومعظمهم عايشوا أحداث هذه الزلازل، أو كانوا الأقرب زمناً لحدوثها،مما يعطيها موثوقية ومصداقية أكثر. وأحياناً نورد أكثر من مصدر تاريخي قريب من الحدث زيادةً في التوضيح واستكمالاً له.

لقد وضعت لائحة بالفترات الزمنية التي عاش فيها أولئك المؤرخون الذين اعتمدت على مصادرهم في تدوين أحداث الزلازل، لاعتماد واختيار المؤرخ الأقرب للحدث، وهذه اللائحة تضم:

اليعقوبي	ت سنة ٢٦٠ هـ - ٨٧٢م
الطبري	ت سنة ٣١٠هـ - ٩٢٢م
وليم الصوري	ت سنة ٥٨١هـ - ١١٨٥م
ابن الأثير	ت سنة ٦٣٠هـ - ١٢٣٢م
سبط بن الجوزي	ت سنة ٦٥٤هـ - ١٢٥٦م
ابن العديم	ت سنة ٦٦٠هـ - ١٢٦٢م
ابن العبري	ت سنة ٦٨٥هـ - ١٢٨٦م
محيي الدين بن عبد الظاهر	ت سنة ٦٩٢هـ - ١٢٩٢م
أبو الفداء	ت سنة ٧٣٢هـ - ١٣٣٣م
ابن الوردي	ت سنة ٧٤٩هـ - ١٣٤٨م
ابن كثير	ت سنة ٧٧٤هـ - ١٣٧٣م
المقريزي	ت سنة ٨٤٥هـ - ١٤٤٢م
ابن حجر العسقلاني	ت سنة ٨٥٢هـ - ١٤٤٨م
ابن تغري بردي	ت سنة ٨٧٤هـ - ١٤٦٩م
تاريخ ابن سباط	ت سنة ٩٣٠هـ - ١٥٢٣م

ابن العماد الحنبلي	ت سنة ١٠٨٩هـ - ١٦٧٧م
الجبرتي	ت سنة ١٢٣٦هـ - ١٨٢١م
يوسف بن دمتري عبود	ت سنة ١٢٢٣هـ - ١٨٠٨م
إلياس صالح	المتوفَّى سنة ١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م

ونبدأ باستعراض أحداث الزلازل الأولى التي أصابت اللاذقية قبل الفتح الإسلامي والمستقاة من مصادر تاريخية قديمة.

فـ (غلافيل دووني) الأستاذ المتخصص بالأدب البيزنطي في جامعة (هارفرد)، أسهم في التنقيب عن الآثار في أنطاكية من عام ١٩٣٢ إلى ١٩٣٩م، ضمن بعثة أميركية فرنسية منظمة برعاية جامعة (برينستون) في ربيع عام ١٩٣٢م، وأوَّلَ مرة تم الكشف عن الآثار المطمورة من مئات السنين، فظهرت مجموعة رائعة الجمال من القاعات المزخرفة بالفسيفساء في البيوت الخاصة والمباني العامة، فاقت التوقعات بكثير، وبانت مظاهر الحياة المنْزلية والفكرية والأدبية في أنطاكية، وألَّف كتاباً سماه: (تاريخ أنطاكية في سوريا منذ عهد سلوقس إلى الفتح العربي)، وله أبحاث ودراسات متعلقة بهذه المواضيع. وكتابه (أنطاكية القديمة) الذي بين أيدينا هو خلاصة لكتابه المذكور، وقد أورد فيه ما كتبه الراهب والمؤرخ الإخباري المحلي (جون مالالاس) والمؤرخ (ثيوفانس)؛ كشاهدي عيان، وفيه وصف كامل للأحداث في أنطاكية في القرن السادس الميلادي، إضافةً إلى ما دونه المؤرخون القدامى الآخرون، ونَعُدُّه أفضل وصف لأحدث الزلازل في أنطاكية قبل الفتح العربي.

وبما أنَّ اللاذقية وأنطاكية تقعان على خط الصدع الزلزالي نفسه، والمسافة بينهما قريبة نحو / ٨٥كم/ ، ستؤثر الزلازل فيهما في الوقت نفسه، ولو بدرجات

مختلفة من القوة. وبما أن أنطاكية كانت مركز الثقل الحضاري الأكبر، وقد أولاها المؤرخون الاهتمام الأكثر، لابد أن تكون اللاذقية قد تأثرت وتهدمت فيها بعض البيوت بسبب هذه الزلازل، ولو لم تجد من يدونها في التاريخ إلاَّ عرضاً.

زلزال سنة / ٤٥٨/ م:

كان هذا الزلزال هو أحد أكثر الأحداث خطراً في تاريخ أنطاكية، وقد صبَّ غضبه في منتصف أيلول /٤٥٨/م، وكان الخراب كبيراً بلا ريب، فالمؤرخ المحلي (أفاغريوس) صاحب رواية الوصف الأكمل المحفوظ عن الكارثة، كتب أن التدمير حدث أولاً في الحي الجديد للمدينة يعني الجزيرة، إذ هدمت غالبية الأبنية، وفي الحي الذي يحمل اسم (أوستراكين) في الجزء الرئيس من المدينة. أما (ثيوفانس) المؤرخ الإخباري فقد سجل في كتابة متأخرة أن كامل المدينة تقريباً سقطت.

وبهذه المناسبة حوَّل الإمبراطور مبلغاً سخياً من الإتاوات الدورية المدفوعة من قبل سكان أنطاكية، وأعفى المواطنين من دفع الضرائب عن بناء الأبنية التي كانت قد دمرت، وتحملت الحكومة الإمبراطورية أيضاً مسؤولية تجديد الأبنية العامة[1].

زلزال سنة / ٥٢٦/ م و /٥٢٨/ م:

أما زلزال ٥٢٦ ميلادية فقد حدث مساء ٢٩ أيار، عندما كانت المدينة مزدحمة بالزوار الوافدين إلى أنطاكية لأجل الاحتفال، وصادف أيضاً أن بدأت الهزات الأرضية وقت كان معظم الناس داخل البيوت يتناولون وجباتهم

(١) أنطاكية القديمة – غلافيل دووني – ص: ٢٠٠.

المسائية، ونتيجة لهاتين المصادفتين كانت خسائر الأرواح كبيرة، وعدد الضحايا الذي ذكر في بعض المراجع /٢٥٠/ ألف قتيل يبقى على أيٍّ حال مستحيلاً، أما ضحية الزلزال الأكثر شهرةً فكان البطريرك (أفراسيوس).

عملياً دمرت الكارثة كامل المدينة، ولم تبق على شيء سوى الأبنية الموازية لسفح جبل (سيليبيوس)، وكما يحدث عادةً في أحداث كهذه، ترافق اهتزاز الأرض باندلاع النيران، فمات الناس المدفونون تحت الأنقاض حرقاً، وملأت ألسنة النيران الفضاء، وضعفت أساسات الأبنية بسبب كل من الزلزال والنار، فانهارت حتى الأسوار التي بقيت واقفة بعض الوقت، انهارت فيما بعد وقتلت بعض الناس، وصمدت الكنائس بوجه الزلزال بعض الوقت، ولكنها احترقت فيما بعد، ومنها الكنيسة العظمى وكنيسة (الملاك ميشال) وكنيسة (مريم العذراء) وكنيسة الرسل المقدسة وكنيسة (القديس زكريا). وبعض الباقين على قيد الحياة الذين هربوا من المدينة، تعرضوا للسلب ودخل المدينة اللصوص ونهبوا الأنقاض، فوجدوا بها صناديق من الفضة والذهب ونقوداً فضية مبعثرة هنا وهناك، وسلبوا الجثث ولا سيَّما جثث النساء اللواتي كن يتقلدن المجوهرات.

ولّما علم الإمبراطور (جوستين) بالكارثة حزن كثيراً، لأنه كان متآلفاً مع أنطاكية، فقد تمركز هناك أثناء خدمته العسكرية، قبل أن يصبح إمبراطوراً.

الاضطراب الزلزالي الذي سببه الزلزال الفظيع عام /٥٢٦م/ لم ينته حينئذ، فقد تبع الزلزال الأصلي سلسلة من الهزات الأرضية على مدى عام ونصف العام، وبلغت الذروة في كارثة عامة أخرى حدثت في ٢٩ تشرين الثاني /٥٢٨ م/، في وقت مبكر من النهار، فقد استمرت الهزات ساعةً.

وتشير المصادر الى أن الأسوار وكامل المباني في المدينة قد انهارت، وامتد الضرر إلى اللاذقية وإلى (سلوقيا) و(بيريا). وقد سجل أن / ٤٨٧٠/ شخصاً قتلوا، فأرسل جوستنيان (وهو ابن أخ جوستين) هبات من أجل إعادة بناء المدينة في تلك السنين.

كانت الحياة في أنطاكية متأثرة جداً بعودة العداء مع الفرس، فقد اندلع القتال مجدداً في العام /٥٢٨م/ ، وفي آذار من السنة التالية قام العرب المناذرة التابعون للفرس بغزوة سريعةٍ، أوصلتهم إلى حدود منطقة أنطاكية، فأحرقوا الممتلكات وقتلوا عدداً من السكان، وانسحبوا مع أسراهم والغنائم قبل أن تستطيع القوات الرومانية إدراكهم.

واستطاع الفرس في وقت لاحق في حزيران عام / ٥٤٠/ م الاستيلاء على أنطاكية ونهبها. وتفاصيل معارك الدفاع عن المدينة وكيفية الاستيلاء عليها ذكرها (بروكوبيوس) في روايته المفصلة عن هذه الأحداث، فقد أمر (كسرى) بعد ذلك رجاله بجمع الأحياء وتقييدهم كأسرى، كي يرجع بهم إلى فارس باعتبارهم عبيداً، وابتدأ بنهب المدينة ونزل (كسرى) وتوجه إلى الكنيسة العظيمة، وهناك لاقى الكنْز الأنفس المؤلف من ذهب الكنيسة وأدواتها الفضية ومن التقدمات والهبات التي تركت في مكانها لم تخبأ أو تنقل، لقد شكَّلت تلك الأشياء غنيمة رائعة للفرس، واستحوذ (كسرى) أيضاً على العديد من التماثيل المرمرية المزخرفة نقلها من الكنيسة إلى فارس، بعد ذلك أمر (كسرى) بحرق المدينة بعد نهبها، واستثنى الكنيسة العظيمة بعد أن أخذ منها هذه الغنائم الوفيرة[1].

---

(١) أنطاكية القديمة – غلافيل دووني ص: ٢١٩.

زلزال سنة / ٥٢٦ م/ أيضاً:

قال (ديونيسيوس التلمحري) في كتابه (تاريخ الأزمنة) بشأن هذا الزلزال: إنَّه في سنة / ٥٢٦ م/ في التاسع والعشرين من (نوَّار) يوم الجمعة ظهراً دهم أنطاكية زلزال عنيفٌ، دك أبنيتها وطمر بنيانها، ومات بهذا الزلزال (أفراسيوس) البطريك.

ويقول المؤرخ (مالالاس): إنَّه في هذا الزلزال مات خمسون ألفاً من سكان أنطاكية.

وقد خربت بسببه دفنة وسلوقية (السويدية) أيضاً.

وتبعت هذا الزلزال هزة أخرى في سنة /٥٢٨/ كانت أقلَّ شدةً، ولكنها أحدثت أضراراً فادحة أيضاً، وتأثر الملك (يوستينوس) جداً لهذه الحادثة خاصة، وأنه كانت لأنطاكية منْزلة كبيرة في قلبه، إذ أقام فيها، وهو جندي، وأرسل مبلغاً كبيراً من المال لإغاثة المدنية. ويقال: إنَّه أوقف الألعاب ومشاهد المسرح وسائر أنواع اللهو في (القسطنطينية) حداداً[1].

زلزال ٨٥٤م -٢٤٢هـ:

كان انقضاض الكواكب ليلة الخميس مستهل جمادى الآخرة سنة ٢٤١هـ ولم تزل تنقض من أول الليل إلى طلوع الفجر، كانت الزلازل بقومس ونيسابور وما والاها سنة ٢٤٢هـ حتى مات بقومس خلق كثير، ونالهم رجفة يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان، فمات فيها زهاء مئتي ألف، وخسف بعده مدن بخراسان، ونال أهل فارس في هذا الشهر شعاع ساطع من

(١) تاريخ الموارنة- الأب بطرس ضو -ج٢ص٣٣٤. دار النهار للنشر .

ناحية العلروم ورهج أخذ بأكظام الناس، فمات الناس والبهائم واحترقت الأشجار، ونال أهل مصر زلزلة عمت حتى اضطربت سواري المسجد وتهدمت البيوت والمساجد وذلك في ذي الحجة من هذه السنة[1].

زلزال ٨٥٥م -٢٤٢هـ:

حدثت زلازل هائلة بقومس ورساتيقها في شعبان، فتهدمت فيها الدور، ومات من الناس بها، مما سقط عليهم من الحيطان وغيرها بشر كثير، ذكر أنه بلغ عدتهم خمسة وأربعين ألفاً وستّاً وتسعين نفساً وذكر أنه بفارس وخراسان والشام في هذه السنة زلازل وأصوات منكرة. وكان باليمن أيضاً مثل ذلك مع خسف فيها[2].

زلزال ٨٥٩م - ٢٤٥هـ:

زلزلت في هذه السنة بلاد المغرب حتى تهدمت الحصون والمنازل والقناطر، فأمر (المتوكل) بتفرقة ثلاثة آلاف درهم في الذين أصيبوا بمنازلهم، وزلزل عسكر (المهدي) ببغداد، وزلزلت الميادين، وذلك بتاريخ ٨/ ٤/ ٨٥٩م.

وذكر أنه كانت في هذه السنة بأنطاكيَّة زلزلة ورجفة في شوال، قتلت خلقاً كثيراً وسقط منها ألف وخمسمئة دار، وسقط من سورها نيف وتسعون برجاً، وسمعوا أصواتاً هائلة لا يحسنون وصفها من كوى المنازل، وهرب أهلها إلى الصحاري، وتقطع جبلها الأقرع وسقط في البحر، فهاج البحر في ذلك اليوم وارتفع منه دخان أسود مظلم منتن، وغار منها نهر على

(١) تاريخ اليعقوبي - ج٢. ص ٤٩١ .

(٢) تاريخ الطبري -ج٩. ص ٢٠٧. وتاريخ مختصر الدول - ص ١٤٣ لابن العبري.

فرسخ لا يدرى أين ذهب. «ومازال أثر هذا الزلزال واضحاً للعيان حالياً، إذ يمكن مشاهدة هذا الحادث على شاطئ البحر في «أم الطيور» إذ إن الجبل هناك الداخل في البحر انهدم قسم كبير منه شاقولياً، بسبب هذا الزلزال، وبقايا الصخور المنكسرة منه مغمورة في البحر، وتتعرض لحت الأمواج البحرية منذ ذلك الزمان». وسمع فيها- فيما قيل- أهل تنيس في مصر ضجة دائمة هائلة، فمات منها خلق كثير.

وفيها زلزلت بالِس والرقة وحران ورأس عين وحمص ودمشق والرها وطرسوس والمصيصة وأدنة وسواحل الشام ورجفت اللاذقية، فما بقي منها منْزل ولا أفلت من أهلها إلا اليسير، وذهبت جبلة بأهلها. وفيها غارت مشاش- عين مكة- حتى بلغ ثمن القربة بمكة ثمانين درهماً، فبعثت أم (المتوكل) فأنفقت عليها[1].

زلزال ١٠٦٣م - ٤٥٥هـ أيضاً:

وفيها كانت زلزلة عظيمة بواسط وأرض الشام، فهدمت قطعة من سور طرابلس، وفيها وقع بالناس موتان بالجدري والفجأة، ووقع بمصر وباء شديد كان يخرج منها كل يوم ألف جنازة[2].

زلزال ١١٣٧م - ٥٣٢هـ:

في يوم الخميس ثالث عشر صفر سنة ٥٣٢هـ حدثت زلزلة شديدة ثم تبعتها أخرى، وتواصلت الزلازل، فهرب الناس من حلب إلى ظاهر البلد

---

(١) تاريخ الطبري -ج٩. ص ٢١٢. وتاريخ اليعقوبي -ج٢. ص ٤٩١.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير -ج١٢، ص٨٨.

وخرجت الأحجار من الحيطان إلى الطريق، وسمع الناس دوياً عظيماً، وانقلبت الأتارب، فهلك فيها ستمئة من المسلمين، وسلم الوالي ومعه نفر يسير، وهلك أكثر البلاد من شيح، وتل عمّار (يبعد عن حلب ٣٣كم) وتل خالد وزردنا (تبعد عن إدلب ٢٥كم)، وشوهدت الأرض تموج والأحجار عليها تضطرب كالحنطة في الغربال.

وانهدم في حلب دور كثيرة، وتشعث السور، واضطربت جدران القلعة، وسار (أتابك) مشرقاً، فنَزل القلعة وأخذها وسار منها إلى الموصل. وتواترت الزلازل إلى شوال، وقيل: إن عدتها كانت ثمانين زلزلة[1].

زلزال ١١٣٧م-٥٣٢ هـ:

وفيها في صفر كانت زلازل كثيرة هائلة بالشام والجزيرة وكثير من البلاد، وكان أشدها بالشام، وكانت متوالية عشر ليال، كل ليلة عشر دفعات، فخرب كثير من البلاد، ولا سيما حلب.

فإن أهلها لما كثرت عليهم فارقوا البلاد والبيوت، وخرجوا إلى الصحراء، وعدُوا ليلة واحدة جاءتهم ثمانين مرةً، ولم تزل بالشام تتعاهدهم من رابع صفر إلى تاسع عشره، وكان معها صوت وهزة شديدة[2].

زلزال ١١٥٧م-٥٥٢هـ:

في سنة ٥٥٢هـ (١١٥٧م) حدثت في سوريّة زلازل عنيفة، ففي حماة سقطت القلعة وجميع البيوت على أهلها، وسقطت كذلك قلعة شيزر كلها، ولم ينج من

---

(١) زبدة الحلب في تاريخ حلب، ابن العديم. ج ٢ ص٤٦٠ .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير - ج٩. ص ٣١١ .

أهلها سوى امرأة واحدة وحاجب واحد، أما أهل حمص فقد سارعوا إلى خارج المدينة، ونجوا وهدمت دورهم وقلعتهم، وفر أهل حلب من مدينتهم، وظلوا أياماً خارجها للنجاة بأنفسهم من الموت، وقد تهدمت بيوتهم، وهلك منهم / ٥٠٠ نسمة/ فقط، ولم ينج أحد من أهالي كفر طاب وأفامية. وهدمت بيوت كثيرة في الرحبة. كذلك اجتاح الزلزال مدن الإفرنج وحصن الأكراد وعرقة، ولم يبق في اللاذقية سوى كنيستها الكبرى، ونجا جميع أهلها وتصدعت أرضها، وانفتحت ودفن في وحلها تمثال مسبوك، كذلك تصدعت بيوت أنطاكية وطرابلس[١].

زلزال١١٥٧م- ٥٥٢هـ أيضاً:

في هذه السنة في رجب كان بالشام زلازل قوية، فخربت بها حماة وشيزر وحمص وحصن الأكراد وطرابلس وأنطاكية، وغيرها من البلاد المجاورة لها، حتى وقعت الأسوار والقلاع، فقام (نور الدين محمود بن زنكي) في ذلك الوقت المقام المَرضي من تداركها بالعمارة، وإغارته على الفرنج، ليشغلهم عن قصد البلاد، وهلك تحت الهدم ما لا يحصى. ويُحكى أن معلِّم كتَّاب كان بمدينة حماة خرج من المكتب، وجاءت الزلزلة، فسقط المكتب على الصبيان جميعهم، قال المعلِّم: فلم يحضر أحدٌ يسأل عن صبي كان له هناك.

فلما خربت القلعة في هذه السنة بالزلزلة لم ينج من (بني منقذ) الذين كانوا بها أحد، فإن صاحبها كان قد ختن ولده، وعمل دعوة للناس، وأحضر

(١) غريغوريوس بن هرون بن توما الملطي المعروف بابن العبري - ص٣٧٦ - الموسوعة الشامية - ج٥ - و(مرآة الزمان في تاريخ الأعيان) سبط بن الجوزي ص: ٣٢٨، و(النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)، جمال الدين يوسف تغري بردي الأتابكي - ج٥. ص ٣١١ .

جميع (بني منقذ) في داره، فجاءت الزلزلة فسقطت الدار والقلعة عليهم، فهلكوا عن آخرهم. وكان لصاحب شيزر (ابن منقذ) المذكور حصان يحبه، ولا يزال على باب داره، فلما جاءت الزلزلة، وهلك (بنو منقذ) تحت الهدم، سلم منهم واحد وهرب يطلب باب الدار، فلما خرج من الباب رفسه الحصان المذكور فقتله، وتسلَّم (نور الدين) القلعة والمدينة[1].

زلزال ١١٧٠م- ٥٦٥هـ:

ضرب زلزال مخيف وكبير الشرق، وكان أكثر عنفاً من أي زلزال آخر محفوظ، وذلك في شهر حزيران، أي في العام السابع من فترة حكم الملك (عموري) / ١١٧٠م/ . وقد دمر هذا الزلزال مدناً محصنة تحصيناً قوياً ومشيدة من أزمان قديمة جداً، وسحق السكان الذين احتجزوا داخل منازلهم المهدمة، ولم يبق على قيد الحياة سوى القلة القليلة من الناس، ولم تنج أي بقعة ضمن المنطقة بأسرها دون أن تصاب بخسارة في الممتلكات أو بكارثة عائلية، فقد امتلأ كل مكان بدلائل الحزن وبجنائز الموتى، كما دمرت المدن الكبرى في أقاليمنا وأقاليم سوريا وفينيقيا أيضاً، وكانت مدناً مشهورة طوال عصور بقدمها المهيب، فقد سحقت في سوريا المجوفة مدينة أنطاكية عن بكرة أبيها، وهي التي كانت عاصمةً لأقاليم عديدة، والتي كانت فيما مضى رئيسةً لممالك كثيرة، وأبيد سكانها عن بكرة أبيهم، ودمرت الأسواق الضخمة والأبراج العملاقة، والشديدة القوة المبنية على طول محيطها، وهدمت كنائس ومبان من كل نوع بعنف كبير لدرجة أنها لم ترمم حتى الآن إلا بشكل جزئي، رغم إيقاف جهد كبير ونفقة واسعة لترميمها.

---

(١) المختصر في أخبار البشر- أبي الفداء -ج٣ ، ص ١٠٢. والكامل في التاريخ لابن الأثير - ج٩. ص ٢١٨.

وكان بين المدن الأخرى التي دمرت في ذلك الإقليم كل من جبلة واللاذقية، وهما مدينتان مشهورتان واقعتان على الساحل، وكان من بين المدن الداخلية البعيدة التي دمرت والتي كان العدو ما يزال محتفظاً بها كل من (بيروا) المعروفة أيضاً باسم حلب، وشيزر وحماة وحمص ومدن أخرى، كما أنَّ عدد القلاع المدمرة كان يفوق الإحصاء.

أصيبت مدينة طرابلس العظيمة والمزدحمة بالسكان، والواقعة في فينيقيا فجأة في التاسع والعشرين من حزيران، نحو الساعة الأولى من اليوم بهزة أرضية كانت عنيفةً، لدرجة أنه نادراً ما نجا منها إنسان ممن كان ضمن أسوارها، وتحولت المدينة بأسرها إلى أكوام من الحجارة، وأصبحت مقبرة، لا، بل قبراً مشتركاً للسكان الذين هلكوا فيها. وكانت الهزة الأرضية عنيفة جداً في مدينة صور المدينة الأكثر شهرة في هذا الإقليم، إذ دمرت عدة أبراج ضخمة، غير أنه لم تقع أية خسائر بشرية هناك. وعثر في مناطقنا ومناطق العدو على قلاع نصف مدمرة ومفتوحة على جميع الجهات. وعرضةً بكل حرية لعنف وخداع الخصم، ولم يجرؤ أحد على التحرش بزميله الإنسان، لأن الجميع خافوا من أن ينْزل بهم غضب الحاكم الجبار كل على حدةٍ، ولانشغال كل واحد منهم بمشاكله الخاصة، ولأنه كان مرهقاً بحمل أعباء أموره الخاصة، ولهذا لم يفكر أحد بإيذاء جاره.

وحل السلام الذي أحدثته رغبة الجميع، وإن كان لفترة قصيرة من الزمن، وأعدت هدنة بسبب الخوف من الغضب الإلهي، وكف الجميع عن القيام بأعمال العدوان وقمعوا بواعثهم الشريرة، وكان كل منهم يتوقع كل لحظة انصباب غضب عادل من السماء عقاباً على آثامهم.

لم يكن هذا الإظهار لسخط الله شيئاً سريع الانقضاء كما كان يحدث دائماً، فقد ظل الناس يشعرون ليل نهار بذلك الزلزال المخيف مدة ثلاثة أو أربعة أشهر بالفعل، لا بل حتى فترة أطول من ذلك بثلاث أو أربع مرات أو أكثر، وكانت كل هزة مصدراً للرعب الآن، ولم يعثر على أي مكان آمن للراحة، وحتى في أثناء النوم دفع الشعور الخفي المذعور بصورة ذلك الشيء الذي أخافه في أثناء اليقظة إلى الوثوب قافزاً نحو الشعور الواقعي من جديد.

وتجنبت الأجزاء العليا من إقليمنا (أي فلسطين) هذه الكوارث بفضل العناية الرحيمة لله الواقي"[1].

زلزال ١١٧٠م - ٥٦٥هـ أيضاً:

عندما نزل (نور الدين) على عشترا (على مقربة من بلدة نوى في حوران) أتاه خبر الزلازل الحادثة بالشام بأنها خربت حلب خراباً شنيعاً، وخرج أهلها إلى ظاهرها.

وتواترت الزلازل بها أياماً متعددةً، وكانت في ثاني عشر شوال من السنة يوم الإثنين طلوع الشمس، وهلك من الناس ما يزيد على خمسة آلاف نفرٍ ذكر وأنثى، وكان قد احترق جامع حلب وما يجاوره من الأسواق قبل ذلك سنة أربع وستين وخمسمئة، فاهتمَّ (نور الدين) في عمارته وإعادته والأسواق التي تليه إلى ما كانت عليه[2].

---

(١) تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار ص: ٣٤١ – وليم الصوري – رئيس أساقفة صور، وابن العبري، ص: ٣٩٠.

(٢) زبدة الحلب في تاريخ حلب - ابن العديم ص٥٠٢، والكامل في التاريخ لابن الأثير – ج١٠.ص ٢٤ .

زلزال ١٢٠٠م- ٥٩٧هـ:

في شعبان منها تزلزلت الأرض بالموصل وديار الجزيرة كلها والشام ومصر وغيرها، فأثرت في الشام آثاراً قبيحة، وخربت كثيراً من الدور بدمشق وحمص وحماة، وانخسفت قرية من قرى بصرى، وأثرت في الساحل الشامي أثراً كبيراً، فاستولى الخراب على طرابلس وصور وعكا ونابلس وغيرها من القلاع. ووصلت الزلزلة إلى بلاد الروم، وكانت بالعراق يسيرة لم تهدم دوراً[1].

زلزال ١٢٠٣م-٦٠٠هـ:

وفيها كانت زلزلة عظيمة عمت أكثر البلاد مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرس ووصلت إلى الموصل والعراق وغيرها، وخربت من مدينة صور سورها، وأثرت في كثير من الشام[2].

زلزال ١٢٨٧م-٦٨٦هـ:

هذا الزلزال كان أحد العوامل التي ساعدت في تحرير اللاذقية من الصليبيين الذين احتلوها مدة أربعةٍ وستين عاماً. فقد انهارت تحصينات المدينة من الجهة الغربية، وأبراج مينائها نتيجة هذا الزلزال مما سارع في تحريرها. وكان ابن بطوطة قد ذكر في رحلته عندما زار اللاذقية. «وميناء هذه المدينة عليها سلسلة بين برجين لا يدخلها أحد، ولا يخرج منها حتى تحط السلسلة، وهي من أحسن المراسي بالشام»[3].

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير - ج١٠. ص ٢٧٥.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير - ج١٠. ص ٢٩٣.

(٣) ابن بطوطة: تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار تحقيق: محمد عبد الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م/ ٤٦.

وكان أحد هذين البرجين يدعى (برج الحمام)، وفيه قنديل يستضاء به ويستدل به في البحر، وبين هذين البرجين برج ثالث في وسط البحر، يقوم مقام قلعة للمدينة من جهة البحر إلى البر.

يقول (محيي الدين بن عبد الظاهر) في كتابه (تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور) عن هذا البرج الثالث وسط البحر: «وهذا البرج شمم في أنف تلك الجهات، وآفة عليها من أكبر الآفات، طالما أصبح وأمسى حسرة في قلب المسلمين وذخيرة لأعداء الدين».

وذلك أنه في وسط البحر، لا تسلك إليه طريق من بر، ولا ينقب له سور، وكيف وخندقه البحر؟! وكان يتحصل به للفرنج مال كثير من مينا اللاذقية التي هي مثل مينا الإسكندرية.

ولما كان ليلة السبت خامس صفر جاءت زلزلة عظيمة في جهة اللاذقية، هدمت أكثر برجها الذي في وسط البحر لأمر يريده الله للمسلمين من الخير، وهذا البرج كان ملك عصمتها، وروح حرمتها، فهدمت الزلزلة منه ربعه، وهدمت برج الحمام ومكان القنديل الذي يستضاء به منها ويستدل به في البحر، وكانت زلزلة عظيمة شديدةً، وكان ذلك من الأسباب التي سهلت فتحه، ومررت صرحه.

فقد قام قائد الناصر (قلاوون) الأمير (حسان الدين طرنطاي) برصف طريقٍ إليه في البحر بالحجارة، وحاصره وتسلمه بالأمان، ثم هدمه.

وقبل ذلك قام هذا القائد بفتح مدينة اللاذقية التي تسبب الزلزال بهدم سورها من جهة البحر، مِمَّا ساعد وسارع بالاستيلاء عليها وتحريرها عام / ١٢٨٧/ م[١].

---

(١) تشريف الأيام والعصور، محيي الدين بن عبد الظاهر، ص١٥١.

زلزال ١٣٠٢-٧٠٢هـ:

كانت زلزلة عظيمة هدمت بعض أسوار قلعة حماة، وغيرها من الأماكن بالبلاد، وهدمت بالديار المصرية أماكن كثيرة، وهلك خلق كثير تحت الهدم، وخربت من أسوار الإسكندرية ستاً وأربعين بدنةً[1].

زلزال ١٣٠٢-٧٠٢هـ أيضاً:

في هذه السنة في الثالث والعشرين من ذي الحجة زلزلت الأرض ببلاد الشام، وكان في صفد لها تأثير كثير، إذ وقع برجان من أبراج القلعة، وامتدت الزلزلة إلى الديار المصرية، فتأثرت تأثيراً كثيراً وهدمت منابر الجامع الحاكمي، ووقعت أكثر جدرانه وخربت خراباً شنيعاً، وتشعثت منارة المدرسة المنصورية، وانهدمت منارة جامع (الفكاهين) المعروف بإنشاء الخليفة (الظافر) أحد الخلفاء الفاطميين.

وانهدمت منارة جامع (طلايع بن رزّيك)، وتشقق جدار جامع مصر، ووقع شيء كثير من المنابر وانهدمت منارة الإسكندرية. وخربت دمنهور ومدينة قوص وأماكن كثيرة بالديار المصرية.

وطلع البحر المالح إلى الإسكندرية، فغرق شيء كثير منها وغلال كانت على جانب البحر، وبقيت الأرض ترجف إلى مدة عشرين يوماً، وهلك جماعة كثيرة تحت الردم[1].

---

(١) المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء. ج ٢، ص ٣٨٩.

زلزال ١٤٠٣م - ٨٠٦هـ:

وفي ٢٣ من شعبان ورد الخبر بأن طرابلس الشام زلزلت بلادها زلزلة عظيمة، هدمت مباني عديدة منها جانب من قلعة المرقب، وعمَّتِ اللاذقية وجبلة وقلعة بلاطنس وشغر بكاس وعدة بلاد بالجبل والساحل، فهلك تحت الردم جماعة[٢].

زلزال ١٤٠٨م - ٨١١هـ:

وفي العاشر من شعبان جاءت زلزلة عظيمة في نواحي بلاد حلب وطرابلس، فخرب من اللاذقية وجبله وبلاطنس أماكن عديدة، وسقطت قلعة بلاطنس، فمات تحت الردم خمس عشرة نفساً، وكانت الزلزلة بقبرص، فخرب منها أماكن كثيرة، وشوهد ثلج على رأس الجبل البحر عشرة فراسخ. وذكر أهل البحر أن المراكب في البحر وصلت إلى الأرض لما انحسر البحر، ثم عاد الماء كما كان، ولم يتضرر أحد[٣].

زلزال ١٧٩٦م - ١٢١٠هـ:

في سنة /١٧٩٦/ حدثت في اللاذقية زلزلة هائلة كتب عنها أحد رجال ذلك الزمن ما ملخصه:

إنه في يوم الثلاثاء خامس عشر شهر نيسان سنة /١٧٩٦م/ الموافق /١١/شوال سنة/ ١٢١٠/هـ في الساعة الثالثة من النهار، حدثت زلزلة

---

(١) تاريخ ابن سباط، ج٢ ص٥٨٢. وكتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي، ج ٦ ص ٢١٣ .

(٢) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي ، ج ٦ ص١٠٤ .

(٣) أنباء الغمر بأنباء العمر ج٢ - العسقلاني.

مروّعة هائلة في اللاذقية، وسمعت أصوات مفزعة كالرعد القاصف في جوف الأرض، فهدمت أكثر منازل المدينة، وقتل كثيرون تحت الردم، وكثيرون سقط فوقهم الردم، فبقوا تحته حتى كشف عنهم وأخرجوا سالمين، ومنهم من كسرت وتعطلت بعض جوارحه، وأما عدد الذين ماتوا تحت الردم فلم يضبط مقداره، أما الذين سلموا فهربوا إلى البراري والبساتين، وصنعوا لهم خياماً ومظلات أقاموا تحتها شهراً.

ونقل صيادو السمك الذين كانوا عند مصب النهر الكبير وقت حدوث الزلزلة:

إن مياه النهر غارت وقتئذٍ.

وحكى غيرهم: إن الأرض في بعض الأماكن كانت تنشق وتنفتح كالأودية ثم تنطبق.

وبعضهم رأوا السواقي والينابيع نشفت، ثم خرج منها ماء أحمر كالدم.

أما معظم الخراب فقد كان في الأماكن الواقعة في وسط المدينة إلى طرفها الغربي، على أن الأماكن التي لم تسقط تزعزعت، واضطر أصحابها إلى هدمها وبنائها مجدداً، فكانت الرزيئة فيها عامة، وأصبحت المدينة وسكانها في أسوأ حال[1].

زلزال ١٧٩٦م - ١٢١٠هـ أيضاً:

وفي ١٥ نيسان يوم الثلاثة من جمعة الكبيرة قريب الضهر صار زلزلة عظيمة، غير أنها لم تضر شيئاً في حلب، ولكن بعده حضر أخبار من اللاذقية

---

(١) آثار الحقب في لاذقية العرب - إلياس صالح. مخطوط، ص ١٢٦.

أنها خربت المينا، ومات كل من كان تحته حتى اغت التوتن زيوار آغا وجبرا إلياس اليازجي رجل معلوم، فالتقدير أنه مات تحت الردم في الخان المذكور وغيره ينيف عن ألفي نفر، وفي أنطاكية خرب الجامع وبعض أماكن[1].

زلزال ١٨١١م- ١٢٢٥هـ:

في ليلة السبت الثالثة عشرة من محرم حصلت زلزلة عجيبة، وارتجت منها الجهات ثلاث درجات متواليات، واستمرت نحو أربع دقائق، فانزعج الناس منها من منامهم وصار له جلبة وقلقة، وخرج الكثير من دورهم هاربين إلى الأزقة يريدون الخلاص إلى الفضاء مع بعده عنهم، وكان ذلك في أول الساعة السابعة من الليل، وأصبح الناس يتحدثون بها فيما بينهم، وسقط بسببها بعض حيطان ودور قديمة، وتشققت جدران، وسقطت منارة بسوس، ونصف منارة بأم أخنان بالمنوفية وغير ذلك لا نعلمه.

وفي عصر يوم السبت أيضاً حصلت زلزلة، ولكن دون الأولى، فانزعج الناس منها أيضاً، وهاجوا ثم سكنوا.

وفي الخامس من شهر صفر سنة (١٢٢٥هـ)- وصلت الأخبار من البلاد الرومية والشامية وغيرها بوقوع الزلزلة في الوقت الذي حصلت فيه بمصر إلاّ أنها كانت أعظم وأشد وأطول مدة، وحصل في بلاد كريت إتلافات كثيرة وهُدمت أماكن ودور كثيرة، وهلك كثير من الناس تحت الردم، وخسفت أماكن وتكسر على ساحل مالطة عدة مراكب، وحصل أيضاً باللاذقية خسفٌ، وحكى

---

(١) حوادث حلب اليومية ١٧٧١ - ١٨٠٥ - يوسف بن ديمتري بن جرجس الخوري -عبود الحلبي- ص ٢٨. دار شعاع للنشر والعلوم.

الناقلون أن الأرض انشقت في جهة من اللاذقية، فظهر في أسفلها أبنية انخسفت بها الأرض قبل ذلك ثم انطبقت ثانياً[1].

زلزال ١٨٢١م - ١٢٣٦هـ:

في الساعة الثالثة بعد منتصف ليل أول آب سنة (١٢٣٦هـ - ١٨٢١م)، حدث زلزال شديد أدى إلى تهديم منازل كثيرة في مدينة حمص، ولاسيما في الجهة الشمالية منها، وتتابعت بعدها الهزات الخفيفة تتوالى بين حين وآخر طيلة شهرين، لدرجة أن معظم السكان فروا إلى البساتين للنوم فيها، خشية من هبوط المنازل عليهم. وقد قتل تحت الردم من سكان حمص بسبب الزلازل هذه ما لا يقل عن مئة نسمة. أما معظم النكبة التي لحق بالبلاد السورية فقد أصابت مدينة حلب بصورة خاصةٍ، إذ مات تحت الردم ما يناهز (١٥) ألف نسمة. وفق ما رواه المؤرخ الطباخ (أعلام النبلاء)[2]. والمؤرخ الطباخ نقل فيه قصيدة مخمسة لـ محمد تقي الدين المطلبي وصف فيها كوارث الزلازل، وأشار فيها إلى ما أصاب إدلب وحمص ومناطقها. وقد أثبتناها على ما فيها من التسامح من ناظمها والتحريف من ناسخها، إذ قال فيها:

مـــا لليـــالي تمـــادى في مـــساويها   والـــدهر كـــدّر لـــذّاتي وصـــافيها

والحادثـــات رمتنـــي في دواهيهـــا   كأنّها السيل سيل العارض العرم

أو بحـــريم طغـــى مـــن عنـــد منـــشيها

(١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، للشيخ عبد الرحمن الجبرتي ج٣. ص ٢٩٠.

(٢) تاريخ حمص، منير الخوري – عيسى أسعد. ج ٢، ص ٣٦٩.

تزلزل العقل منّا والقلوب دوت   والروح ماجت وفي بحر الهموم

وجمرة الحرب في وسط الفؤاد ثوت   أخنت ضلوعي وعيني الغزار كوت

فسال دمعي من عيني ليطفيها

فكم خطوب بأرض الشام قد وقعت   وفي حماة وحمص أعين دمعت

وفي المعرة كم من نسوة فجعت   وأرض ريحا وسلقين لقد صدعت

وأرض عنتاب ماجت في أهاليها

أين القصير وأين الجسر يا سندي   صاروا رمياً بلا مال ولا ولد

أفناهم الدهر والباقون في كمد   وكم تحصنوا في حصن وفي زرد

فلم تفدهم وناعي الموت ناعيها

أرض الأتارب غارت ثمّ إبّين   ورام حمدان ليس الأمر بالهين

وإدلب هدمت وبلاد سرمين   وبنش بعضها ومعرة مصرين

وبلاد دركوش قد غارت بمن فيها

يا إدلب أين أنت من مواليك   صرت خراباً وقد شتّت أهليك

ما لي أراكِ وقد هدت أعاليك   أغالك الدهر أم شلّت أياديك

أم الزمان جنى أم خان واليها

ما لي أرى البوم في ساحاتها   والدور خالية من بعد ما سُكنت

والأرض ماجت بهم يا ليتها ركنت　　　تلك الزلازل عليهم بعدما أحزنت

نـــساءهم وابـــتلاهم في ذراريهـــا

حيفي على إدلب ما كان ألطفها　　　في أهلها والنسا ما كان أظرفها

حلّت على بلايا لست أعرفها　　　تستغرق الكتب لو قد كنت أوصفها

فـــالله بـــاريهم قـــد خـــصّهم فيهـــا

دركوش دركوش لم يبق بها دار　　　ولا رجال ولا أنثى ولا جار

وكلّهم في بطون الأرض قد صاروا　　　جبالهم فوقهم من هزّة ماروا

تبكي الوحوش عليهم ثمّ عاصيها

من أرمناز بلاني الدهر بالعبر　　　فبعضهم في الفلا والبعض في حفر

وبعضهم مثخن والبعض في سفر　　　والدور واقعة والكلّ في كدر

أمسوا مواتاً وقاضي الحق قاضيها

يا جسر شغر لحاك الله من وطن　　　أفنيت أهلك لا غُسْل ولا كفن

قرّحت قلبي بالأحزان والشجن　　　أسفاً على كلّ وجه أبيض حسن

وأهيـــف قـــد دوّت منـــه مبانيهـــا

ريحا قراها قراها الدهر كأس ظما　　　والعين من أجلها شربت كؤوس

والبين هدّم أركاناً لهم ورمى　　　والحتف في أهلها كالبحر حين طمى

نـــاداهم المـــوت فـــاتبعوا مناديهـــا

وسرمدا وبلاد الحلقة انهدمت وأكثر الخلق مع أموالها انهزمت

ودورها بعضها في البعض اصطدمت من بعد ما شيدوها القوم واختدمت

وأهلها في البلا لا خُلٌّ ينجيه

عيناي من كثرة الزلزال قد سهرت وحادثات الليالي للورى قهرت

آيات خالقنا للخلق قد بهرت لفظت درّاً وأفكاري به ظهرت

استغفر الله ممّا كنت أجنيها

ويذكر أنه استمرت هذه الزلازل مدة أربعين يوماً، في كلّ يوم تقع هزّة حتّى إن الناس هجرت منازلها، وسكنت الخيام في البراري[1].

زلزال ١٨٢٢م- ١٢٣٧هـ:

في سنة ١٨٢٢م حدثت في اللاذقية زلزلة هائلة هدمت فيها أبنية كثيرة، فهرب الناس من البيوت، وأقاموا في البساتين تحت الخيام مدة طويلة.

قال مسيو بوجولا السائح الفرنسي الذي زار اللاذقية سنة (١٨٣١) في رسائل رحلته: «إن مدينة سلوقس هذه - أي اللاذقية - قائمة في أرض بركانية، والظاهر أنها تتزلزل بلا انقطاع، حتى إنه يصعب عليها أن تثبت متمكنة، وهي لا تنتهي من الإشغال في النهوض من سقطة خراباتها».

وقد كانت زلزلة سنة (١٨٢٢) مشؤومة على هذه المدينة خاصة، لأن انتفاضها قلب حارات منها برمتها، حتى إن خانها الكبير لم يتمكن من الثبات.

---

(١) الظاهر والمدفون في بلد الزيتون، عبد الحميد مشلح، ج١ ص٣٠.

والإسكلة تتألف من طريقين، على جانبيها مخازن عريضة، قد خربت نصف خراب في الزلزلة الأخيرة.

وكان في الإسكلة حمام وفرن، فهدمتهما الزلزلة، ولم يبق الآن لهما أثر(١).

زلزال ١٨٧٢م- ١٢٨٩هـ:

في ٢٢ آذار ١٨٧٢ في الساعة الحادية عشرة من النهار حدثت زلزلة قوية في اللاذقية، أخافت الأهالي، ولا سيما إذ ورد الخبر بالتلغراف أن مدينة أنطاكية قد خرب ثلثها بتلك الزلزلة، وقتل كثيرٌ فيها. فخرج أهالي اللاذقية من بيوتهم، وأقاموا في الفلاة نحو يومين، ثم رجعوا إليها.

ثم في ليلة الاثنين الواقع في ١٦/ نيسان/ ١٨٧٢م نحو الساعة الرابعة من الليل حدثت زلزلة شديدة في اللاذقية، ارتعش منها جميع سكان المدينة، لأنها أيقظتهم من رقادهم، فخرجوا جميعاً إلى البراري والبساتين في ذلك الليل الدامس وجلين مرتاعين. ولما كانت الأخبار متواصلة من أنطاكية عن تعاقب حدوث الزلازل فيها، اشتد خوف أهالي اللاذقية مسلمين ونصارى، وإن كان لم يسقط فيها بالزلزلتين المار ذكرهما إلا حائط واحد قديم.

فهجروا منازلهم ونصبوا الخيام في الحدائق والبساتين خارج المدينة، وأقاموا تحتها، وكان كثيرٌ منهم يشعرون بحدوث زلازل خفيفة في أكثر الأيام، فلبثوا تحت الخيام مدة نحو أربعين يوماً حتى سكن روعهم ورجعوا إلى بيوتهم(٢).

---

(١) آثار الحقب في لاذقية العرب - إلياس صالح. مخطوط، ص١٤٦.

(٢) آثار الحقب في لاذقية العرب - إلياس صالح. مخطوط، ص ٢٣٧.

استشعار الحيوانات بقرب حدوث الزلازل:

من المعلوم أن بعض الحيوانات تشعر بقرب حدوث الزلازل قبل وقوعها بوقت قصير بدقائق أو بضع ساعات، وتتصرف بشكل شاذ عن عاداتها، وتعدّ هذه التصرفات مؤشراً للتنبؤ بحدوث زلزال، ومن ذلك نباح الكلاب غير العادي، وصهيل الخيول وكأنها تجفل من شيءٍ ما، وخوار الأبقار، وصراخ الإوز، وهروب الكلاب من المدينة، وتشتت القطط، وفرار أسراب الطيور البحرية إلى اليابسة. ولعل هذه الحيوانات تسمع ذبذبات الخطر قبل وقوعه.

وإذا كان الإنسان لا يستطيع سماع الأصوات التي تقل ذبذباتها عن ألف ذبذبة في الثانية، أو تزيد على عشرين ألف ذبذبة في الثانية، فإن بعض الحيوانات كالكلاب والقطط والثعالب تستطيع سماع ترددات عالية، يمكن أن تصل إلى ستين ألف ذبذبة في الثانية، وتستطيع الفئران والخفافيش سماع الأصوات التي تصل تردداتها إلى مئة ألف ذبذبة في الثانية، في حين تستطيع بعض الحيوانات كالحمام الزاجل سماع الأصوات ذات الترددات المنخفضة جداً، التي يمكن أن تصل إلى ثلاث ذبذبات في الثانية.

في الفترة ١٩٥٩–١٩٦٥ و١٩٦٩–١٩٧٢– خلال دراستي الجامعية الأولى والثانية في (موسكو)، روى لي صديق من مواطني جمهوريات آسيا الوسطى الحادثة الواقعية التالية التي حدثت عندهم:

كانت إحدى الأسر تربي كلباً لديها في المنْزل، وفي أحد الأيام، وفي لحظة ما، وبصورة فجائية انقض هذا الكلب على الطفل الرضيع لهذه الأسرة، وحمله بأسنانه من ثيابه، وانطلق به خارجاً من المنْزل، وفوجئ أهل البيت بهذا المنظر الرهيب،

وهبوا ركضاً وراء الكلب لإنقاذ الطفل الرضيع، ولم تمض دقائق من مطاردة الكلب حتَّى زلزلت الأرض، وهُدم منْزل الأسرة ومباني المنطقة المجاورة. لقد استطاع هذا الكلب الذكي والوفي الذي شعر بقرب حدوث الزلزال إنقاذ الطفل وأهله من كارثة وشيكة، ولم يكن لدى هذا الكلب من طريقة للتعبير عن قرب حدوث هذا الخطر الداهم سوى هذا التصرف السريع.

وقعت هذه الحادثة قبل دقائق من الزلزال الذي أصاب مدينة (طشقند).

التنبؤ بوقوع الزلازل:

إضافةً إلى استشعار الحيوانات بوقوع الزلازل قبل حدوثها، هنالك ظواهر طبيعية معينة تعتبر مقدمات لحدوث الزلازل، فقد تحصل بعض الانهيارات الأرضية أو انزياحات في التربة، وأحياناً يتغير مستوى المياه الجوفية. ثم إن خبراء تسجيل الهزات الأرضية لاحظوا قبل حدوث بعض الزلازل بوقت قصير حصول تغير في سرعة انتشار الأمواج السيسمية (الأمواج الاهتزازية)، وهذا مؤشر على تغيرات تطرأ على التراكيب الصخرية العميقة، فيمكن أن تتحد هذه الطبقات أو تبتعد مما يؤدي ،إضافةً إلى عوامل أخرى ، إلى تغير في سرعة انتشار هذه الموجات.

واكتشف العلماء أنه قبل وقوع بعض الزلازل بعدة ساعات أو دقائق تحدث تشققات دقيقة في الأمكنة التي تتركز فيها الإجهادات، كما تحدث تغيرات في شدة التيارات الكهربائية الأرضية، وزيادة في شدة الإشعاعات الكهر مغناطيسية، وتتولد قبل حدوث الزلازل بوقت قصير أصوات ذات ترددات عالية، يمكن أن تكون نتيجة لتصادم الكتل الصخرية الضخمة، ويمكن أن تنطلق أصوات أخرى بسبب الهزات الأرضية الأولية، أو بسبب الانطلاق

المفاجئ للغاز تحت سطح الأرض، وهي أصوات ضعيفة ذات ترددات أقل من مئة ذبذبة في الثانية. ويمكن اعتبار تغير مستوى المياه في الآبار والينابيع، وتغير غزارة الينابيع الحارة أو جفاف بعض الينابيع، أو تعكر المياه فيها، من الأمور التي تشير إلى توقع حدوث زلزال بالفترة القريبة.

إن الدراسة الدقيقة للزلازل التي حدثت في الماضي، وتحديد الأمكنة وزمان حدوثها، تمكننا من وضع خريطة زلزالية تساعد في التنبؤ عن مكان وزمان وقوع الزلازل في المستقبل، مما يؤدي إلى تقليل الخسائر المادية والبشرية إلى أقل حد ممكن.

وكذلك الأخذ بعين الاعتبار مناسبة هذه المناطق لإقامة منشآت حيوية كالمحطات الكهربائية والسكك الحديدة وبناء الأبنية السكنية وغيرها.

ويمكن الاستفادة من استشعار بعض الحيوانات للزلازل قبل وقوعها واعتبارها كأجهزة إنذار مبكر للزلازل، فهي عبارة عن أجهزة رصد للزلازل قليلة الكلفة ودقيقة ومتوفرة ومنتشرة في كل أنحاء العالم.

من خلال استعراضنا لتاريخ هذه الزلازل نلاحظ التالي:

١- أن (٨٠٪) من الدمار الذي لحق باللاذقية في مرحلتها الرومانية، وغيرها من المدن بالشام كان بسبب الزلازل و(٢٠٪) بسبب الحروب.

٢- ألحقت الزلازل دماراً كبيراً بمدينة اللاذقية الرومانية، فمعظم الأعمدة البازلتية التي كان تزين الشوارع قد انهارت وطمرت تحت الأرض، وكثيراً ما تظهر هذه الأعمدة المطمورة من حين لآخر عند حفر الطرقات في المدينة القديمة من أجل تمديدات الصرف الصحي، وخاصة في الطريق الممتد من

قوس النصر في الصليبية إلى الميناء، ولا يزال قسم منها مطموراً حتى الآن، وفي غيره من الطرقات القديمة.

٣- لم يُحص عدد الضحايا في اللاذقية عند حدوث كل زلزال بينما أحصي عدد الضحايا في حلب بـ (٢٢٠٠٠) نسمة في زلزال ٥/ ٩/ ١٨٢٢م وتهدم نصف الأبنية حسب مصادر أخرى[1].

٤- من المحتمل أن يكون اختفاء مملكة أوغاريت فجأة من التاريخ وبقاؤها فترة طويلة نسياً منسياً بسبب الزلزال الكبير سنة ١٣٥٦ق.م، أو كارثة طبيعية، لقربها من البحر وعدم ارتفاعها عنه كثيراً.

وربما استطاع الباحثون المهتمون ربط اختفاء مملكة أوغاريت بحدوث كارثة أخرى.

٥- إن الهجمات على اللاذقية واحتلالها فترة طويلة أو قصيرة من قبل الفرنجة، أو من قبل قواتهم المتمركزة في قبرص، قد توقفت تماماً بعد مجيء الدولة العثمانية.

وبعد انهيار الدولة العثمانية عاد الأوروبيون بأسلوب عصري جديد إلى المنطقة، فاحتلت فرنسا سوريَّة ولبنان، واحتلت إنكلترا فلسطين والأردن والعراق، وبعد أن تم تحرير هذه البلاد من الأوروبيين لا يزال الأوروبيون الصهاينة متجذرين في فلسطين حتى الآن بمساعدة من بلاد الغرب عموماً، ودعم مستمر من الصهيونية العالمية.

٦- إن اللاذقية القديمة في العهدين المملوكي والعثماني بما فيها من أزقة وحارات وأسواق وقناطر وحمامات وبيوت قديمة عاش فيها الناس

---

(١) الموسوعة العربية ج ١٠ ص ٣٨٤.

مئات السنين في العصر المملوكي والعثماني قد اندثر معظمها، أي نحو (٩٠٪) منها، وذلك في الخمس والستين سنة الأخيرة. ولم يكن ذلك بفعل زلزال، وإنما بفعل الإنسان.

٧- ما يمكن عمله الآن هو لَمُّ شتات ما تبقَّى، وتوثيق كل ما يمكن توثيقه عن حياة أناس عاشوا في هذه المدينة الجميلة مئات من السنين.

تاريخ قلعة اللاذقيَّة(*)

حيُّ (القلعةِ) من الأحياء القديمة في اللاذقيَّة، وبوَّابة اللاذقيَّة للواردِ إليها من خارِجها، وهو الحيُّ الوحيد الذي ما زال يحتفظ بالبوَّابة الوحيدة من بوَّابات اللاذقيَّة المندثرة. وقد كان على ظهر هذا الحي قلعةٌ قديمةٌ لها تاريخٌ ذو شأنٍ طويلٍ، وحكايةٌ سنستعرضها، ونغوص فيها، ونحاول معرفة كلّما يرتبط بِها. عندما أنشأ (سلوقو سنيكاتور) أحد قوّاد (الإسكندر المقدونيّ) مدينةً على السَّاحل السُّوري إبّان حكمه لسوريَّة، سمّاها (لاوديسيا)، وذلك نحو عام (٣٠٠) ق.م، فقدْ وردَ في كتابِ (زبْدةُ الحَلَب مِنْ تاريْخِ حَلَبَ) لابنِ العديم:

«وذَكَر يَحيى بنُ جريرٍ التكريتيُّ، فِي كتابٍ لَهُ ضَمَّنَه أوقاتَ بناءِ المُدْن....، بعدَموتِ الإسكندرِ، فإنَّهُ قالَ بعد ذكرِ دولةِ الإسكندرِ وموتهِ باثنتَيْ عشرةَ سنةً: بَنَى سلوقس «نيكاتور» اللاذقيَّةَ، وسلوقيَّةَ، وأفاميَّةَ»(١). ومن عام (٦٤) ق.م أصبحتِ اللاذقيَّةُ جزءاً من الولاية الرُّومانيَّة في سوريَّة. بُنيتِ اللاذقيَّة حينذاك على طراز المدن الهلنستيَّة أولاً ثمّ الرُّومانيَّة، إذ ضمَّت أهمَّ المنشآت؛ وهيَ (القلعةُ) التي من شأنِها زيادة قوَّة المدينة الدِّفاعيَّة، وعادةً تُبْنى على أعلى

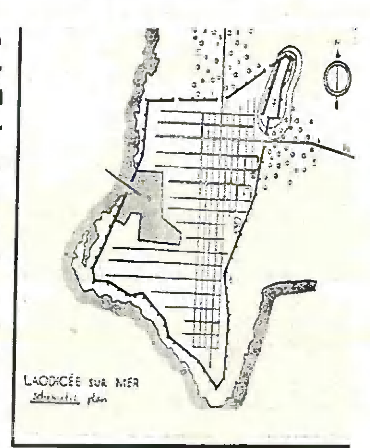
(*) شارك في كتابة هذا الموضوع الأستاذ سامر خالد منا.

(١) زبدة الحلب في تاريخ حلب – ابن العديم – دار الكتاب العربي، دمشق ١٩٩٧م، ج ١ / ٣٧ – ٣٨.

منطقةٍ في المدينةِ، ويُقامُ سورٌ دفاعيٌّ مناسبٌ لوضعِ المدينة الجغرافيِّ مع بوّاباتِها الضَّخمة، وتُخطَّط المدينة بشوارعها الرَّئيسة المتقاطعة، وتُقامُ أقواس النَّصر (التَّرابيل) والمعابد والأسواق والسَّاحات العامَّة والمسرح وملاعب الخيل، وتُزوِّد المدينة بالمياه. كلُّ هذه المنشآت أُقيمت في مدينة اللاذقيَّة، حسب المخطَّط التَّخيُّلي المرفق؛ الذي رسمه لمؤرِّخون الأجانب.

وخارج السُّور كانت هناك المزارع وأشجار الكرمة والفواكه المتنوِّعة وغيرها. إذاً خُطِّطتِ اللاذقيَّةُ بشكلٍ أوضَحَ وأدقَّ من أنطاكيَّةَ، مِنَ الشَّمالِ إِلَى الجنوب، ومِنَ الشَّرقِ إلى الغربِ، وقدِ انعكسَ هذا المخطَّطُ في بناءِ مدينةِ اللاذقيَّةِ الآنَ. فعمليةُ بناءِ المْدنِ الْهيلنستيَّةِ لَمْ تكنْ عفويَّةً، وَإِنَّما خُطِّطَ لَها على مستوىً شاملٍ وواسعٍ؛ وبشكلٍ دقيْقٍ للغايةِ[1].

القلعة في العهد الإسلامي



١) معبد باخوس.
٢) ساحةٌ حيث يقع قوس النَّصر في الجهة الشَّماليَّة.
٣) المسرح، وقد بقيت بعض آثاره.
٤) الميناء القديم.
٥) المقابر.
٦) السُّور الافتراضيُّ للمدينة.
٧) القلعة.
٨) الشَّوارع الرَّئيسة: شمال- جنوب الكاردو متقاطع مع الديكامونس شرق – غرب.
٩) شارع البلديَّة.

مخطط افتراضي لمدينة اللاذقية الرومانية

---

(١) المجتمع السوري في عصر البريتسيات القرن ١–٣ م – شيفهان – مؤسسة الوحدة دمشق ١٩٨٧م/ ١٥.

بسببِ متانةِ حصونِها لَمْ تكنِ اللاذقيَّةُ سهلةً على الفتْحِ الإسلاميِّ، فقد كانت محصنة بسورها وقلعتها ولم يكن من السهل الاستيلاء عليها. وجرى ذلك بعد مئات من السنين، إذ لم يفلح البيزنطيون من الاستيلاء على اللاذقية، التي كانت محتلة من قبل الصليبيين كما تذكر المصادر التاريخية البيزنطية، فقد حاصرها البيزنطيون بقيادة كانتاكوزينوس لانتزاعها من الصليبيين المتحصنين فيها، فهاجم أسوار المدينة ليلاً ونهاراً، ولكنه لم يحقق شيئاً يذكر، فمئات من الهجمات من قبله تمت على سور المدينة ومئات منهن رددن؛ وأخفقت معركته ضد الصليبيين. وكان ذلك عام ٤٩٣ هـ - ١٠٩٩م[١].

يوردُ أحداثَ الفتْحِ (البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ-٨٩٢م) فِي كتابِهِ (فتوح البلدان).

كَمَا يلي: فأتى اللاذقية عبادة بن الصامت فقاتلَهُ أهلُهَا، فكانَ بها بابٌ عظيمٌ لا يفتحُه إلا جماعة منَ الناسِ، فلما رأى صعوبة مرامها عسكرَ المسلمون على بُعْدٍ من المدينة، ثُمّ أمرَ أن تحفر حفائرُ عظيمة تَسْتُرُ الحُفرةُ منها الفارسَ راكباً، ثُمَّ إنهم أظهَرُوا القفول إلى حمص، فلمّا جَنَّ عليهم الليلُ عادُوا إلى معسكرهم وحفائرهم، وأهل اللاذقية غارون يرون أنّهم قد انصرفوا عنهم، فلما أصبحوا فتحوا بابهم وأخرجُوا سَرْحَهُمْ، فلم يرعهم إلا تصبيح المسلمين إياهم ودخولهم باب المدينة، ففتحتْ عُنْوَة، ودخل عبادة الحصن، ثم علا حائطه فكبر عليه، وبنَى المُسلمونَ بِاللاذقية مسجداً جامعاً بأمر «عبادة بْنِ الصامتِ»، ثُمَّ وُسِّعَ فيه بعْدُ)[٢].

---

(١) ألكسياد - آنا كومنينا ١٠٨٣م - تاريخ الحروب الصليبية. د. سهيل زكّار.
(٢) فتوح البلدان للبلاذري / ١٣٨.

نُدرك من خلال هذا النَّص أنّ قوّات المسلمين لم تستطع فتح مدينة اللاذقيَّة، لمناعة حصنها وسورها، ويتمّ فتحها بسهولة خلال بضعة أيام فقط، وبدون خسائر تذكر. الأمر الذي يدل على عبقرية القائد العسكرية والدراسة الميدانية للمواقع والتضاريس المحيطة بالمدينة للاستفادة منها، والتكتيك الحربي بالانسحاب المزيف، ووضع خطة محكمة للهجوم والفتح. كان موقع بوَّابة اللاذقيَّة الشَّرقيّ في المنخفض؛ بين هضبتي القلعة والطَّابيَّات، لسهولة دخول القوافل القادمة من الشَّرق، والطريق القديم إليها يخترق منطقة زراعية تنمو فيها الكرمة وأشجار التين والزيتون وغيرها التي تعد مصدراً تموينياً مهماً لسكان المدينة القديمة ويمر بمنطقة الصَّيريج (محطّة القطار حاليّاً)، وقبر أمير الجماعة (الإطفائيَّة حالياً) حتَّى وصولها للبوَّابة، أي إنَّ البوابة تقع مقابل (ثانويَّة عدنان المالكي حالياً) وشمال معبد (باخوس) الذي لا تزال آثاره باقيةً من خلال أربعة أعمدةٍ قائمة منه حتَّى الآن. وكان هذا المعبد بجوار سور اللاذقية، وبالقرب من بوابتها الشرقية، ويبعد عشرات الأمتار عن بناء قوس النصر الذي ينسجم معه معمارياً وخدمياً. وبقي مدخل اللاذقية الشرقي عبر هذا الطريق التاريخي القديم حتى بداية القرن التاسع عشر، وما يزال هذا المدخل مستخدماً حتى الآن مع بعض التعديلات والتغييرات التي طرأت عليه بسبب التطور العمراني وتوسع المدينة. فباب المدينة ككلّ المدن الرُّومانيَّة كان ضخماً، وله وظيفتانِ: وظيفةٌ دفاعيَّةٌ باعتباره يتمتَّع بقوَّة صمودٍ كبيرةٍ، ووظيفةٍ تجميليَّةٍ لأنَّه يشبه أقواس النَّصر. وله ثلاث فتحات؛ الفتحة الوسطى وهي أكبر من الفتحتين الجانبيتين، وهي مخصصة لدخول وخروج قوافل الجمال والدواب. أما الفتحتان الجانبيتان فلدخول الأشخاص والحمولات الخفيفة. ويحتاج هذا الباب العظيم إلى جماعةٍ لفتحهِ. أمَّا منطقة (الحفائر)

المذكورة في نصّ (البلاذري) التي اختبأ فيها الفرسان؛ فيُطلق عليها سكَّان اللاذقيَّة (منطقة المحافر).

وهذه المنطقة أُقيمت عليها محطَّة كهرباء المدينة، ولا تزال قبل ربطها بالشَّبكة العامَّة.

وهي منطقةٌ منخفضةٌ مخفيةٌ عن الأنظار، ولا يستطيع حرَّاس القلعة والسُّور حول اللاذقيَّة رؤية ما يجري فيها.

وقد تأكدت من هذا الأمر ميدانياً عند زيارتي لهذه المنطقة، وهي ذات تضاريس ملائمةٍ من حيث وجود مغاور طبيعيَّة وشقوقٍ، وزاد عليها ما حفره الفاتحون لزيادة استيعاب أعداد الفرسان والجنود. وهي تقع جنوب شرق محطَّة القطار، وكانت هذه المنطقة حتَّى منتصف القرن العشرين مأوًى للضِّباع، إذ كانت الضّباع تدخل المدينة ليلاً بحثاً عن طعامٍ، وخاصَّةً في أزقَّة حيي (الشَّحادين) و(الصَّبَّاغين) القريبين من مدخل اللاذقيّة الشَّرقيّ، بسبب العتمة الشَّديدة، وكانت هذه الضِّباع يشاهدها بعض النَّاسِ. وقد اشتهرت بين السكان بضبعة المحافر. وقد أكدت ذلك جريدة صدى الاتحاد التي صدرت في اللاذقية في عددها رقم ٢٦ تاريخ ٤ شباط ١٩٥٠: «أن سكان محلتي الصليبة والشحادين باللاذقية شاهدوا ضبعاً يؤم الحيين كل ليلة بين الساعة التاسعة والعاشرة، ويوقع الرعب في نفوس النساء والأطفال ويهدد المارة. ويظهر أن شدة البرد وتكاثر هطول الثلوج في البلاد أخرجت جماعة الضباع من مخابئها ودفعتها للتفتيش عن رزقها».

وفي سنة ١٩٤٥م كنت أسمع أصوات بنات آوى (الجقيلات: عند العوام)، وهي تعوي تحت نوافذ بيتنا في حيِّ الطَّابيات قرب ضريح (أبي الدَّرداء)، وذلك في

أثناء وجود القوّات الإنكليزيّة في اللاذقيّة للفصل بين الجنود الفرنسيين وأهالي المدينة وكانت طرق الطابيات في تلك الفتره ترابية وغير معبدة.

منطقة (الحفائر) هذه تبعد نحو ستمئة مترٍ من جهة الشَّرق عن بوَّابة اللاذقيَّة الضَّخمة؛ التي تحتاج إلى عددٍ من الأشدّاء لفتحها كما أسلفنا. ويستطيع الفارس عدواً الوصول إلى البوَّابة من هذه المنطقة خلال ثلاث دقائق فقط. وحرَّاس البوَّابة لا يستطيعون تمييز المهاجمين من جهة الشّرق، لأنَّ نور الشَّمس في إشراقتها الصَّباحيَّة تُعمي أبصارهم بعض الوقت، وهو كافٍ ليمنح المهاجمين دقيقةً إضافيَّةً للاقتراب أكثر من البوَّابة، وما إن يتبيّن الحرَّاس طبيعة المهاجمين حتَّى يصبح الوقت متأخِّراً لإغلاق البوَّابة، فيصل الفرسان مع السُّكَّان المحلِّيين المذعورين والعائدين ركضاً إلى ما وراء البَّوابة بعضهم مع بعض. وهذا هو عنصر المفاجأة، وسرُّ نجاح الخطَّة.

والرَّاصد من الفاتحين المختبئ لمراقبة فتح بوَّابة المدينة، وخروج النَّاس بسرحهمْ في الصَّباح، وانتشارهم بظاهر البلد، وإعطاء الإشارة والتَّوقيت المناسب للهجوم، زاد من نجاح الخطَّة، وقلَّل كثيراً من خسائر الطَّرفين. فلم تشر أيّ مصادر تاريخية عربية أو بيزنطية أنه حدثت معركة بين الطرفين حين اقتحام المدينة. فدخل (عبادة بن الصّامت) وجنوده اللاذقية وصعد حسب الرِّواية التَّاريخيَّة إلى السُّور وكبّر. وربَّما صعد أعلى (معبد باخوس) الموجود في حيِّ (الصلَّيبة) لسببين:

١ - كان (معبد باخوس) بجوار البوَّابة، وملاصقاً للسور ويمثِّل جزءاً من بناءٍ كبيرٍ، تدلُّ على ذلك الآثار المتبقية منه.

٢ - وجود ساحةٍ كبيرةٍ أمامه لتجمُّع النَّاس.

موجز الأحداث التي مرَّت على اللاذقيَّة حسبما ورد في المراجع التَّاريخيَّة، وعلاقة القلعة بِها:

نجد ذكراً لحصون بني الفصيص أيَّام خلافة (المتَّقي) العبَّاسيّ. ولعلَّ قلعة اللاذقيَّة كانتْ جزءاً من هذه الحصون.

يقول (ابن العديم): «ثُمَّ ولَّى مؤنسٌ المظفَّر غلامَهُ طريفَ بْن عَبدِ الله السَّبكري الخادم، في سنة تسعَ عشرةَ وثلاثمئة، وكان ظريفاً شهماً شجاعاً، وحاصرَ بنِي الفصيص في حصونِهم باللاذقيَّة وغيرها، فحاربوه حرباً شديدةً، حتَّى نفدَ جميع ما كان عند هم من القوت والماء، فنَزلوا على الأمان فوفِّي لهم، وأكرمهم، ودخلوا معه حلب مُكرَّميْن مُعظَّميْن، فأُضيفت إليه حمصُ معَ حلبَ»[1]. وتكرَّرت على اللاذقيَّة جملةٌ من الهجماتِ، ومنها ما كانتْ للفرنْجةِ –أي الرُّومِ- كما ذكر (ابنُ العديْم) فِي سنةِ ١٠٩٨م/ ٤٩١هـ أَنَّهُ فِي الثَّامنِ مِنْ شهرِ رمضانَ، وصلَ منْ قبْرصَ إِلَى ميناءِ اللاذقيَّةِ اثنتانِ وعشرونَ قطعةً فِي البحْرِ للفرنْجةِ، فَهجموا عليْهَا وأخذوا منها جَمِيْع مَا كانَ للتجَّارِ، ونَهبُوا اللاذقيَّةَ، وعادُوا[2].

قلعة اللاذقية أيام الحروب الصليبية :

لعل ما ورد في كتاب الألكسياد الذي كتبته ابنة الإمبراطور البيزنطي آناكومنينا التي ولدت سنة ١٠٨٣م في القسطنطينية وعايشت أحداث الحروب الصليبية واطلعت على تفاصيلها بحكم وجودها قرب والدها الإمبراطور البيزنطي الكسيوسك ومنين – فيها لكثير من الحقائق.

---

(١) زبدة الحلب في تاريخ حلب، ابن العديم ج ١ / ١٠١.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢ / ١٣٠.

وقد حمل الكتاب اسم الألكسياد، وهو مقتبس من اسم والدها. ورد في الكتاب أن هناك اتفاقاً بين الإمبراطور البيزنطي الكسيوس وقادة الحملات الصليبية المارة من بلاده أن تتبع المدنُ التي يحتلونها في طريقهم إلى بيت المقدس الإمبراطور البيزنطي. وقد نَقَضَ هذا التعهد بعضُ هؤلاء القادة الفرنجة أمثال بوهيموند.

فقد قام تانكرد (ابن أخت بوهيموند) بحصار مدينة اللاذقية وأخذها بالقوة من البيزنطيين. ووصلت الأنباء إلى الإمبراطور باحتلال تانكرد لمدينة اللاذقية.

فأرسل رسالة إلى بوهيموند قال فيها: لاشك أنك عارف بالمواثيق والعهود التي صنعتها للإمبراطور البيزنطي، ليس من قبلك وحدك، وإنما من قبل بقية الأمراء.

وأنت الآن أول من يحنث بوعده، لقد استوليت على أنطاكية، وقمت بالاستحواذ بطرائق خفية على عدد آخر من الأماكن الحصينة بما في ذلك اللاذقية نفسها، إنني أطالبك أنت بالذات بالجلاء عن مدينة أنطاكية والأماكن الأخرى، فبذلك تكون قد قمت بصنع ما هو صحيح، ولا تحاولن إثارة العدوان والحرب مجدداً ضد نفسك[1].

وقام الإمبراطور ألكسيوس عام ١٠٩٩م بإرسال كانتاكوزينوس على رأس جيش معتبر، وأخذ معه جميع القوى البحرية البيزنطية باتجاه المدن الساحلية الجنوبية.

---

(١) ألكسياد، آنا كومنينا ص ٦٤.

وقد وصل إلى اللاذقية وكانت لديه الرغبة في الدخول في امتحان للقوة مع بوهيموند، إذ قام باحتلال الميناء، وهاجم - بلا توقف - أسوار المدينة ليلاً ونهاراً، لكنه لم يحقق أي تقدم يذكر، فمئات الهجمات تمت على سور المدينة، ومئات منهن رددن، وأُحبِطَت محاولاته لكسب الفرنجة إلى جانبه، وهكذا أخفقت معركته ضدهم، لهذا عمد إلى تشييد سور مستدير من الصخور الجافة بين الرمال وسور اللاذقية، واستغرق هذا العمل ثلاثة أيام بلياليها.

وعندما كملت عمارته، استخدمه بمثابة غطاء واق. وجرى بناء سور آخر من الداخل محكم جاء بمثابة قاعدة من العمليات القتالية ضد دفاعات المدينة.

زيادة على هذا شيّد برجين على طرفي مدخل المرسى، ومد سلسلة معدنية بينهما، وبهذا حال دون وصول المساعدات من جهة البحر.

ونلحظ في هذا المقام أن كانتا كوزينوس لم يبدع هذه الطريقة، فهي أساس عمل قام به المهدي بإنشاء تحصينات للمراسي قبل ١٨٥عام عند بنائه لمدينة المهدية في تونس سنة ٣٠٠ هـ/ ٩١٣ م. فعندما وجد أن مساحة الجزيرة غير كافية، قام بردم جزء من البحر، كما قام بنقر ميناء لها في الصخر يتسع لنحو ٣٠ سفينة.

وأقام على مدخل هذا المرسى برجين عظيمين - ما تزال بقاياهما قائمة - للحراسة، ربط بينهما بسلاسل من الحديد لتحول دون طروق السفن الغريبة إلى الميناء[1].

---

(١) كتاب أخبار القرامطة د. سهيل زكار- ص ٨٥.



مرفأ اللاذقية عام ١٩٣٠م

ويظهر فيه مكان البرجين عند مدخل المرسى

- واستولى في الوقت نفسه على عدد من الحصون على طول الساحل مثل: عرقة، والمرقب، وجبلة، ومواقع أخرى حتى حدود طرابلس، منها ما كان يدفع في السابق الجزية للمسلمين، لكن أعيد ضمه حينئذ إلى أراضي الإمبراطورية البيزنطية وتوحيده معها، وذلك بعد بذل الكثير من الجهد والعرق. وأدرك ألكسيوس أنه ينبغي حصار اللاذقية من جهة البر أيضاً، فلقد كان صاحب تجربة طويلة بحيل بوهيموند وطرائق قتاله، ويعرف جيداً الطبيعة الخيانية لهذا الأمير وأعمال تمرده. لهذا بعث موناستراس على رأس فرقة قوية ليحاصر اللاذقية من جهة البر، بينما قام كانتاكوزينوس بحصارها من جهة البحر، لكن قبل وصول موناستراس كان زميله قد تمكن من احتلال كل من الميناء والمدينة، وبقيت القلعة في أيدي خمسمئة من مشاة الفرنجة ومئة من فرسانهم. وسمع بوهيموند بكل هذا كما وصله خبر من الكونت المسؤول عن الدفاع عن القلعة، بانعدام المؤن لديه، فقام بجمع قواته مع قوات تانكرد وصنجيل، وحمل جميع أنواع الأطعمة والمؤن على ظهور البغال، وانطلق يريد اللاذقية، وعندما وصلها لم يحتج إلى وقت طويل حتى يوصل المؤن إلى القلعة. وقابل بوهيموند - كونتاكوزينوس، وسأله:

ما هي الغاية المرجوة من وراء تشييد هذا البناء؟ فأجابه: لاشك أنك على بينة أنك، أنت والأمراء من أتباعك، قد أقسمتم على الدخول في خدمة الإمبراطور، ووافقتم عن طريق القسم على تسليمه أية واحدة من المدن استوليتم عليها، ولقد حنثت بقسمك وألقيت جانبا بمعاهدات السلم، فبعد أن استوليت على هذه المدينة وسلمتنا إياها، تراجعت وبدلت رأيك واحتفظت بها، لهذا عندما قدمت إلى هنا لتسلم المدن التي استوليت عليها، جاءت زيارتي بدون ثمرات. وهنا سأله: هل جئت إلى هنا على أمل أخذها منا بالمال أم بالقوة؟ فأجابه: لقد تسلم حلفاؤنا المال لشجاعتهم في الحرب، فامتلأ بوهيموند غضباً، وقال له: تيقن مما سأقوله: من غير المال لن تستطيع الاستيلاء على مركز للحراسة. قال هذا، وأمر جنده بالاستعداد، وحرضهم على الهجوم على أبواب المدينة، لكن عندما اقترب الفرنجة من الأسوار رُدُّوا على أعقابهم من قبل رجال كانتاكوزينوس الذين كانوا يحرسون الشرفات، فأطلقوا عليهم رشقات كثيفة من النشاب، تشبه زخات الثلج، وأعاد بوهموند جمع قواته، ودخلوا إلى القلعة. وكما كان يرتاب بإخلاص الكونت الذي كان يدافع عن اللاذقية، ولا يثق برجاله، قام بتسريحه وتسريحهم، وعين قائداً جديداً، ثم قام في الوقت نفسه بتدمير الكروم القريبة من الأسوار حتى يتمكن فرسان الفرنجة من التحرك بحرية، وبعد ما قام بهذه الإجراءات غادر اللاذقية، وعاد إلى أنطاكية (انتهى)[1].

ويذكرُ (ابْنُ الأثيْرِ) فِي كتابِهِ (الكامل) غزوة الأميرِ (أتابِك عمادِ الدينِ زنكيِّ) بصحبةِ نائبِهِ الأميرِ (سيفِ الدينِ سوار) على اللاذقيَّةِ فِي شهْرِ رجب مِنْ سنةِ ٥٣٠ هـ/ ١١٤٤م، فقال:

---

(١) ألكسياد آنا كومنينا / ٧٢.

«فِي هذهِ السنةِ - ٥٣٠هـ - فِي شعبانَ اجتمعَت عساكرُ «أتابكِ زنكيٍّ» صاحبِ حلبَ وحَماةَ معَ الأميرِ «سوارٍ» - يسمّيهِ «أسوار» - نائبِهِ بِحلبَ، وقصدُوا بلدَ الفرنْجِ على حيْنِ غفلةٍ منْهُمْ، وقصدُوا أعْمالَ اللاذقيَّةِ بغْتَةً، وَلَمْ يتمكَّنْ أهلُهَا منَ الانتقالِ عنْهَا والاحترازِ، فنهبُوا منْها ما يزيدُ عنِ الوصفِ، وقتلُوا وأسرُوا، وفعلُوا فِي بلدِ الفرنْجِ مَا لَمْ يفعلْهُ بِهِمْ غيْرُهُمْ.

وكانتِ الأسرَى سبعةَ آلاف أسيْرٍ ما بيْن رجلٍ وامرأةٍ وصبِيٍّ، ومئةِ ألف رأسٍ مِنَ الدَّوابِّ ما بيْن فرس وبغْلٍ وحِمارٍ وبقرٍ وغنمٍ، وأمَّا مَا سِوَى ذلكَ منَ الأقمشةِ والعيْنِ والحُلِيِّ فيخرجُ عَنِ الحَدِّ، وأخرجُوا بلدَ اللاذقيَّة وما جاورَهَا، ولَمْ يسلمْ منْهَا إلاَّ القليلُ»[1].

ومعلومٌ أنَّ الفرنجة كانوا يعتصمون بقلعة اللاذقيَّةِ، ولكنَّ المباغتة كان لها أثرها الأكبر فيما حدث من استيلاء على اللاذقيَّةِ ونهب الفرنجة فيها.

بعد ذلك عقد (نورُ الدِّيْنِ الزِّنْكِيُّ) هدنةً معَ الصليبييْنَ الذيْنَ كانُوا يَحتلُّونَ اللاذقيَّةَ، ولكنَّهم نكثوا بِهِ، حين قامَ الصَّليبيُّونَ بالهجومِ على مركبيْنِ للمسلميْنِ قبالةَ شواطِئِ اللاذقيَّةِ، فهاجمَ اللاذقيَّة حتَّى أرغمَهُمْ على القبولِ بالْهدنةِ منْ جديدٍ ووفق شروطِهِ، وذكر (ابْنُ الأثيْرِ) خبَرَ الصلْحِ فِي كتابِهِ (الكامل) فِي أحداثِ سنةِ ٥٦٧ هـ/ ١١٧٢م: «فِي هذهِ السَّنةِ خرجَ مركبانِ مِنْ مصرَ إِلَى الشامِ، فأرسيَا بِمدينةِ اللاذقيَّة، فأخذَهُما الفرنْجُ، وهُمَا مملوءانِ منَ الأمتعةِ والتُّجَّارِ، وكانَ بينَهُمْ وبيْنَ «نورِ الدِّينِ الزِّنكيِّ» هدَنةٌ، فنكثُوا وغدَرُوا، فأرسلَ «نورُ الدِّينِ» إليْهِمْ فِي المْعنَى، وإعادةِ ما أخذُوهُ منْ أموالِ التجَّارِ، فغالطُوهُ واحتجُّوا بأمورٍ منها أنَّ المْركبيْنِ كانَا قدِ انكسَرَا

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج ٩، ص ٢٩١.

ودخلَهُما الْماءُ، وكانَ الشَّرطُ – فِي المعاهدةِ بينهما – أنَّ كلَّ مركبٍ كسرُ ويدخله الْماءُ يأخذونَهُ، فَلَمْ يقبلْ مغالطتَهُمْ، وجَمعَ العساكرَ، وبثَّ السَّرايا فِي بلادِهِمْ نَحوَ أنطاكيَّةَ، وحصرَ حصنَ عرْقةَ وخرّبَ ربضة، وأرسلَ طائفةً منَ العسكر إلَى حصنِ صافيتا وعُريْمةَ، فأخذَهُما عُنوةً، ونَهبَ وخرَّبَ، وغنِمَ الْمسلمونَ غنائِمَ كثيْرةً، وعادُوا إليهِ وهوَ بِعرْقةَ، فسارَ فِي العساكرِ جَميعِها إلَى أنْ قاربَ طرابلسَ ينهبُ ويُخرِّبُ ويقتلُ، وأمَّا الذيْن سارُوا إلَى أنطاكيَّةَ ففعلوا فِي ولايتِها مثلَما فعلَ فِي ولايةِ طرابلسَ – ومنْهَا اللاذقيَّة – فراسلَهُ الفرنْجُ، وبذلُوا لهُ إعادةَ ما أخذوهُ مِنَ الْمركبيْنِ، وتَجديدَ الْهدنةِ معهم، فأجابَهم إلَى ذلكَ،وأعادُوا ما أخذوهُ وهمْ صاغرونَ، وقدْ خربَتْ بلادُهُمْ، وغُنِمَتْ أموالُهُمْ»[1].

ويبدو أنَّ القلعة لم تمنع الصَّليبيين من هجوم (نورِ الدِّيْنِ الزِّنْكِيِّ). وبعد أن آل الأمر إلى (صلاحِ الدِّيْنِ الأيوبِيِّ) وبعد انتصاره في معركة (حطِّين)، توجَّهَ إِلَى اللاذقيَّةِ لِتحريرِها سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م، وقد أخذ جنود (صلاح الدِّينِ) ينقِّبون الحصنينِ للفرنجة – وهما القلعة – في حيّ القلعة الآن، ثمَّ جَدَّد بناء القلعة (تقيُّ الدِّين بن عمر) ابن أخي (صلاح الدِّين) بعد ما صار والياً على اللاذقيَّةِ.

يقول (ابن الأثير): «لَمَّا فرغَ السلطانُ – «صلاحُ الدِّيْنِ» – منْ أمرِ جبلةَ، سارَ عنْهَا إِلَى لاذقيَّةَ، فوصلَ إليها فِي الرَّابعِ والعشريْنَ مِنْ جُمادَى الأُوْلَى، فترَكَ الفرنْجُ الْمدينة لعجزِهِمْ عنْ حفظِهَا، وصعدُوا إِلَى حصنيْنِ لَها على الْجبلِ فامتنعُوا بِهما، فَدَخَلَ الْمسلمونَ الْمدينةَ، وحصرُوا القلعتيْنِ اللَّتيْنِ فيهما الفرنْجُ، وزحفُوا إليهما، ونقَّبُوا الأسوارَ ستِّيْن ذراعاً وعلَّقُوه، وعظُم

---

(١) الكامل في التاريخ – ج ١٠، ص ٣٧.

القتالُ، واشتدَّ الأمرُ عندَ الوصولِ إِلَى السُّورِ، فلمّا أيقنَ الفرنْجُ بالعطَبِ، ودخلَ إليْهم قاضِي جبلةَ – وهوَ «منصور بنُ ثبيلٍ»–، فخوَّفهُم مِنَ المْسلمينَ فطلبُوا الأمانَ، فأمَّنَهُمْ «صلاحُ الدِّينِ»، ورفعُوا الأعلامَ الإسلاميَّةَ على الحْصنيْنِ، وكانَ ذلكَ فِي اليومِ الثَّالثِ مِنَ النُّزولِ عليْهَا، وكانَتْ عمارةُ اللاذقيَّةِ منْ أحسنِ الأبنيةِ، وأكثرِها زخرفةً، مَملوءةً بالرُّخامِ على اختلافِ أنواعِهِ، فخرَّبَ المْسلمونَ كثيْراً منها، ونقلُوا رخامَهَا، وشعثُوا كثيْراً مِنْ بيعَها التِي قدْ غُرِمَ على كلِّ واحدةٍ منها الأموالُ الجْليلةُ المْقدارِ، وسلَّمها إِلَى ابْنِ أخيهِ «تقيِّ الدينِ عُمَرَ» فعمَّرَها، وحصَّنَ قلعتَها، حتَّى إِذَا رآهَا اليومَ مَنْ رآهَا قبْلُ ينكرُهَا، فلا يُظَنُّ أنَّ هذهِ تلكَ، وكانَ عظيْمَ الهْمَّة في تحَصيْنِ القلاعِ والغرامة الوافرة عليْهَا، كما فَعَلَ بقلعةِ حَماةَ»[1].

والمؤرِّخ (أبو شامة) للفتحِ الصَّلاحيِّ عندما وصف اللاذقيَّة وصف قلعتها بأنّها قلعتان:

«وَهِيَ بلدٌ مليحٌ؛ خفيفٌ على القلْبِ غيْرُ مسْتُورٍ، ولَهُ ميْناءٌ مَشهورةٌ، ولهُ قَلْعتَانِ مُتَّصلتانِ عَلَى تلٍّ مُشرفٍ عَلَى البَلَدِ»[2].

ويقول (ابن العبري) في ذلك:

«وفي عام ٥٨٤ للهجرة/ ١١٨٨م توجَّه صلاح الدِّين إلى اللاذقيَّة، فهاجمها بقوَّةٍ وضرواةٍ. ثمّ قام الحلبيُّون بحفر نفقٍ تحت الأرض، طوله ستُّون ذراعاً وعرضه أربعة أذرعٍ، فخارت قوى الفرنجة واستسلموا لصلاح الدِّين،

---

(١) المصدر نفسه. ج ١٠، ص ١٦٨.

(٢) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، أبو شامة، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٧م، ج ٤ / ٢٠.

وطلبوا منه الأمان، فأذن لهم أن يخرجوا بأولادهم ونسائهم وأموالهم ماعدا آلات الحرب والبهائم والقمح. وقد جعل صلاح الدِّين ابن أخيه تقي الدِّين صاحب حماة والياً على اللاذقيَّة.

وقدمت هذه الأيَّام جيوشٌ فرنجيَّةٌ في كثير من السُّفن من صقلية، وبادر قائدهم ليحادث صلاح الدِّين: لقد بسطت نفوذك على كلِّ السَّواحل التي كانت بيد الفرنجة، ولم تدع لهم إلاَّ القليل، ويحسن بك أن تكفَّ عن محاربتهم، وإلاَّ أغاروا عليك من البحر زرافاتٍ ووحداناً وضايقوك، فالأجدر بك ألاَّ تسيء معاملة جيرانك، فهم بمنْزلة الحصن الذي يحميك من الأهالي.

فأجاب صلاح الدِّين قائلاً: إنَّ مبادئ ديننا تملي علينا أن نعزِّز هذا الدِّين ونحميه، والله يفعل ما يشاء.

فرجع القائد الفرنجيُّ إلى بلده. ثمّ تابع صلاح الدِّين زحفه، فوصل قلعة صهيون، فطوَّقها، ودخلها بسلامٍ»[1].

وفي عهْدِ (الظَّاهرِ) الابن الثَّالث لصلاح الدِّين، كانتِ اللاذقيَّة تحت سيطرته، تابعةً له وهو في حلب، وفي عهده هُدمت قلعة اللاذقيَّة، وكانَ أوَّل أمره يرْعَى القلعتيْنِ على تلِّ القلعةِ (حيِّ القلعةِ)، ويُحصِّنُهما ويزورُهُما كلَّ عام تقريباً، ثُمّ أوعزَ إليْهِ أحدُ مستشاريْهِ من حلَبَ بِهدمِها خيفةَ استيلاءِ الصَّليبييْنَ عليْها[2]، اللاَّذقيةُ إلى السُّلطان (الظاهر غازي بن صلاح الدِّين)، كانَ يرسلُ إليها كلَّ سنةٍ فرقةً مِنَ الجْيشِ الحْلبِيِّ للحفاظِ عليهَا مِنْ غاراتِ

(١) موسوعة الحروب الصليبية / ٢٣٦٦ – ابن العبري (غريغوريوس الملطي).

(٢) كي لا تكون حصناً حصيناً لهم، واستجاب للطلب وهدمَ القلعتين، وخبر ذلك كما يلي: عندما آلت اللاذقيَّةُ إِلَى السُّلطانِ (الظَّاهرِ غازِي بن صلاحِ الدِّيْنِ).

الإفرنْجِ، فلمَّا كانَتْ سنةُ ٦٠٢هـ رأَى تَخريبَ القلعةِ خشيةَ أن يمتلكها الإفرنْجُ ويعتصمُوا بِها، فَهُدِّمَتْ وأُلْحِقَتْ بالأرضِ.

وذكرَ ذلكَ (ياقوتُ الْحمويُّ) خلالَ حديثِهِ عنِ اللاذقيَّةِ فِي كتابِهِ (مُعْجَم البلدانِ)، حيثُ يقولُ: «وفِي هذا العامِ فِي ذِي القعدةِ مِنْ سنةِ ٦٢٠ للهجرةِ؛ خرجَ إليها العسْكرُ الْحلبِيُّ، وأقامَ فيْها إقامةً مديدةً حتَّى خربُوا القلعةَ وألْحقُوها بالأرضِ، خوفاً من أنْ يَجيءَ الإفْرنْجُ فينْزِلُوا عليْها ويَحُولُوا بيْنَ الْمسلميْن وبينها فيملكوها على عادةٍ لهم في ذلك»[1].

وفي كتاب (زبدة الحلب) لابن العديم: «سنة ٥٩٤هـ وصلت رسل إلى الملك الظَّاهر تخبره أنَّ الفرنج قد عزموا على قصد جبلة واللاذقيَّة، فخرج الملك الظَّاهر إلى الأتارب، وسيَّر الحجَّارين والزرَّاقين (حملة الرماح القصيرة) لهدم حصني جبلة واللاذقيَّة، وسار غرس الدِّين قلج وابن طحَّان لهدم اللاذقيَّة، فنقبوا القلعة وعلَّقوها ورفعوا ذخائرها، وهدموا المدينة، وذهب أهلها. وبقي العسكر منتظراً وصول العدوّ، ليلقوا النّار المحشوة في الأخشاب المحشورة في الأنقاب، فلم يصل أحدٌ منهم، ثمّ جاء السُّلطان الملك الظَّاهر إلى اللاذقيّة فعمَّرها، وعمَّر ضياعها، وتوجَّه إلى حلب»[2].

وفي سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م: «وصلت الأخبار بجرة الفرنج إلى جبلة واللاذقيَّة، فسيَّر السُّلطان إليها العساكر وأمرهم بخراب جبلة واللاذقيَّة، فلم يكن للفرنج حركةٌ. وخربت قلعة اللاذقيَّة، وكانت من جهة الشَّمال، وذلك بعد أن أُخذتِ اللاذقيَّة من ابن جندر سيف الدِّين بن علم الدِّين»[3].

---

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي – دار الفكر، ج ٤ / ٦-٧.

(٢) زبدة الحلب في تاريخ حلب ابن العديم ج ٢ / ٦١٠.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢ / ٦٢٥.

وفي سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م كان خراب قلعة اللاذقيَّة نهائياً. ورد في (زبدة الحلب): «أقام الملك الأشرف مقدار عشرة أيَّامٍ، واتَّفق رأيه مع الأمراء على إخراب قلعة اللاذقيَّة، فسار العسكر إليها، وخرَّبوها في هذه السَّنة»[١].

وفي العهد المملوكيِّ نجد أنَّ السُّلطان (قَلاوُون) عندما قرَّر التخلُّص نهائياً من الهجمات الصَّليبيَّة وحملاتِهم، قد دمَّر ما بقي من قلعة اللاذقيَّةِ، إذ أرسل حملةً بقيادة الأميْر (حسام الدِّينِ طرنطاي)، الذي هاجمَ اللاذقيَّةَ بعدَ أنطاكيَّةَ فِي صفرَ سنةَ ٦٨٦هـ/ نيسان ١٢٨٧م، واستولَى على اللاذقيَّةِ بعْد أنْ حاصرها، وقدِ استسلمَ لهُ الفرنْجُ بتاريخِ ٢٠ نيسانَ ١٢٨٧م، ولَمْ يعد للصَّليبييْنَ مكانٌ فِي اللاذقيَّةِ منذُ ذلكَ التاريْخ، وقامَ (قَلاوُون) بتدميْرِ قلعتِها أو ما بقيَ منْهَا»[٢].

وفي آخر عهد المماليك زارَ السُّلطانُ (الأشرفُ قَايتباي) اللاذقيَّةَ فِي عامِ (٨٨٢ هـ / ١٤٧٧م) فِي رحلةٍ مشهورةٍ، وَلَمْ تكُنْ رحلتُهُ عاديةً بل تفقديَّةً للتحصيناتِ الدفاعيَّة للمماليكِ فِي بلادِ الشَّامِ، عندمَا بدأَ ظهور خَطَرِ العُثْمانييْنَ فِي الأناضولِ، وقدْ ذُكِرَتْ رحلتُهُ فِي كتابِ (القولُ المستظرفُ، فِي سَفَرِ مولانَا الْملكِ الأشرفِ)، الذي وضَعَهُ مؤلِّفُهُ (ابْنُ الجيْعان)[٣]، وكانَ مرافقاً للسلطانِ فِي رحلتِهِ. وجاء في وصفه لمدينة اللاذقية ما يلي: «ثُمَّ توجَّه فيها ليلة الأحد السَّابع والعشرين منه، إلى أنْ دخل اللاذقيَّةَ، وهيَ بناءٌ عظيمٌ محُكمٌ، بِها دكاكيْنُ كثيْرةٌ عامرةٌ وخرابٌ، كان بِها ثلاثةُ قلاعٍ متلاصقات، وإلى الآن خراب - ربَّما قصد

(١) المصدر نفسه، ج ٢ / ٦٥.

(٢) طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، السيد عبد العزيز سالم - مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٦٦ / ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٣) القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف، ابن الجيعان تحقيق عمر تدمري جرُّوس برس طرابلس -لبنان -١٩٨٤م، ص ٤١.

هضبتي القلعة والطابيّات – وهي واسعةُ الفناءِ، عاليةُ البناءِ، بميناء مستديرة، فيها مَخازنُ وبرجانِ على فوهتِها، بِهما سلسلةٌ عظيمةٌ، قيل: إنَّ عدد كلاَّبها الحديد سبعمئة كلاَّبٍ حديديٍّ، وزنُها أربعون قنطاراً حلبياً، عنه بالمصري مائتا قنطارٍ، جُدِّدت في «أيَّام الظَّاهر – جقمق –» وميتها (ميناؤها) مستديرة، وتَسَعُ سبعة مراكب متلاصقات كبار، وبِها حَمَّامَاتٌ عامرةٌ وخرابٌ. ومن الغرائبِ بها أنَّ باللاذقيَّةِ طاحونةً تدور مَعَ الرِّيحِ حيثُ كانَتْ؛ يَميناً وشِمالاً، شَرقاً وغرباً، ويُطحنُ بِها على عادةِ طواحيْنِ الفرنْجِ إلى الآنَ، وإذا طحنت مستمرَّةً في طول اليوم واللَّيلة تطحن اثني عشر إردباً بالكيل المصريِّ، وعَمِلَ الطَّاحونةَ المذكورةَ شخصٌ من اللاذقيَّةِ كانَ أسيْراً ببلادِ الفرنْجِ وشاهدَها عندهمْ، ولَمَّا خلُصَ وحضرَ إلى اللاذقيَّة بلدهِ عَمِلها، وهيَ أعجوبةٌ»[١].



أعمدة باخوس

الأربعة المتبقية من المعبد

---

(١) القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف – ابن الجيعان، تحقيق عمر تدمري، جرُّوس برس، ١٩٨٤، ص ٥٨ -٥٩.

كيف كانت اللاذقية في الماضي حتى منتصف القرن العشرين:

لعل ما وصف به أحمد الدالي اللاذقية في القرن التاسع عشر في مقدمة كتاب (نخبة الأخيار) لعبد الفتاح المحمودي، يعطي وصفاً دقيقاً عن اللاذقية في ذلك الزمان، إذ يقول: كان الذي يقف على الطابيات مثلاً يراها أشبه بقرية كبيرة: يحدها شمالاً جامع الشيخ ضاهر، وبجواره مقبرة كبيرة، تصل إلى ما تحت الثانوية الحالية (ثانوية التجهيز للبنين ولاحقاً ثانوية جول جمال)، وما وراء ذلك بساتين ومزارع، وغرباً الجامع الصغير (البازار) وجامع الصليبة وما وراءهما مقابر أيضاً، منها مقبرة (الهيشي). التي تنتهي بمزارع وبساتين، وشرقاً قوس النصر (الكنيسة المعلقة) وما وراءها مقابر، ثم المزارع والبساتين. وأما من الجهة الجنوبية فيحدها ما يسمى (بالشويكلة) ، قرب جامع الصليبة. إذ كانت اللاذقية تعيش في دائرة من الحقول والبساتين إلى جانب ما ذكر. وكانت البنايات لا تزيد على طابق واحد، ويندر أن تجد بناء من طابقين. وقامت الأبنية على شوارع ضيقة الشكل بعرض مترين أو أقل، تتخللها قناطر وعقود من الحجر، خالية من أية هندسة أو نظام، أما أرضها فكانت مرصوفةً بالحصى. والشيء الذي يسترعي النظر بها ويبعث على البهجة كثرة البساتين والجنائن التي أكثر أشجارها اللوز والزيتون، وفي كل دار بئر للماء، معدة للشرب والغسيل، وكانت البساتين والزرع تسقى بواسطة نواعير، لكل ناعورة دابة تديرها حول البئر على شكل دولاب معلّق به أوانٍ فخارية، تمتلئ بالماء صعوداً، وتصبها في حوض صغير أو على مجراة للسقي. وكانت المدينة تضاء بفوانيس من زجاج وتنك، في داخلها ضوء يشعل بالزيت ويعلق تحت القنطرة. وما أكثر القناطر في ذلك العهد، ولا سيما البوابات! ومنها على سبيل المثال بوابة الشحادين وبوابة الميناء، وبوابة الأزهري... (انتهى).

وبقيت شوارع اللاذقية غير معبدة حتى بداية القرن العشرين.

وحتى ثلاثينيات القرن العشرين لم تتغير اللاذقية عمرانياً منذ مئات السنين إلا تغيراً طفيفاً. وعندما بُدئ بشق الطرقات وتعبيدها أزيلت العديد من الأماكن الأثرية المعروفة، ومنها على سبيل المثال مقام الخضر في الطابيات الذي كان قائماً جوار مقهى الطابيات من الجهة الشمالية. وهو عبارة عن مقبرة صغيرة مسورة تحوي عدة قبور، ومن بينها قبر مميز ذو غطاء هرمي من الحجر، تظلله شجرة خرنوب معمرة معلق على أغصانها الرفيعة شرائط من الأقمشة متنوعة الأشكال والألوان تركها زوار المقبرة للحصول على البركة وتحقيق أمنياتهم الخاصة. وكنا كأولاد الحي نلهو ونلعب في هذه المقبرة، ونتبارك من هذا القبر بتلويث أصابعنا بغبار حفرة منقورة في حجر القبر الأمامي. وندهن خدودنا بهذا الحوار الحجري الأبيض مقلدين بذلك زوار الضريح.

وقد أزيلت هذه المقبرة بداية عام ١٩٥٠م لتوسيع الطريق، وأصبح مكانها ساحة مثلثة الشكل ملاصقة لمقهى الطابيات من الجهة الشمالية. وفي هذا العام أيضاً شق طريق شارع بورسعيد في منطقة زراعية كان يزرع فيها القمح بين أشجار الزيتون المعمرة. وكانت هذه المنطقة مرتعاً للعب أولاد الحي بين سنابل القمح الخضراء. وكانت التسلية الرئيسية لهم صيد الدبابير التي تحط للشرب من مجاري المياه المالحة المكشوفة في البساتين والخارجة من هذه البيوت.

فكنا ننزع إبرتها السامة، ونربط وسطها بخيط، والطرف الآخر من الخيط نربطه بغصن رفيع، وكأنها عصفور صغير. وأحياناً كنا نتعرض للسعات مؤلمة من هذه الدبابير أثناء هذه العملية.

وهذه كانت من تسليات الأولاد في ذلك الزمان، وتحاكي من حيث المتعة التسلية بألعاب الكمبيوتر اليوم.

وأثناء شق طريق بورسعيد هذا، على بعد عشرين متراً من أعمدة باخوس من الجهة الشرقية الجنوبية في وسط الشارع الحالي ، عثر على تابوت حجري مزخرف، وعليه نقوش نافرة جميلة، يشبه إلى حد ما تابوت عين سان الكسي، ولكنه أقل جمالاً. وبقي هذا التابوت في مكانه عدة أيام قبل أن ينقل إلى الحديقة العامة (المنشية)، ثم إلى المتاحف. ومكان العثور على هذا التابوت الحجري خارج وقريب من سور اللاذقية القديم. وحتى عام ١٩٥١م لم يكن هذا الطريق أو طريق الطابيات معبداً، كما ورد ذلك في صحيفة الاتحاد في العدد ٣٩٨ التي صدرت في اللاذقية في نفس العام.

وفي هذه الفترة أيضاً، بعد أن كانت أبنية اللاذقية ذات طابق واحد ونادراً طابقين، تم تشييد أول بناء في اللاذقية من ستة طوابق في شارع القوتلي بناء داوود - وكان هذا من العجائب المدهشة لنا، أن نرى بناء من ستة طوابق، وكنا ننظر إليه بانبهار أثناء ذهابنا لمدرسة التجهيز يومياً.

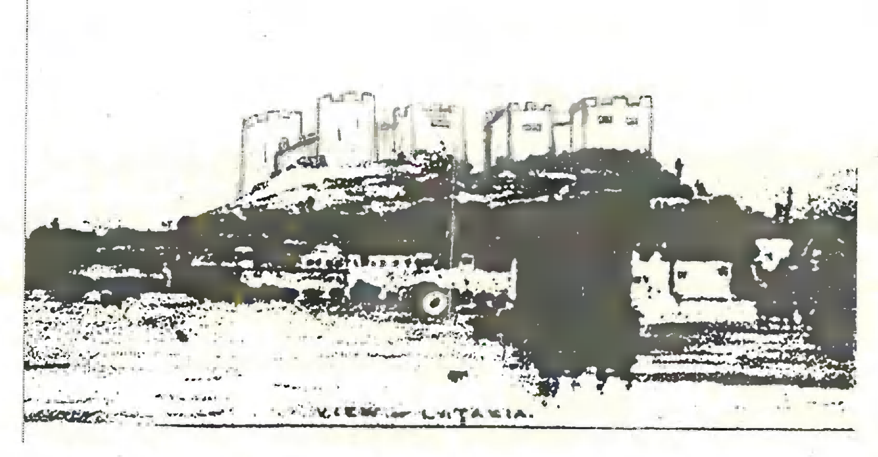
أما في أيام الشتاء الباردة فكانت المياه تتجمد في المزاريب مشكلةً صواعد ونوازل، وفي برك مياه الطرقات مكوِّنة طبقة جليدية تتكسر تحت أقدام المشاة مصدرة نغمات محببة خاصة دالة على شتاء اللاذقية القارس.

وختاماً: نتساءلُ: لِماذا وُصفت قلعة اللاذقيَّةِ بأنَّها قلعتان؟

النَّاظر من أعلى بناية الأوقاف باتِّجاه القلعة يرى أنَّها عبارةٌ عن هضبتيْن متلاصقتيْنِ، بينهما منخفضٌ بسيطٌ، فتبدو كأنَّها قلعتانِ، وهذا ما يفسِّر ذكر القلعتين في بعض الرِّوايات في المصادر القديمةِ من أنَّها تشبه ظهر جمل ذي سناميْنِ.

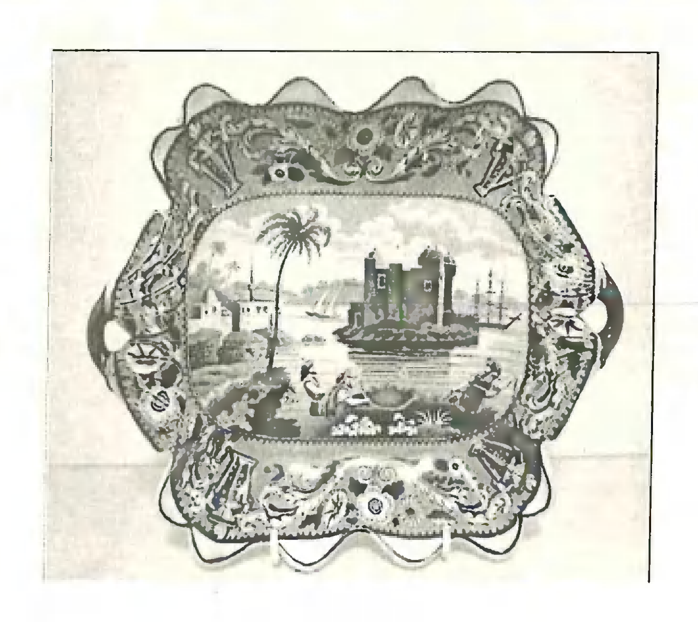
لم يبقَ من حجارة القلعة شيءٌ بعد هدمها، فقد نقلها السُّكَّان لبناء بيوتهم، لسهولة دحرجتها من أعلى التلّ إلى أسفل، فالأحجار الكبيرة استُخدمت بالأساسات، أمَّا الأصغر ففي بناء البيوت. وهذا نجده حالياً في أساس بعض الأبنية القديمة جوار جامع أرسلان باشا من الجهة الشرقية على الشارع العام في حي الأشرفية (الشحادين سابقاً). وهناك بقايا قاعدة أحد الأبراج في المكان الذي يطلق عليه حالياً (بوابة القلعة). وبئر القلعة التي كان يستقي منها القاطنون في القلعة، وهي مغلقة الآن.

وقدِ استخدم تلَّة القلعة الفرنسيون، وأقاموا عليها بعض الأبنية والمنشآت العسكرية. وفي اليوم التالي لجلاء الفرنسيين عام ١٩٤٦ دخلها الأهالي فرحين مبتهجين بعودتها لهم، وكنت من بينهم شاهد عيان على هذا الحدث. ثُمَّ استُخدمت لاحقاً في العهد الوطنيِّ لأغراضٍ مختلفةٍ مدنيَّةٍ وعسكريَّةٍ. وقد طغت حالياً العمارات الحديثة العالية على معالم القلعة، ولم يبقَ غير اسمها المتداول وهو القلعة!



قلعة اللاذقية كما

تخيَّلها الأستاذ (ياسر صاري)



برج قلعة مرفأ اللاذقيَّة، صحن خزفي - مقتنيات المتحف البريطاني

الرسم مقتبس من لوحة (لويجي ماير) في نهاية القرن الثامن عشر

الأعمدة الرُّومانيَّة في اللاذقيَّة

أضفت الأعمدة الرُّومانيَّة في الماضي البعيد على مدينة اللاذقيَّة الجمال والأبهة والروعة، فقد زيَّنت شوارعها وأروقتها ومعابدها وساحاتها. ومن كثرة عددها في اللاذقيَّة سمَّاها البعض مدينة الألف عمود، ولم يبق قائماً من هذه الأعمدة في مكانها الفعليّ الأصليّ منذ قرابة الألفي عام سوى اثنين وعشرين عموداً فقط، وهي غير واضحة المعالم بسبب تداخلها مع جدران أبنيةٍ قديمةٍ شيدت ملاصقة لها في زمنٍ ما، كما نلاحظ ذلك في سوق (الحدَّادين).

وهناك خمسةٌ وثلاثون عموداً آخر يمكن اعتبارها شبه سليمةٍ نصبت في غير أماكنها الأصلية، من أجل تجميل المدينة.

وهناك بقايا من الأعمدة المكسورة موزَّعة هنا وهناك في حديقة المتحف الوطنيّ، هذا ما بقي من هذه الأعمدة على وجه الأرض.

أما المئات من الأعمدة والتيجان فلا تزال مدفونة تحت سطح الأرض على عمق بين مترين ونصف وثلاثة أمتار ونصف تحت مستوى الأرض الحالية للاذقيَّة، إمَّا في منتصف الشَّوارع الحالية، وإمَّا على جوانبها، وإمَّا تحت الأبنية المشيَّدة قديماً وحديثاً.

وهناك أربعة أعمدة مغروزة في الأرض كما كانت في الماضي، يبرز جزؤها العلويُّ منها بطول متر في شارع (المثنَّى بن حارثة)، وتتعرَّض إلى

الصَّدمات واللطمات والأوحال؛ وعوامل الجوِّ، واعتداء الإنسان عليها؛ وذلكَ بجعلها منصَّات لوضع حوائج الباعة والمارَّةِ على مدى سنواتٍ. ولكنها ما تزال صامدةً وقائمةً.

تتصف الأعمدة الرُّومانيَّة بالجمال والمتانة والصلابة والتجانس والانسيابيَّة والمقطع الدائري المنتظم، وتتصف أيضاً بمقاومتها للتآكل بفعل العوامل الجوية الناتجة عن رطوبة جو اللاذقيَّة.

ونقصد هنا في هذه الدِّراسة (الأعمدة الجميلة رمادية اللون)؛ وليست الأعمدة الرُّخامية أو الحجريَّة.

ومعظم هذه الأعمدة بطول (٥٩٠سم)، وأقطار تتراوح بين نحو (٥٠) و (٧٥) سم، ونُفِّذت حسب وحدات القياس الطولية المطبقة في ذلك الزَّمان. وهناك حلقتان دائريَّتان في بداية ونهاية العمود بعرض (١٠سم)، لزيادة مساحة ارتكاز العمود على الأرض من جهةٍ، وارتكاز التِّيجان على العمود من جهةٍ أُخرى.

ونلاحظ اختلاف نوعية وبنية الحصى الدَّاخلة في تركيب الأعمدة من عمود إلى آخر، مِمَّا يدلُّ على أنَّها ليست من مصدرٍ واحدٍ!

فكيف اختفت هذه الأعمدة من على وجه مدينة اللاذقيَّة ودفنت وما تزال في باطن الأرض؟

لنعدْ في الزمن إلى الوراء، إلى بداية إنشاء مدينة اللاذقيَّة في العهد الهلنستيّ والرومانيِّ، عندما دخلت اللاذقيَّة تحت حكم الرُّومان سنة (٦٤ ق.م).

فككلّ المدن الرُّومانيَّة، بُدِئَ بتخطيط المدينة بإنشاء شارعين رئيسين متعامدين ومتقاطعين، الأوَّل يمتد من الشمال إلى الجنوب ويطلق عليه (الكاردو)، والشَّارع الثَّاني يجتاز المدينة من الشرق إلى الغرب ويطلق عليه (الديكومانوس)، مع الأخذ بعين الاعتبار شروق الشَّمس ووضعها في النَّهار في أثناء تخطيط هذين الشَّارعين(١).

وعرض شوارع المدينة يتراوح بين (٣ و ٩) أمتارٍ حسب مرور العربات والمشاة فيها.

وأُنشِئَتِ (الجزيرات)، وهي مجموعةٌ من الأبنية تحيط بها الشَّوارع المستقيمة المتوازية والمتقاطعة عموديًّ بعضها مع بعض، وأبعاد هذه (الجزيرات) حسب (جان سوفاجييه) هيَ (١١٢×٥٧ متراً)؛ أي نحو (٦,٥ دونم)، وتتوضَّع هذه (الجزيرات) بعضها مع بعضها بشكل شبيهٍ برقعة الشِّطرنج(٢).

أما الساحة العامة (الأكورا) فهي عند تقاطع الشَّارعين الرَّئيسين، وعلى الأغلب كانت في الماضي عند ساحة (أوغاريت) حالياً.

وأقيمت القلعة على الهضبة المطلة على المدينة، التي ما تزال تحتفظ باسمها. ومن شأن هذه القلعة زيادة قوة المدينة الدفاعيَّة والإشراف والسَّيطرة على المدينة. وكانت هذه القلعة ملتصقةً بسور المدينة. وقدْ أُزيلت هذه القلعة نهائيًّ عام (١٢٨٧م / ٦٨٦هـ).

---

(١) مجلة الحوليات الأثرية السورية، بناء المدن السورية وتنظيمها في العصر الهلنستي والروماني – أ. بشير زهدي، ١٩٥٥م.

(٢) مخطط افتراضي لمدينة اللاذقية – جان سوفياجييه.

وأمَّا المعبد الرَّئيس في المدينة فهو أهم المباني ومركز الاهتمام الأكبر، وقُدِّم له ما يلزم من جهد وعنايةٍ واهتمامٍ، فهو معبد (باخوس)، وقد تَهدَّم، ولم يبقَ من آثاره الماضية سوى أربعة أعمدةٍ.

أمَّا المسرح؛ وهو عنصر ضروري للمدينة؛ فقد أُقيم على منحدر هضبة حيِّ (الطَّابيَّات) الغربية، من أجل متانة البناء وتخفيف نفقات إنشائه، وكذلك رُوعي الوضع الجغرافي لهذا المسرح.

وبقيت آثاره ظاهرةً للعيان حتَّى بداية القرن الواحد والعشرين، إلى أنْ قامت البلديَّة بصبِّ جدارٍ استناديٍّ إسمنتيٍّ على بقايا مدرَّجه أخفى آخر معالمه المتبقية.

وكان للمدينة بابٌ رئيسٌ من الجهة الشرقيَّة مقابل مدرسة (عدنان المالكيّ) الواقعة بجوار (الإطفائية) حالياً. وهناك باب آخر في نهاية الشارع الممتد من الجنوب إلى الشمال وهو باب (أنطاكية).

ويعدُّ الميناء المنفذ البحريَّ المهمَّ للمدينة والمنطقة. وقد جرت المياه إلى المدينة بقنوات فخاريَّةٍ من نبع (العيدو) الذي يبعد نحو (٥٠كم) عن المدينة، إضافةً إلى تزويد المدينة بمياه الآبار المتوفرة فيها.

وأُنشئتِ الأروقةُ على جوانب الشَّوارع، لتسمح للمارَّةِ بالتجوال أمام المخازن، فتحميهم من الأمطار الغزيرة شتاءً، وتقيهم من أشعة الشمس المحرقة صيفاً.

والأعمدة الرُّومانيَّة الجميلة تزين هذه الشَّوارع والأروقة والمعابد وقصر الحاكم، مِمَّا أضفى الجمال والمنعة والقوة على هذه المدينة الجديدة.

إنَّ من أنجز هذه الأعمال هي الأيدي الفنية السورية المحلية الماهرة صاحبة العقول النيِّرة، فهي التي قامت بصنع هذه الأعمدة والتيجان المنقوشة، والتماثيل

العديدة، والمباني الجميلة، بلمسة سورية مميَّزةٍ، وكانت هذه الأعمال هي إحدى المهن القديمة في سوريَّة التي لم تأخذ حقها من الدراسة كما يجب.

لقد قام مهندسٌ سوريٌّ من دمشق بتصميم عمود في (روما)، ليس له مثيل في تاريخ الفن العالمي وهو عمود (تراجان)، هذا المهندس المعمار هو (أبولو دوروس) الدَّمشقي (٦٠-١٢٥)م، الذي يعدُّ من أفذاذ المعماريين الذين عرفهم التاريخ. ففي عهد الإمبراطور الروماني (ترايانوس) تراجان (٩٨-١١٧)م تبوَّأ منصباً يعادل منصب وزير الأشغال العامَّة في أيَّامنا، فقد كانا صديقين حميمين، ويُظنُّ أن عهد صداقتهما يعود إلى أيَّام كان فيها (ترايانوس) محامياً عسكرياً في سوريَّة في حقبة ولاية والده عليها. ويذكر تاريخ (كمبردج) القديم أن بعض العلماء يعتقدون «... بأنَّ سوريَّة في مجال العمارة كانت متقدمةً على روما، وأنَّ سوريَّة تفوَّقت على روما في عبقريتها المبدعة، وفي معارفها التقنية، وفي مهارة عمَّالها...».

لقد طلب الإمبراطور (تراجان) من (أبولودوروس) أن يشيّد له عموداً يتخذه شاهد قبر لهُ، وذكرى للمنشآت البديعة. فصمم المهندس السوري عموداً بطول (٤٠ متراً)، مزيَّناً بإفريز حلزونيٍّ منحوت يدور حول جذعه، يكاد يكون فيلماً تسجيلياً، يروي الإفريز الدائر بالعمود بطول (٢٦٠متر) قصة الحربين اللتين خاضهما (تراجان) في (داكيه)/ (رومانيا) عام (١٠٨م). وهو يسرد بالنحت أدق تفاصيل الاستعداد للحرب والمعارك والأزياء والأسلحة، وأجناس المحاربين، ومنهم الرّماة التدمريون.

وقد جرى عملُ تقليدٍ لهذا العمود مراتٍ عديدة، ففي عام (٤٠٨م) بُنِيَ عمود مماثل في (القسطنطينيَّة)، وفي عام (١٠٢٢م) بُنِيَ عمود مشابه من

البرونز في كاتدرائية (هانوفر)، وتمثل المنحوتات فيه حياة السيد (المسيح) عليه السَّلام. وفي (فرنسا) أُقيم عمود (فاندوم) شبيهاً له تخليداً لحملات (نابليون بونابرت)، ونقوشه البارزة تقليد للأسلوب المستمر في عمود (تراجان).

والجدير بالذِّكر أنَّ من منجزات مهندسنا المعمار (أبولو دوروس):

- **سوق (تراجان)** التي ما تزال ماثلةً في (روما)، وكانت في حينها مركزاً تجارياً واجتماعياً كبيراً، وظلَّت حلًّا يستهوي المصممين في كل العصور من حيث البساطة والجمال والفائدة القصوى.
- **ميدان (تراجان)**: وهو كما ورد في تاريخ (كمبردج) القديم (أعجوبة كلِّ العصور).
- **الجسر العملاق على (الدانوب)**: بطول (١٠٢٧م)، وعرض يتراوح بين (١٣ و ١٩) متراً، ونجح في إرساء عشرينَ ركيزة «قوية» جداً في لجة النهر.
- **معبد (البانثيون)**: وهو أهم المعابد الرُّومانيَّة المستديرة الباقية، أكثر المباني الرُّومانيَّة الدِّينية روعةً في كثير من الوجوه.
- **الحمَّامات**: التي لبَّت حاجتين وهما: الاستحمام بأشكاله ومراحله المتعددة من جهةٍ، والترويح والرياضة من جهةٍ ثانيةٍ.
- **قوس النصر**: في مدينة (إنكونا).

ومنجزات أخرى باهرةٌ، وما بقي منها يقارب خمسة عشر أثراً[1].

لقد أُطلق على هذه الأعمدة في اللاذقيَّة اسم الأعمدة الرُّومانيَّة، لأن الرُّومان حكموا سوريَّة في ذلك الزمان. وللإنصاف تستحق أن تُسمَّى بالأعمدة السوريَّة.

---

(١) الموسوعة العربية – مجلد ١ ، ص ١٣٥ .

ولم تستمرَّ هذه المدينة على حالها من الجمال إلا بضع مئات من السنين، فقد تتالت عليها الكوارث والأحداث الطبيعية: ففي عام (٥٢٩م)، وفي ظلِّ الحكم البيزنطيّ، كما ذكرت المصادر تهدَّم نصف المدينة، ومات فيها (٧٥٠٠) نفسٍ، وأعفى الإمبراطور (جستنيان) أهلها من الضرائب، كما أرسل مبالغ ماليَّة لترميمها، وكان جُلُّ اهتمام سكان المدينة بعد الزِّلزال إعادة بناء منازلهم لإيواء عائلاتهم وتأمين معيشتهم قبل الاهتمام بشيء آخر.

وبما أنَّ سكَّان المدينة كانوا في ذلك الوقت من النَّصارى لم يكن مهماً لهم إعادة بناء المعابد الوثنيَّة المخالفة لعقيدتهم، وكان من الصعب أيضاً إعادة نصب الأعمدة كما كانت، فلذلك أُهملت وتركت على الأرض، وتراكمت عليها الأتربة والأنقاض. وكان من بين الأبنية المهدمة بالزلزال معبد (باخوس) الذي كان قائماً على اثنين وثلاثين عموداً، ولم يبق منها سوى أربعة أعمدةٍ. وهذا دليل على أنَّه هُدم بالزلزال وليس من قبل السُّكَّان عن عمد، وإلا هدموا جميع أعمدة المعبد بما فيها الأعمدة الأربعة المتبقية.

وفي عام (٨٥٩ م/ ٢٤٥ هـ) وكانت المدينة تحت الحكم العربي الإسلامي، حدث زلزال كبير، فتقطع جبل (الأقرع) وتقول المصادر التاريخية إنه لم يبق منزل في اللاذقيَّة، ولا أفلت من أهلها إلا اليسير، وذهبت (جبلة) بأهلها[١].

وفي عام (١١٥٧م/ ٥٥٢هـ) وكانت المدينة تحت حكم الفرنجة، إذ بقيت تحت حكمهم تسعين عاماً من (١٠٩٧-١١٨٧م)، حدث زلزال كبير هدم اللاذقيَّة، ولم يبق فيها سوى كنيستها الكبرى كما أشار مؤرخو ذلك الزمان[٢].

---

(١) انظر بحث الزلازل.

(٢) ابن العبري (غريغوريوس الملطي)، موسوعة الحروب الصليبية ج ٥ ص ٣٧٦.

وأعاد السكان بناء أبنيتها مستخدمين الحجارة المتهدمة الصغيرة في البناء، والأحجار الكبيرة في أساس المنازل. وكان هذا هو الهم الرَّئيس للناس قبل اهتمامهم بإعادة نصب الأعمدة الرُّومانيَّة كما كانت.

ورغمَ هذا الدَّمار أعاد السُّكَّان بناء بيوتهم على أنقاض ما تهدَّم، وعادت اللاذقيَّة مدينةً جميلةً، معظم أبنيتها من طابق واحدٍ، ولا حاجة لأساس عميق ومتين للبناء.

وفي عام (١١٨٧ م/ ٥٨٤هـ) تم تحرير اللاذقيَّة من حكم الفرنجة، ودخلها (صلاح الدِّين الأيوبيّ) برفقة الوزير الشَّهير بـ (عماد الدّين الأصفهانيّ)، الذي وصف اللاذقيَّة بهذه العبارات الجميلة:

(رأيْتُ اللاذقيَّةَ بلدةً واسعةَ الأقْنيَةِ، جامِعَةَ الأبنيَةِ، متناسبَةَ الْمعانِي، متناسقَةَ الْمغَانِي، قريبَةَ الْمجانِي، رحيْبَةَ الْموانِي، فِي كُلِّ دار بستانٌ، وَفِي كُلِّ قُطرٍ بُنيَانٌ، أمكِنَتُهَا مُحزَّمَةٌ، وأروقتُها مُرخَّمَةٌ، وعقودُهَا محكَمَةٌ، ومساكِنُهَا مُهنْدَسَةٌ ومُهَنْدَمَةٌ، مطالِعُهَا مُشْرِفَةٌ، وَأرجاؤُها فسيْحَةٌ، وأهواؤُها صحِيْحِةٌ، وأماكِنُهَا مُمكَّنَةٌ، ومحَاسِنُها مُبيَّنَةٌ، ومراتِبُها مُعيَّنَةٌ، وسقُوفُها عاليَةٌ، وقطوفُها دانيَةٌ، وأسواقُهَا فضيَّةٌ، وآفاقُها مُضِيْئَةٌ، وَمطالِعُهَا مُشْرِقَةٌ، ومرابِعُها مُوْنِقَةٌ، وَأرجاؤُها فسيْحَةٌ، وأهواؤُها صحِيْحِةٌ، ولكنَّ العسْكرَ شعَّث عمارَتَها، وأذهبَ نضارَتَها، وأزعجَ ساكنيْهَا، وأخرَجَ قاطنيْهَا، ووقَع من عدَّةٍ من الأمراءِ الزِّحام، على الرُّخامِ، ونقلُوا منه أحْمالاً إلى منازِلِهمْ بالشَّامِ، فشوَّهُوا وجوْهَ الأماكِنِ، ومَحَوا سنَا المحَاسنِ)[1].

(١) الفتح القسِّي في الفتح القدسي، عماد الدين الأصفهاني، ص ١٤١ طبعة ليدن – برلين ١٨٨٨م.

وفي عام (١٢٠٠م/ ٥٩٧هـ) حدثت زلازل أثّرت في السَّاحل السوريّ تأثيراً عظيماً، هدَّمت ما كان قائماً، ومن ثمَّ زادت سماكة الأتربة فوق ما اندثر سابقاً من أعمدةٍ وتيجانٍ وأحجارٍ منقوشةٍ.

وفي عام (١٢٨٧م/ ٦٨٦ هـ) حدثت زلازل عظيمةٌ، هدَّمت تحصينات المدينة، وبرج الحمام في مدخل ميناء اللاذقيَّة، وتراكمت مخلَّفات الانهدامات والأتربة على سوابقها بعضها فوق بعض[1].

وفي عام (١٤٠٨م / ٨١١ هـ) حدث زلزالٌ كبيرٌ خرَّب أماكن عديدة «في اللاذقيَّة. وكذلك الأمر في الأعوام: (١٧٩٦م/ ١٢١٠هـ) و(١٨١١م/ ١٢٢٥هـ) و(١٨٢٢م / ١٢٣٧هـ). وهكذا تراكمت الأتربة والانهدامات بعضها فوق بعض، وأصبح مستوى مدينة اللاذقيَّة الرُّومانيَّة الأولى على عمقٍ بين أكثر من مترين ونصف وثلاثة أمتار ونصف من مستوى المدينة الحاليِّ. وهذا ما نلمسه في كلِّ مكان فيها عندما نقوم بالحفريات، كما نرى ذلك واضحاً في أرضيَّة (قوس النَّصر).

وهذا يعني أنَّ اللاذقيَّة قد خربت أكثر من مرَّةٍ، وأنَّ كثيراً من معالمها الأثرية قد تهدمت، وزالت من الوجود هذه الصروح المعمارية الجميلة والتيجان والأعمدة.

فمن أين جاءت هذه الأعمدة ؟

هل جاءت من مقالع الغرانيت؟ وأين تقع هذه المقالع؟ أم كان تصنيعها عن طريق الصبِّ؟

الفرضية الثانية هي الأكثر منطقية، وأنجزت بالشَّكل الآتي:

---

(١) تشريف الأيام والعصور. محيي الدين بن عبد الظاهر ص ١٧٠.

يُصنَّع القالب الخشبي للعمود بالأبعاد المطلوبة من ناحية الطول المطلوب والقطر، ووجود حلقتين دائريتين صغيرتين في بداية ونهاية العمود، يُطلى من الدَّاخل بالقطران لمنع التصاق المادة المصبوبة بالقالب الخشبيّ.

والمادة المصبوبة حصى متنوعة متناسقة الحجم واللون، تُجبل مع رمال وغراء حيوانيّ سائل وساخنٍ، كمادة رابطة قوية بين الحصى وغيرها.

وهذا الغراء يُصنع بغلي بقايا الجلود الحيوانية والأجزاء الداخلية لها، مع قليل من العظام لفترة طويلة حتَّى يصبح لزجاً وجاهزاً للاستخدام.

هذه الطريقة ابتكرها الفراعنة، ثم انتقلت إلى بلاد الشام وبلاد الإغريق ومنها إلى أوروبا.

وقد قام بتطوير هذه الصناعة العالم الفرنسي (بابين) عام (١٦٨٨م)، حين قام بصنع جهاز فني حوّل عظام الحيوانات وبقايا الجلود إلى غراء بواسطة الحرارة والضغط. ويعدّ هذا الغراء أقوى أنواع الغراء المستخدم حتَّى الآن.

والغراء عندما يبرد يصبح متماسكاً ورابطاً قوياً جداً مع الحصى والرّمال الداخلة في تركيب العمود. وبعد صب مزيج الحصى المجبول بالغراء السَّائل الحار في القالب الموجود في المكان المخصص لإقامة العمود، يُترك بعضاً من الوقت حتَّى تنخفض درجة حرارته. ويُفكُّ القالب الخشبي بعد ذلك، ويتم تشطيب وتهذيب سطحه الخارجيّ، بإزالة الشَّوائب العالقة والزائدة، ويُحسَّن من منظره ويُنعَّم، وقد يُدهن السطح الخارجي بالغراء السَّاخن لإكسابه لمعاناً جميلاً. وكلما ترك في مكانه فترة أطول اكتسب صلابةً أكثر، كما يتعامل (الفواخرجيّ) بالطريقة نفسها مع أواني الفخّار الطَّرية بعد أن تخرج من تحت يديه، فيقوم بتشطيبها وهندستها وتركها تجفُّ، وكلما جف الفخار زادت صلابته، ثم ترسل الأواني للاستعمال.

ما يؤيد هذه الفرضية المطروحة الأمور التالية:

١ - اختلاف البنية الداخلية لكل عمود عن الآخر، من ناحية حجم ولون الحصى المكسرة الداخلة في تركيبه، أي إنَّ هذه الأعمدة ليست من مصدرٍ ومقلعٍ واحدٍ.

٢ - لا تُوجد تشقُّقات طبيعية في بنية العمود، ولا عروق، كما هي أي هذه العروق في الرُّخام وأنواع الأحجار الأخرى. والعروق عبارةٌ عن أكاسيد معدنيَّةٍ تختلف ألوانها حسب المعدن، وتكون نقطة ضعف في بنية العمود.

٣- لا تُوجد تيجان كورنثيَّة منقوشة من نفس بنية العمود. والسؤال المطروح: كيف يُمكن نحت عمود بهذا الحجم، وهذه الأبعاد الدقيقة، والإنهاء الجميل للسطح الخارجي، ولا يُمكن نحت تاج كورنثيٍّ واحدٍ من نفس مادة العمود؟! ثم مع وجود حلقتين دائريتين غير منحوتتين في أعلى وأسفل العمود بعرض (١٠سم) من أجل زيادة مساحة ارتكاز العمود وزيادة جماله، هل من الصعوبة نحت نقش على هاتين الحلقتين؟

فلا يُوجد عمود واحدٌ يحوي حلقتين منقوشتين! الجواب عن هذه الأسئلة هو أن هذه الأعمدة قد صُنعت بطريقة الصبِّ.

٤ - نلاحظ أحياناً انسلاخاً «حديثاً» لطبقةٍ رقيقةٍ من السطح الخارجي للأعمدة المنصوبة في ساحة (أوغاريت)، أو في الأماكن الأخرى.

وسبب ذلك وجود إجهادات داخليَّة متبقية ناتجة من اختلاف درجات الحرارة في أثناء عملية صب العمود وتبريده، فالطبقة الخارجية تبرد أسرع من قلب العمود، وفي أثناء نقل العمود بالرافعة من مكان إلى آخر من أجل وضعه في مكان

جديدٍ، قد يتعرَّض إلى الصَّدمات والضربات في نقاط الضعف هذه، مِمَّا يؤدي إلى تكسرها في هذه النقاط. وهذا دليل آخر على فرضية صب الأعمدة.

٥ - هناك حادثةٌ نادرةٌ وفريدةٌ من نوعها تشير إشارة ما إلى بنية هذه الأعمدة سنوردها بالتفصيل لصعوبة تكرارها؛ وقد سمعتها مباشرة من الأشخاص الذين نفَّذوا هذا العمل، فعند إنشاء المبنى الذي تقع فيه غرفة زراعة اللاذقيَّة في شارع (اليرموك) ظهرت عند حفر الأساسات أعمدةٌ رومانيَّةٌ وأحجار منقوشةٌ، على عمق أمتار من مستوى سطح الأرض، فأُزيل البعض منها، وبقي عمودٌ ضخمٌ لم يستطع المتعهد رفعه لتداخل جزء كبير منه تحت بنايةٍ مجاورةٍ لعقار آخر، فتُرِك هذا العمود كما هو، وأُقيم البناء.

ولكن بقاء هذا العمود داخل الملجأ بارزاً بشكلٍ أفقيٍّ بمقدار مترين ونصف، وقطر (٧٥سم)، ومرتفعاً بنحو (٨٠سم) عن أرضية الملجأ، كان عائقاً أمام التحرك بحرِّيَّةٍ والعمل ضمنه، فقد قلَّل من المساحة المستفاد منها داخل الملجأ، مِمَّا أدَّى إلى انخفاض قيمته، فلهذا السبب قام صاحب الملجأ في بداية التسعينات من القرن العشرين باستقدام عمال وفنيين لتكسير هذا العمود، وذلك باستخدام المطارق والمهدَّات، ولكن دون نتيجةٍ لصلابة العمود ومتانته، وفشلت جميع المحاولات.

فلجأ صاحب الملجأ إلى الأخوين (صالح وناصر يحيى عفيصة) في محلهما الكائن قرب المحكمة القديمة وطلب منهما المساعدة، فقاما كالعادة المتبعة باستخدام المطارق والأزاميل، ولكن دون نتيجةٍ أمام صلابة هذا العمود.

وأخذ (ناصر) شظيَّةً مكسورةً من هذا العمود إلى ورشته، وأراد أن يتعرف أكثر بُنيَتها، فسلَّط عليها شعلةً ناريَّةً من اللَّهب المركَّز من (الشلمون) المستخدم في

عملية لحام المعادن، فلاحظ أنَّ داخل بنيتها مادَّةً تشبه البلاستيك بدأت تلين، فخطر له فكرة استخدام (شلمون) اللحام للمساعدة في عملية التكسير، فأخذ أسطوانةً من الغاز وأسطوانةً من الأوكسجين لمكان العمود، وامتطى (صالح) الجزء البارز من العمود ممسكاً (الشلمون)، ومسلِّطاً اللهب النَّاريّ بدرجة حرارة (١٢٠٠) لفترةٍ طويلةٍ على منطقة العمود القريبة من الجدار، ثم أخذ يطرق بالإزميل والمطرقة على مكان تمركز الحرارةِ، وبدأت هذه الصلابة تلين بتأثير الحرارة، واستطاع أن يحفر بصعوبةٍ وببطء سنتيمترات قليلةً من العمود وبنتيجةٍ أفضل من السَّابق، ثم أعاد الكرَّةَ في اليوم التالي، ولاحظ أنَّ الحرارة بقيت مختزنةً في العمود إلى اليوم التالي.

واستطاع أن يحفر بمشقَّةٍ في نفس المكان بضعة سنتيمترات بواسطة الإزميل، وفي اليوم الثالث تابع العمل وزادت الحرارة المختزنة في جسم العمود يوماً بعد يومٍ، حتَّى أصبح من الصعب الجلوس على العمود قريباً من مكان الحفر.

ولم يستطع خلال الأيام الثلاثة سوى حفر مجرى بسيطٍ بعمق (١٠سم) من أصل (٧٥سم) من الجهة العلوية للعمود فقط.

وفي لحظةٍ ما وفي أثناء عمله؛ وهو ممتطٍ العمود من الجهة العلويَّة والمرتفع عن أرض الملجأ بمقدار (٨٠سم)؛ فجأةً انهار القسم البارز من العمود الذي كان (صالح) عليه، وسقط العمود على أرض الملجأ محدثاً دوياً هائلاً، ومن شدة ثقل العمود انخسفت أرض الملجأ وانغرس العمود في الأرض بنحو (٢٠ سم)، بعد أن تكسرت الطبقة البيتونية الرقيقة لأرض الملجأ.

وتأذى (صالح) قليلاً نظراً لأنه كان ممتطياً العمود الضخم.

ولم يستطع صاحب الملجأ إخراج هذا العمود الذي يزن عدة أطنان، فقام بحفر أرض الملجأ بعمق مناسب ودفن العمود هناك، وأخرج الأتربة من الملجأ على مراحل ودفعات، وما زال العمود مدفوناً هناك.

هذا العمل دليل آخر على أنَّ المادة الغرائية الرابطة تأثرت بالحرارة المختزنة تدريجياً، فبدأت بالرجوع إلى حالتها الأولية، فضعفت القوة الرابطة، وساعد وزن العمود الكبير على الضغط نحو الأسفل مما أدى إلى انفصاله.

أردنا إيراد تفاصيل هذه العملية بعد سماعها من منفذيها لأنه من الصعب تكرارها.

إذن الطريقة المثلى لقص الأعمدة الرُّومانيَّة ليس باستخدام المطارق أو مناشير الرخام الكهربائية، التي لن تؤدِّي إلى النتيجة المرجوة، للقساوة الكبيرة للعمود، وإنما يكون بأقل جهد ممكن، وذلك بتسليط لهب مركز ذي حرارةٍ عاليةٍ بواسطة (الشلمون) على مسار نصف محيط العمود لفترةٍ طويلةٍ، حتَّى تتغلغل الحرارة لداخل العمود، وبتأثير الوزن الكبير للقسم الحر للعمود، والذي يكوّن قوَّةً ضاغطةً كبيرةً تؤدي إلى قصِّ العمود المطلوب.

فهل توضحت بعض أسرار هذه الأعمدة الرومانية أم لا تزال لغزاً دفيناً من أسرار تاريخ سوريا القديم؟

وأخيراً أقترح إعادة بناء مدينة اللاذقيَّة الرُّومانيَّة كما كانت منذ ألفي عامٍ، بشوارعها وأروقتها وقلعتها وسورها وبوَّاباتها وأسواقها وساحاتها، ومعبد (باخوس) وقوس النصر وميناء المدينة المزود بسلسلةٍ حديديَّةٍ عند مدخله.

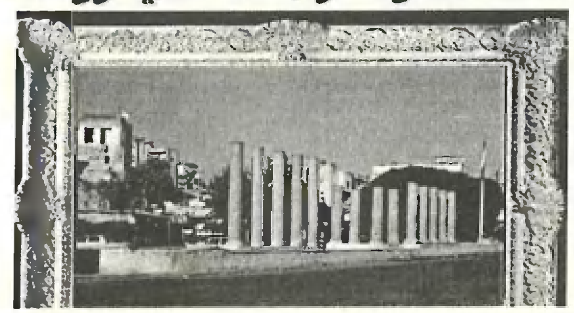
وذلك من خلال تتبع الآثار الظاهرة القليلة المتبقية، والمعلومات الموثقة، ومن خلال الآثار المطمورة والمتناقلة شفهياً من الرُّواة، وذلك عن طريق رسمٍ هندسيٍّ مجسَّمٍ تخيليٍّ ثلاثيّ الأبعاد للمدينة، وأن يقوم بهذا العمل الفريد شخص

أو أكثر من المهندسين الهواة والمهتمين بتاريخ مدينتهم، أو من طلاَّب مشاريع التخرُّج، وسيلقون كلَّ دعمٍ ومؤازرةٍ ومشورةٍ من مؤيِّدي هذا المقترح.

٢٠١٦/٧/١١

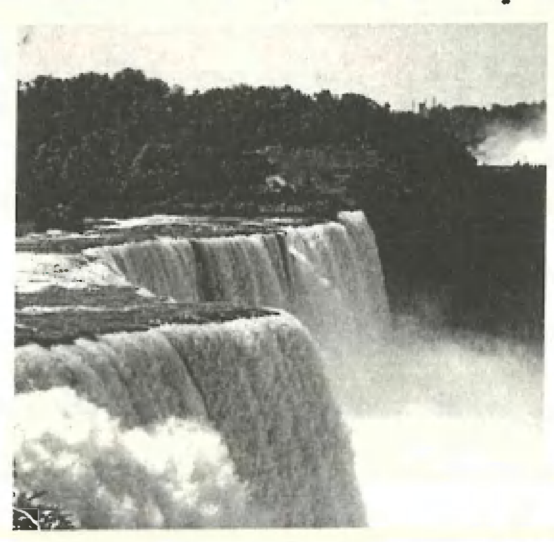


عمود تراجان في روما



المياه في اللاذقية
عبر التاريخ

الماء هو سر الحياة وأصل الحياة. قال تعالى في كتابه الكريم ﴿**وجعلنا من الماء كل شيءٍ حي أفلا يؤمنون**﴾. من الآية / ٣٠/ سورة الأنبياء.



شلالات مياه طبيعية

لفترات طويلة كان سكان مدينة اللاذقية يعتمدون على مياه الآبار المنتشرة في بعض المنازل، واعتمد السكان أيضاً على جمع مياه الأمطار التي تتساقط على أسطح المنازل في الشتاء، إذ تجمع في صهاريج تحت الأرض.

وهذه الصهاريج الفخارية مزججة من الداخل لحفظ المياه بشكل جيد. ولكن قبل تخزين المياه كان الهطول الأولي للمطر يشطف سطح المنزل من الغبار والتراب، ويصرف بالمزاريب إلى خارج المنزل، وبعدها تسد المزاريب الخارجية، وتجمع هذه الأمطار في الصهاريج.

ويقول أبو الفداء المتوفى في سنة / ١٣٣٣/ م في كتابه تقويم البلدان: اللاذقية من ساحل الشام، وهي بلدة ذات صهاريج على ساحل البحر، ولها ميناء حسن.

أردت أن يكون هذا الموضوع متعدد الجوانب من الناحية العلمية والتراثية والتاريخية والأدبية والثقافية ليجد فيه القارئ بعض المتعة.

من الجدير بالذكر أن المياه قد جُرَّت إلى اللاذقية بقناة رومانية أيام ماركو أنطونيو سنة / ٣٤/ ق.م من نبع عيدو- وعين العشرة. الذي يرتفع عن سطح البحر/ ٤٣٠/م ويبعد عن اللاذقية أكثر من خمسين كيلومتراً. ولا تزال آثارها الباقية تدل عليها حتى اليوم. وتنتهي هذه القناة في حدائق اللاذقية الخضراء (مشروع الصليبة حالياً عند مبنى الأمن الجنائي). وتصل هذه المياه عبر أنفاق وكباري وقنوات فخارية وفتحات تفتيش. وقد قامت بدراسة مسار هذه القناة الباحثة الإيطالية المستشرقة (ماريا أنتونيتا كارتا) وزوجها المهندس معروف كروم، مع فريق من المساعدين إذ قاموا بجهد كبير في أخذ الأبعاد والمناسيب والكشف عن حفر التفتيش والأقنية الحجرية والفخارية وتتبع سير القناة في الجبال والأودية والسهول من المنبع حتى اللاذقية لمسافة نحو خمسين كليو متراً.

وقد استغرقت هذه الدراسة الميدانية التي شملت خط سير القناة والمناسيب نحو ثماني سنوات، ولم تنشر هذه الدراسة حتى الآن. وللباحثة

مؤلفات عن سورية باللغة الإيطالية، ومنها كتاب [قصص سورية شعبية] باللغتين الإيطالية والعربية.

كان الناس يستخرجون المياه من الآبار بواسطة دلو مربوط بحبل يمر على بكرة (طلية) مما يخفف من جهد الرفع المبذول.

وفي الأماكن العامة (مثل الزاويا والمساجد والحمامات) التي تتطلب استعمال الماء استعمالاً مستمراً، يتم تركيب دولاب خشبي مفرغ من الداخل ويدور حول محور أفقي فوق البئر ومثبت على دعائم على جانبي البئر. ويدار هذا الدولاب بواسطة أربعة مماسك خشبية مثبتة بشكل متصالب من كل جانب من الدولاب. فبتدوير هذا الدولاب يدوياً بواسطة المقابض يلتف الحبل على الدولاب رافعاً الدلو من البئر حتى يصبح على مستوى فوهة البئر حيث يتم الإمساك بالدلو ويصب في الأباريق الفخارية المتوضعة بجوار البئر تمهيداً لاستعمالاتها المطلوبة. ويستخرج الشخص في المرة الواحدة من ١٠ إلى ٣٠ ليتراً من الماء. وظلت هذه الطريقة مستخدمة لمئات من السنين حتى نهاية الخمسينات من القرن الماضي، حين بدأت هذه الطريقة اليدوية بالاندثار لتحل محلها المضخات الكهربائية لرفع المياه من الآبار.

ومن الآبار التي كانت مشهورة في ذلك الزمان:

- **جب الشعير**: كان يقع في مكان شعبة التجنيد السابقة- قرب المحكمة العسكرية حالياً.
- **جب الدليلة**: مكان نادي تشرين حالياً.
- **جب القيق**: مقابل جامع عمر بن الخطاب - شمال المؤسسة العسكرية. يبعد عن جامع عمر بن الخطاب ١٠٠ متر باتجاه جنوب غرب.

- جب البريد: شارع القوتلي- قرب المعهد الفندقي.

- جب الزرنيخ: عند مؤسسة الريجي القديمة.

- جب القيشاني: شمال غرب قوس النصر بالصليبة، ويبعد نحو / ٧٠/ م، ويغذي الحمامات.

- جب العسل: جنوب جامع البيرقدار بالصليبة بمسافة ١٠٠ متر- في حديقة بناء عابدين.

- جب عينوص: جنوب شرق ملجأ مارتقلا، ويبعد / ٣٠/ م. وكان فوقه قنطرة مقامة على أربعة أعمدة، فوقها عقد حجري ولوحة رخامية مكتوب عليها العقل بالرأس.

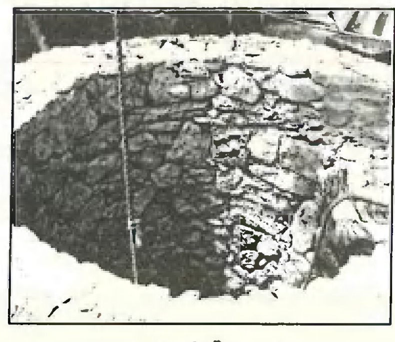
- جب علي: مكان إدارة المرور حالياً على طريق قنينص القديم.

- جب زاوية الفتاحي: كان يزود الزاوية وحمام العوافي بالماء (ولحمام العوافي قصة أخرى).

- جب أنجرو: في ساحة حلوم قرب فرن أنجرو.

- جب الأرناؤوط: في الصليبة شمال قوس النصر.

- جب الكنافة.



صورة بئر عربي

ولشهرة هذه الآبار في ذلك الزمان ذكرها الشيخ عبد الرحمن مصطفى المحمودي في قصيدة له عام (١٣٢٥هـ-١٩٠٧م) في ديوانه (ديوان المغنطيس في الغزل النفيس).

اللازمة

أعـدّد مـا إليـه غـدا الـذهابا — مـع الأحبـاب طـراً والـصحابا

دور

إلى جـب الكنافـة قـد قـصدنا — وجـب القيـق فيـه لقـد قعـدنا

وفي عينـوص مجلـسنا عقـدنا — لجـب سليم قـد يغـدو الـذهابا

دور

لمغـر هليـل ثـم إلى الأمانـة — رحلنـا وفـيهما بـدت الأمانـة

ببستان الرمـل جـاءت أمانـه — عـلى جـب أنجـرو غنـت عتابـا

دور

بمرجـة جـب زرنـيخ لعبنـا — ومـن جـب الـشعير لقـد شربنـا

إلى الـزنكيرة العظمـى ذهبنـا — ذهبنـا الهـم عنـا والعـذابا

دور

فجب الـشيخ عـلي فيـه الـشفاء — وجـب دليلـة فيـه الهنـاء

وفي الغراف يجري فيه ماء — غـدا عـذباً فراتـاً مـستطابا

دور

وفي اسـكنتورنا دارت حميـا — أدار كؤوسـها بـاهي المحيـا

إلى شـير اللقيـة نـادى هيـا		هنالـك سـندلكس المـاء طابـا

دور

علـى جـب البريـد لقـد وقفنـا		ومـن أزهـار روضـته قطفنـا

ومـن جـب العسـل أنـا رشـفنا		وجـدنا مـاءه عسـلاً مـذابا

وكانت النواعير منتشرة أيضاً في بساتين اللاذقية توفِّر المياه للشرب ولسقاية الأراضي. وتعتمد الناعورة على الدواب في إدارتها وتشغيلها، وعلى دولاب كبير موزع فيه دلاء تغرف المياه من أسفل البئر، ثم ترتفع لتصب الدلاء المملوءة بالماء في بركة كبيرة أو بمجرى على شكل قناة توزع من خلالها للسقاية والاستعمالات اللازمة.

ونذكر بعض هذه النواعير التي كانت معروفة في ذلك الزمان:

- **ناعورة بستان الكسيم**: كانت تقع في بستان جميل في الأرض المقام عليها حالياً بنك عودة مقابل مديرية الموانئ والجمارك.
- **ناعورة المغربي**: كانت تقع في بستان جميل مقام عليه حالياً مؤسسة الإعلان. ولا تزال هناك شجرة جميز معمرة حتى الآن من بقايا هذا البستان بالقرب من مدرسة عمر بن الخطاب.
- **ناعورة بستان الورد**: كانت تقع في الأرض المقام عليها حالياً دار الأيتام قرب المحكمة القديمة، وكانت تزود الحمام الصغير بالماء الذي يبعد عنها مقدار (٥٠)م قرب مفروشات دباليز.
- **ناعورة الخان الكبير**: كانت تقع مكان سينما دمشق- مقهى المنتدى حالياً- مقابل الستراند، وكانت الأرض تابعة لوقف بيت فرحات.

- **ناعورة حير القمر**: تقع مقابل بناية الكازينو حالياً.

- **ناعورة الدعبول**: تقع موقع بناية الشبيبة حالياً- مقابل مديرية التموين القديمة.

- **ناعورة مارتقلا**: تقع في بستان الشموط- قرب ملجأ مارتقلا حالياً.

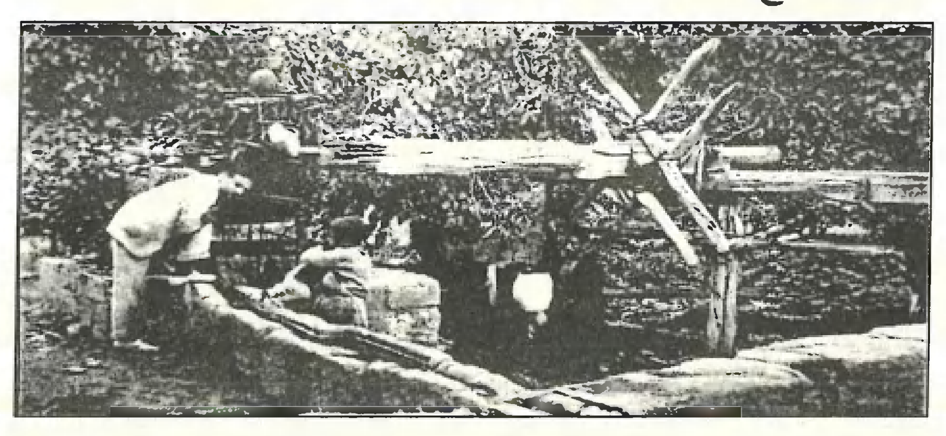
- **ناعورة بستان الجوني**: مكان بناية الإسكان العسكري حالياً- شارع الإسكان في الصليبة.

- **ناعورة البريد**: شارع القوتلي- بناية شريتح- قرب المعهد الفندقي.

- **ناعورة حير القش**: قرب بوابة المرفأ (باب رقم ١).

- **ناعورة حارة القواهر**: قرب بناية الشبيبة في الصليبة.

- **ناعورة جامع الجديد**.



اللاذقية- ناعورة

وقد ورد في كتاب (نزهة الأنام في محاسن الشام) لأبي البقاء عبد الله بن محمد الدمشقي المولود سنة (٨٤٧هـ-١٤٤٣م) أبيات شعرية رقيقة عذبة لشعراء وصفوا النواعير والصوت الحنون الرتيب المنبعث منها.

فيقول الشاعر ابن نباتة:

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها وأضلعها كادت تعد من السقم

أدور على قلبي لأني فقدته وأما دموعي فهي تجري على جسمي

ومن محاسن شعره أيضاً قوله فيها:

أعجب لها ناعورة قلبها للماء منشى العيش والعشب

تعبانة الجسم ولكنها كما ترى طيبة القلب

ويقول الشاعر ابن تميم:

ناعورة مذ ضاع منها قلبها دارت عليه بأنة وبكاء

وتعللت بلقائه فلأجل ذا جعلت تدير عيونها في الماء

في اللاذقية أيضاً عين قليلة المياه في منطقة السندلكس (سانت الكسي) استفاد منها السكان استفادة ضئيلة.

وهذا النبع مياهه عذبة، وتتمتع منذ القدم بخواص شفائية، ويقصدها المرضى وطالبو البركة.

وتقع عين (سانت ألكسي) في الطرف الجنوبي من مدينة اللاذقية، وتبعد عن شاطىء البحر نحو ١٢٥ متراً.

ومدخل النبع عبارة عن قبو معقود من الحجر الرملي ينزل إليه بثماني درجات، فقد نقر في الصخر الأصم حوض مستطيل لتجميع المياه يبلغ عمقه متراً ونصفاً تقريباً.

وقد عثر إلى جوار النبع في عام / ١٩٥٧ / على تابوت روماني من الرخام الأبيض نقش على واجهاته الأربع مشاهد مختلفة نافرة مستمدة مواضيعها من الميثولوجيا الإغريقية.

تعدّ هذه التماثيل النافرة البديعة المنقوشة والمزخرفة آية من آيات الفن[1].

وقد نقل تابوت اللاذقية هذا ليأخذ مكانه في المتاحف.

وقد أزيلت مغارة النبع عند إنشاء الشارع الرئيسي المؤدي إلى الكورنيش الجنوبي.

ويحدد مكانه حالياً على بعد خمسين متر من زاوية مبنى مؤسسة المطاحن والحبوب من الجهة الجنوبية بعد الخط الحديدي للقطار.

وهكذا أزيل معلم أثري تاريخي آخر ليلحق بأمثاله من آثار اللاذقية القديمة المندثرة.



تابوت روماني مزخرف - اللاذقية

---

(١) الحوليات الأثرية مجلد ٧ لعام ١٩٥٧م.



مدخل عين سان ألكسي

وكان لا بد من التفكير بتوفير المياه من أقرب مصدر غزير بالإسالة الطبيعية. وهكذا جُرَّت مياه نبع ديفة الذي يرتفع عن سطح البحر/ ١٦٠/ م، والذي يبعد نحو ٢٠كم عن اللاذقية عام ١٩٢٤ بقطر أنبوب ٣٠٠مم من الحديد وبتدفق ١٢٠٠٠م٣/ يوم. وأقيم لهذا الغرض خزان في القلعة بسعة (١٠٠٠)م٣ وأقيمت شبكة المياه وسبل الماء أي الحنفيات ذات مكابس الضخ اليدوية في أحياء متعددة في المدينة لتوفير مياه الشرب لسكان هذه الحارات. حين لم تكن هناك شبكة أنابيب لمياه الشرب تصل للمنازل في المدينة.

وكان توزيع سبل الماء هذه التي تسمى محلياً بالحنفيات (أي مكابس ضخ يدوية للمياه)، وقد أزيلت في بداية الخمسينات من القرن الماضي. وكانت موزعه في المدينة كالتالي:

- حنفية مجنون ليلى - مقابل جامع الأمشاطي عند مدخل الطريق المؤدي إلى حارة الصليبة.

- حنفية طلعة الصيداوي - إلى الطابيات بالقرب من أعمدة باخوس.

- حنفية مينة القزيز - عند المسمكة حالياً قرب المحاربين القدماء.

- حنفية دحو - عند مغسلة الشقروف حالياً.

- حنفية الأمير كان - عند رصيف ساحة الأوقاف - مقابل الصيدلية المركزية.

- حنفية البازار - قرب صيدلية ليلى.

- حنفية الطابيات - مقابل جامع أبي الدرداء.

- حنفية السلواية - مدخل شارع هنانو عند مسجد أبي بكر الصديق - مركز بردى للصيانة.

- حنفية الصليبة - مدخل الزقاق مقابل جامع الصليبة - عند مسجد الخشاش.

- حنفية القيشاني - عند حمام القيشاني المندثر.

- حنفية القلعة - مقابل كيدون الأرمن.

- حنفية السجن - قرب جامع عمر بن الخطاب

- حنفية أم السلطان (أم إبراهيم) - عند جامع الجود حالياً.

- حنفية الحاج قاسم - قرب حمام الحاج قاسم - الجهة الجنوبية من حديقة أبي تمام حالياً.

- حنفية القوتلي - شارع القوتلي.

- حنفية ساحة المغربي.

- حنفية القشلة - في الزاوية الشرقية الشمالية من حديقة أبي تمام.

- حنفية عينوص- جنوب شرق ملجأ مارتقلا عند مدخل معمل منصور لتجفيف البيض.



حنفية ذات مكبس ضخ يدوية

وبالرغم من دعم مياه نبع ديفة من مصادر آبار إرتوازية في دمسرخو لم يف ذلك بحاجة المدينة من المياه. وفي عام /١٩٦٣/ لم تعد تكفي مياه الشرب، بالرغم من دعمها من مياه آبار إرتوازية من موقع بسنادا، فكان لابد من البحث عن مصدر كاف وغزير للمياه، واتجهت الأنظار إلى مياه بحيرة السن التي تبعد نحو /٤٠/ كم عن اللاذقية. فغزارة مياه بحيرة السن التي تتغذى من أحد عشر نبعاً من الجبال المحيطة تصل حتى (٢٠) م^{٣}/ ثانية، وفي حدها الأدنى (٨) م^{٣}/ ثانية، وتتصف هذه المياه بمواصفات جيدة. والسلبية الوحيدة لها هي نسبة (الكلس) الكالسيوم العالية فيها. ويتضمن مشروع السن من محطة تصفية مياه البحيرة ومعالجتها بالكلور، ومحطة ضخ حتى خزانات اللاذقية.

وبدأت أعمال الخط الأول لجر مياه السن عام /١٩٦٦/ بقطر (٧٠٠) مم من أنابيب الفونت المرن وتدفق (٣٣٠٠٠) م^{٣}/ يوم، ووصلت المياه لأول مرة إلى اللاذقية في تشرين الثاني ١٩٧١.

وقد بدأت العمل في المشروع شركة فرنسية أخذت على عاتقها تنفيذ هذا التعهد مع الحكومة، واستخدمت رافعة واحدة فقط، طاقة الرفع لديها /٨/ طن لرفع الأنابيب ووضعها في مكانها الصحيح في الأرض المحفورة.

ولهذه الرافعة قصة جديرة بالذكر رواها لي المهندس خالد كروم: فبعد انتهاء الشركة الفرنسية من تنفيذ هذا المشروع بيعت هذه الرافعة لشركة (نقليات المرفأ والبلدة)، لأصحابها عمر هاني كروم ومحمد علي مفتي وكلفت الشركة الجديدة المالكة السائق حسين فارس منذ عام / ١٩٦٩/ م بالعمل عليها، وهو لم يسبق له العمل على أية آلية من قبل. فعملت هذه الرافعة في مرفأ طرطوس أثناء إنشائه، ولجودة عملها ولإعجاب الإدارة بها اشترت إدارة المرفأ عشرات من هذه الرافعات من نفس الشركة الصانعة ريشار. ولم تمض عشر سنوات من عمل هذه الرافعات في المرفأ حتى نسقت لعدم الاعتناء والصيانة اللازمة لها ، ولاستخدامها من أناس غير مؤهلين.



رافعة ريشار ٢٨/ ٤/ ٢٠١٤

أما الرافعة المذكورة فقد استمرت بالعمل في أماكن عديدة لا تحصى، ومنها على سبيل الذكر رفع أنقاض خزانات البترول في الرمل الشمالي قرب المنطقة الحرة بعد ضربها من قبل إسرائيل. وعملت في إنشاء المحطة الحرارية في محردة لمدة عام ونصف، وفي إنشاء هنغار معمل الألمنيوم في اللاذقية، ومؤسسة الإسكان العسكرية، وخزانات الشركة السورية لنقل النفط في بانياس، وفي العديد من الأماكن. ولا تزال هذه الرافعة تعمل جيداً حتى الآن منذ /٤٨/ عاماً، وبنفس السائق.

وقد كافأت الشركة المالكة هذا السائق منذ خمسة عشر عاماً بالتنازل له عن ملكيتها. وأصبح هذا السائق المالك الفعلي لها (انتهى). وقد أجريت مقابلة مع هذا السائق بتاريخ /٢٨/ ٤/ ٢٠١٤/ ولا يزال يعمل عليها، ويقوم بصيانتها والاعتناء بها منذ /٤٨/ عاماً.

وليس من المبالغة إذا قلت: إن للآلات روحاً، فإن أحسنت التعامل معها برفق وحنان كالتنظيف والتزييت والعناية المستمرة والصيانة وحسن التشغيل تجاوبت معك بالعمل المريح والسلس وأَدَّت عملها جيداً وطال عمرها. فالتنظيف والتزييت للآلة كل فترة مثل الحمام للإنسان يزيل عنه الأدران والأوساخ بين فترة وأخرى.

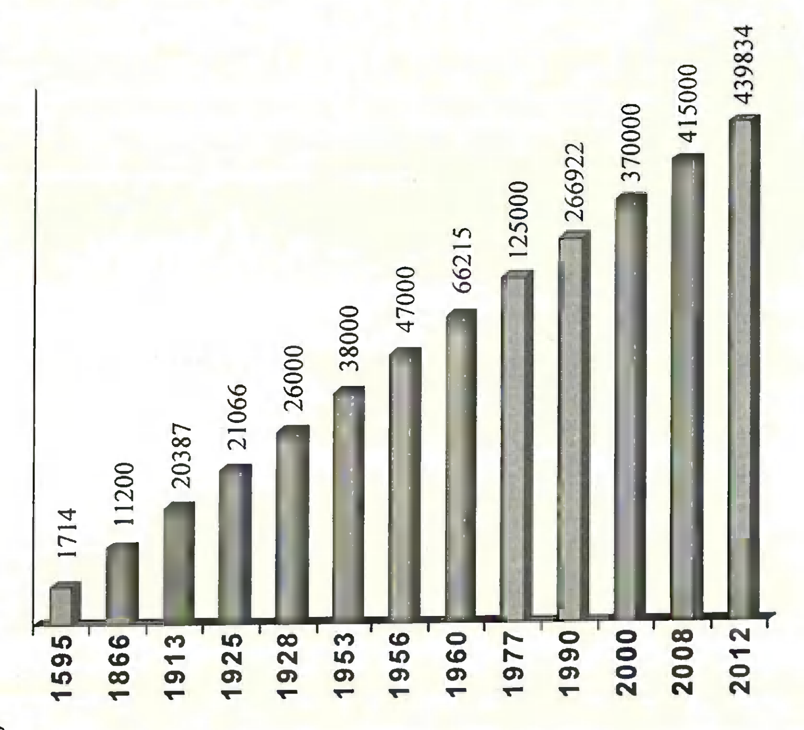
لقد استدعت زيادة عدد سكان المدينة توفير مصادر إضافية للمياه، فزاد عدد سكان المدينة وفق جدول تطور الكثافة السكانية لمدينة اللاذقية المرفق.

وبعد فترة من إنجاز الخط الأول دُعِم بخط جر ثانٍ بتدفق ٥٧,٠٠٠م٣/ يوم، وبقطر ١٠٠٠مم من الأسبستوس يجري حالياً استبدال الفونت المرن به بسبب أن الأسبستوس غير مرغوب به طبياً. ثم أقيم خط الجر

الثالث والرابع بقطر ١٠٠٠مم من الفونت المرن، وبتدفق ٥٧,٠٠٠م٣/ يوم لكل منهما.

وهذه الخطوط تغطي حاجة المدينة وحاجات جميع المناطق والقرى والتجمعات السكانية في محافظة اللاذقية لسنوات عديدة.

تطور الكثافة السكانية في مدينة اللاذقية



الصناعات اليدويّة والحرفية في اللاذقيَّة
حتى منتصف القرن العشرين

الحرفة عمل إنتاجي ينجزه الحرفي بعمله اليدوي وخبرته وفكره الإبداعي باستخدام الأدوات المناسبة.

فالحرفة إبداع من نوع خاص، وهي في الوقت نفسهِ وسيلة لكسب الرزق، والعيش بكرامة وتقديم الخدمات للمجتمع الذي ينتمي إليه الحرفي.

فبعض أعمال الحرفيين بقيت خالدة مع مرور الزمن تدل على نمط الحياة في الماضي، مثل الأدوات التي كان الناس يستعملونها في حياتهم اليومية إن كانت مصنوعة من النحاس أو الذهب أو الخزف أو الخشب والكتابات عليها ، فهي موضع دراسة من قبل الباحثين، وتعد تحفاً نادرة تعرض في مختلف متاحف العالم.

ويمكن القول: إن الصناع المهرة هم إلى حد ما من كتبة التاريخ يتركون بصماتهم من فن وإبداع وخبرات على أعمالهم التي تدل على ما وصلت إليه الحرفة في ذلك الزمن.

لقد دلت الاكتشافات والتنقيبات الأثرية على استخدام سكان الساحل السوري للأدوات الصوانية والمناجل الحجرية منذ العصور الموغلة في القدم، كما بينت أيضاً مراحل تطور صناعة الأدوات الفخارية من البسيطة إلى المزخرفة عبر

عهود طويلة من الزمن. وفي مرحلة لاحقة استخدم سكان هذه المنطقة الأدوات النحاسية والمعدنية وغيرها في حياتهم المعيشية.

ففي العهدِ الأوغاريتيِّ اشتُهِرَتْ أوغاريْتُ بالصِّناعةِ فكانَتْ مركَزَ إنتاجِ الأخشابِ وبيعِها، وصناعةِ المْعادِنِ والأوانِي المْشغولةِ بِحرفيةٍ ودقةٍ عاليةٍ، واختُصَّتْ بالمْنسوجاتِ والأقمِشَةِ والأصبغةِ المْستخلصَةِ مِنْ صَدَفِ الأرجوان Hexaplex trunculus. وقَدْ سَاعَدَ قُرْبُ الغاباتِ فِي ازدهار الصناعةِ الحْرفيَّةِ الخْشبيَّةِ والفخاريَّة، وترافق نموها معَ صناعةٍ عاجيَّةٍ محَليَّةٍ. وقدِ امتدحِ الشاعرُ اليونانيُّ (هوميْروس) فِي إلياذتِهِ الصِّناعاتِ والأوانِيَ التِي تُصنَعُ فِي أوغاريت، فقالَ: «لا تُوجَدُ آنيةٌ أُخْرى تنافسُهَا فِي جمَالِها».

وحين استوطن الكنعانيُّون (الفينيقيُّون) السَّاحل السُّوريَّ كانوا بارعينَ فِي صناعةِ الأنسجةِ المْصبوغةِ باللونِ الأرجُوانِيِّ، والأدواتِ الزجاجيَّةِ والأعمالِ المعدنيةِ وَالحفرِ علَى الخْشبِ والعاجِ، وزرَعُوا التِّينَ والزَّيْتُونَ. فقدْ ألقت نصوصُ شَمرةَ ضوءاً جديداً على غلبةِ الطَّابعِ التِّجاريِّ على جميعِ مظاهرِ الحياةِ في المدنِ الفينيقيَّةِ، إذ أشارتِ النُّصوصُ إلى وجودِ وكالاتٍ للأقمشةِ المصبوغةِ باللونِ القرمزيِّ، وذكرت أصنافَ الحرفِ المختلفةِ الموجودةِ فِي المدينةِ، ولكلٍّ من هذهِ رؤساء يديرونَ أمورَها ويشرفونَ عليها، ويُسمَّى الواحد منها (ربَّ الحرفةِ) أو رئيسَ محُترفيْها.

وطور الفينيقيُّونَ السفينةَ، وأوجدوا نظامَ الحسابِ، واختَرعوا كيلاً محدداً للوزنِ، ونقلُوا الحْضارةَ السوريَّةَ إلى أوربَّة.

وفِي مطلعِ القرْنِ الأوَّلِ المْيلاديِّ وفي عهدِ الرُّومانِ كانت اللاذقيَّةُ مدينةً تجاريَّةً مزدهرةً، ونقرأُ في كتبِ التّاريخ عن تصنيعِها لمادَّةِ الخمرِ، وذلكَ

بسببِ مرفئِها الذي كانَ يشهدُ حركةَ استيرادٍ وتصدير نشيْطةٍ، ولا سيما تصديْرِ نبيذِها الفاخرِ الذي كانَتْ تُصنّعُهُ مِنْ عِنَبِها المميَّزِ، وتصدِّرهُ إلى الإسكندريَّةِ خاصةً. يروي المُؤرِّخُ (سترابُون) أنَّ اللاذقيَّةَ كانتْ تَملكُ منطقةً مُهمَّةً لزراعةِ الكرمةِ، فالتِّلالُ المُحيطةُ بالمدينةِ كانتْ مُغطَّاةً تَماماً بالكرومِ، وهذا ما أدَّى إلَى تخصُّصِ اللاذقيَّةِ بتصديْرِ الكرمةِ، وإنَّ القسْمَ الأكبَرَ مِنَ الخُمورِ المُصدَّرةِ إلَى الإسكندريَّةِ كانَ يأتِي مِنَ اللاذقيَّةِ. واشتهرت في وقت لاحق في العهد العثماني بزراعة شجر التين وإنتاج التين المجفف وتعبئته بزنابيل من القش كغذاء ضروري للسكان في الشتاء.

ومعَ بدايةِ العصْرِ الأمويِّ فِي بلادِ الشَّامِ سنةَ (٤٠هـ)؛ نقعُ على صناعةٍ جديدةٍ في السَّاحلِ الشَّاميِّ وهي صناعةُ السُّفنِ، إذ أخذَ البحْرُ الأبيضُ المُتوسِّطُ يتحوَّلُ إلَى بُحيْرة إسلاميَّةٍ، فأنشأَ الأمويُّونَ الأساطيْلَ ودُورَ بناءِ السُّفُنِ وصناعتِها، وقامُوا ببناءِ السُّفُنِ البحريَّةِ والتِّجاريَّةِ بشتَّى أصنافِهَا وأحجامِهَا، وأصبحَتْ تُونُسُ والإسكندريَّةُ ورشيدُ ودمياطُ وصورُ وعكّا وطرابلسُ واللاذقيَّةُ قواعدَ بَحريَّةً للأسطولِ العربيِّ الإسلاميِّ والمِلاحةِ التِّجاريَّةِ.

ولذلكَ قامَ (معاويةُ بْنُ أبِي سفيانَ) بعدَ غارةٍ عنيفةٍ للرُّومِ سنة ٤٩هـ على سواحلِ الشَّامِ؛ بإنشاءِ دورٍ لصناعةِ السُّفُنِ فِي الشَّامِ إلى جانبِ دورِ الصِّناعةِ بِمصْرَ، لِيَجِدَ لهُ أساطيلَ على أهبةِ الاستعدادِ، فَجلبَ الصُّنَّاعَ والنَّجَارينَ إلَى ساحلِ الشَّامِ فِي عكّا، ثُمَّ نقلَها (هشامُ بْنُ عبْدِ المْلكِ) إلَى صُورَ.

وفي العهدِ العباسيِّ أُقيمتْ دورُ صناعةِ الرُّخامِ في اللاذقيَّةِ، إذ يذكرُ المُؤرِّخونَ أنَّ (المُعتصمَ بالله) قرَّرَ أنْ يستعينَ برخامِ اللاذقيَّةِ فِي بناءِ مدينْةِ (سامرَّاء) فِي العراقِ سنةَ ٢٢١هـ، يقولُ (الحميْريُّ) عنْ ذاكَ فِي كتابِهِ (الروض المِعطَارِ فِي خَبَرِ الأقطارِ):

«وَفِي خبَرَ «الْمعتصمِ» أَنَّهُ لَمَّا شرعَ فِي بناءِ «سُرَّ مَنْ رأَى/ السَّامراء»، أُشْخِصَ لهُ البنَّاؤُونَ والنجَّارونَ والحْدَّادونَ وغيْرهم، وسِيْقَ إليهِ السَّاجُ وسائِرُ الْخشبِ والجْذوعِ منَ «البصرةِ» وما والاهَا مِنْ «بغدادَ» وَ«أنطاكيَّةَ» وسواحلِ الشَّامِ، وسِيْقَ إليهِ الرُّخامُ والعُمُدُ، وأُقِيْمَتْ بِـ «اللاذقيَّةِ» دورُ صناعةِ الرُّخَامِ».

وفي عهدِ الدَّولةِ الطَّولونيَّةِ نرى صناعة السُّفنِ في اللاذقيَّةِ وسواحلِ الشَّام ومصرَ من جديدٍ، فقد دخلَتْ فِي هذهِ الدَّولةِ سلسلةُ الْموانئِ وقواعدِ البحْرِ التِي تمتدُّ من ْطرابلس الشَّامِ إِلَى الإسكندريةَّ، وكانَتْ دورُ الصِّنَاعةِ فيها تتكاملُ فِي العتادِ البحريِّ والْمهاراتِ الْملاحيَّةِ اللازمةِ للقيام بتلكَ الْمسؤوليةِ، فأشجارُ جبالِ الشَّامِ تُقدِّمُ الْخشبَ اللازمَ لبناءِ السُّفنِ كالشَّلنديَّاتِ الكبيْرَةِ والأغربَةِ، وجذوعُ أشجارِ الشَّامِ الفارعةِ تُقدِّمُ صواري السُّفنِ، بينَما كانَ قماشُها يُصنَّعُ فِي مصْرَ، وفِي مصْرَ أيضاً كانَتْ تُصنَعُ حبالُ الليفِ،ومنْهَا كانَ يُؤتَى بزيْتِ الْخروَعِ والقارِ والْمساميْرِ وما إِلَى ذلكَ لصناعةِ السُّفنِ. وكانَتْ سواحلُ الشَّامِ تُخرِّجُ كبارَ الرَّبابنَةِ القادريْنَ على تسييْرِ السُّفنِ وركوبِ البحارِ العاليةِ. وقدْ تكاملَتْ كذلكَ موانِئُ البلديْنِ منَ اللاذقيَّةِ وجبلةَ وطرطوسَ حتَّى دمياطَ ورشيد والإسكندريَّةِ. وفِي كلٍّ منْ هذهِ الْموانِئ كانَتْ تقومُ دورُ الصِّناعةِ- أيْ مصانعُ بناءِ السُّفنِ- ولكنَّ دارَ الصِّناعةِ الرَّئيسة فِي الشامِ كانَتْ فِي جزيرةِ أرواد.

إن المجتمع في اللاذقية جزء من مجتمع بلاد الشام، والحرف والصناعات اليدوية في اللاذقية مثل مثيلاتها في دمشق وحلب وطرابلس.

فلم تزدهر فيها صناعات كالتي اشتهرت بها دمشق مثل الكفت على المعادن وصناعة أقمشة الدماسكو وتطعيم الموبيليا بالصدف، والسيوف

الدمشقية وغيرها. وذلك نتيجة الخراب والدمار الذي لحق بمدينة اللاذقية بسبب الزلازل التي أصابتها مرات عديدة. فقد تقلص عدد السكان إلى ١٧١٤ نسمة في عام ١٥٩٥م، أي في بداية الحكم العثماني. وأصبح عدد سكان اللاذقية عام ١٧٨٤م، ما بين أربعة وخمسة آلاف نسمة حسب تقديرات الرحالة الفرنسي فولني في ذلك الوقت، ثم أصبح ١١٢٠٠ نسمة عام ١٨٦٦م، حسب إحصائيات العهد العثماني كما ورد في مخطوط آثار الحقب في لاذقية العرب. وفي سنة ١٩٢٥م بلغ عدد سكان اللاذقية (٢١٠٦٦) نسمة حسب إحصاء العهد الفرنسي. أي إن اللاذقية تعدّ بلدة صغيرة بالنسبة لبلدان الشام.

ولعل ما ذكره (إلياس صالح) في كتابه (آثار الحقب في لاذقية العرب) عام١٨٨١، في صنائع اللاذقية يعبر عن الصناعات اليدوية في اللاذقية في الماضي. إذ قال: «أمّا الصنائع في اللاذقية فلا يوجد فيها إلاّ ما لا بد من وجوده كالصباغة والخياطة والعقادة والصياغة والسكافة وصناعة الحدادين والتنكريين والتجارة والبناء وعمل الفخار، وما شاكل ذلك. وجميع هذه الصنائع متأخرة لم يبلغ أحد من أربابها درجة الإتقان والمهارة في إحداها. وكلها جارية على الأصول القديمة التي ورثت عن الآباء والأجداد. ولعل هذا فيه الكثير من الصحة، فلم تكن اللاذقية ذات العدد القليل من السكان بأهمية مدن الشام الكبيرة، ومع أن مستوى العمل الحرفي في اللاذقية كان أقل منه في بقية المدن فقد ترك بصمات خاصة به.

إن الاطلاع على نمط الحياة في الماضي قبل أن يلفها ويطويها النسيان، وإبقاءها حية أمامنا يساعد على دراسة هذا الماضي بشكل علمي أو أقرب إلى المنهجية العلمية. وسأحاول بإيجاز قدر المستطاع شرح ماهية كل حرفة وطريقة عملها كي يستطيع القارئ غير المختص فهم خصوصية كل عمل.

ونستعرض فيما يلي المجالات التي نشطت فيها الصناعات والحرف اليدوية:

أولاً- أعمال الحدادة:



سوق الحدادين

كان للحدادين في اللاذقية سوق خاص بهم يسمى بسوق الحدادين ، ويقع في شارع الغافقي قبل التوسع. ومعظم محلاتهم تحت القناطر المبنية آنذاك. والعابر لهذا السوق في الماضي يسمع صوت المطارق تنبعث من هذه الحوانيت، وهي تطرق الفولاذ المحمى لتصنيع القطعة المطلوبة كما يرغبها الصانع، ويشاهد الكير الذي يبعث الهواء في الفرن الصغير الممتلئ بالفحم الحجري المتوهج لإحماء الحديد من أجل تصنيعه للغرض المطلوب، فالحدادة هي الطريقة الأولى لإعطاء المعدن أشكالاً مختلفة بدون اللجوء إلى صهر المعدن، بل يكفي إحماء المعدن ليصبح لونه برتقالياً ساطعاً، ثم يطرق هذا المعدن على السندان بالمطارق المناسبة ليحصل على الشكل المطلوب. وقد تعلم الحداد بخبرته المكتسبة تقدير درجة الحرارة الصحيحة للحديد المحمى من خلال النظر إلى لونه المتوهج للبدء في تطويعه.

وحالياً تصنف ألوان الحديد المحمى إلى ثلاثة عشر لوناً. ويبدأ من الدرجة ٥٥٠ مئوية حتى ١٣٠٠ درجة مئوية. فعلى سبيل المثال عندما يكون لون الحديد المحمى أحمر بنياً تكون درجة حرارته ٦٣٠، واللون الأحمر القاني ٧٨٠، والأحمر المصفر ٩٥٠.

كانت المنتجات كلها تصنع بمهارة ومقدرة صقلتها الخبرة بأدوات بسيطة مصنوعة باليد بدون تصميم أو قياس مسبق.

من منتجات أعمال الحدادة: أدوات الفلاحة، وسكة الصمد، والشلف، والشوكة، والمقص، والغربال، والمنشار اليدوي، وحدوات الفرس، والكلابات [الشناكل] لتسهيل حمل الشوالات وتعليق الذبائح، وتلبيس دواليب الطنابر بالحديد، وتصنيع أبواب حديدية ومفصلات الأبواب، وتصنيع قضبان حديدية للنوافذ وغيرها.

ولم تكن طريقة لحام المعدن معروفة قبل دخول الكهرباء إلى اللاذقية، فقد دخلت الكهرباء إلى اللاذقية في عام ١٩٢٣، واقتصرت على إنارة منزل الحاكم الفرنسي وبيوت الأسر الميسورة جداً، وأقيمت محطة توليد الكهرباء في البداية قرب المكان الذي بنيت عليه لاحقاً المكتبة الوطنية التي سميت فيما بعد بالمركز الثقافي، القديم وحالياً بالمسرح القومي.

فبدلاً من طريقة اللحام كان الحداد يقوم بإحماء قضبان حديد النوافذ بالطريقة المذكورة ثم بتطريقها لتسهيل ثقبها بأدوات خاصة والحصول على الثقوب لإدخال القضبان المتعامدة معها وتركيبها على النوافذ.

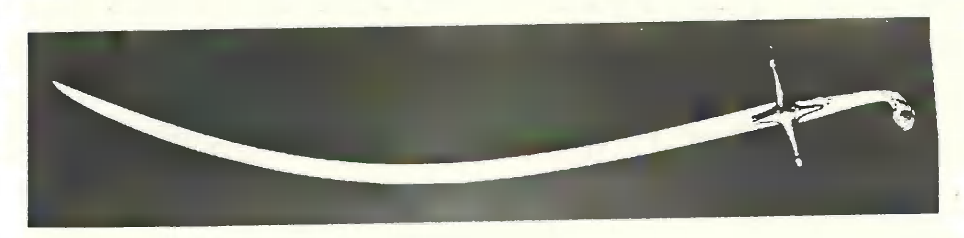
ويمكننا أن نرى بقايا هذه الأعمال في نوافذ الجوامع والبيوت القديمة. ولم يبق من سوق الحدادين في اللاذقية سوى محل واحد لصاحبه فؤاد علي حداد، وهو آيل للإغلاق.

ولا يسعنا إلاّ أن نتذكر الخبرة الكبيرة المميزة لأجدادنا الحدادين السوريين في الماضي الذين وصلوا إلى مستوى متفوق في ذلك الزمان، وتوصلوا إلى نوع مميز من الفولاذ سمي بالفولاذ الدمشقي الذي تميز بقوته وصلابته المتفوقة على أي نوع آخر من الفولاذ المعروف أيام الحروب الصليبية.

يصف مؤرخ غربي سيف القائد العربي المذهل في حدته وقوته بأن له نصلاً مقوساً ضيقاً وغير لماع كسيوف الفرنجة، وإنما هو على العكس ذو لون أزرق باهت فيه عشرات الملايين من الخطوط المتموجة، كانت من المتانة التي تجعلها تمتص الضربات أثناء الالتحام دون أن ينكسر أو يثلم. ويتصف أيضاً بمرونة كبيرة جداً.فيمكن أن يطوى النصل بزاوية قائمة ثم يعود كما كان عليه.

وظل سر السيوف الدمشقية والدروع الدمشقية لعدة قرون من الموضوعات التي تثير خيال الحدادين في أوروبا وتصيبهم بالإحباط في آن واحد لعدم تمكنهم من الوصول إلى معرفة طرق الحصول على هذا الفولاذ.

وفعلاً كان الفولاذ الدمشقي أيقونة الفولاذ المعروف في ذلك العصر. وسر صنعة هذا الفولاذ الدمشقي كان يتداول شفهياً، ولم يدون كتابة خوفاً من وقوعها ومعرفتها من قبل الأعداء. وقد فقد سر هذه الصناعة منذ دخول تيمورلنك إلى دمشق.



سيف دمشقي

فقد ورد في كتاب (عجائب المقدور في أخبار تيمور) لابن عرب شاه في الصفحة ١٩٦: «بأن تيمور أخذ من دمشق أرباب الفضل وأهل الصنائع وكل ماهر في فن من الفنون بارع، وكذلك أهل الحرف والصناعات والعبيد والنساء والصبيان والبنات ما لا يسع بالضبط ولا يحل الربط إلخ...».

ولم يُتَوصَّل لأسس المعرفة العلمية الكاملة للفولاذ الدمشقي حتى نهاية القرن التاسع عشر حين قام عدد من الباحثين باستنباط التحولات الطورية التي يتعرض لها الفولاذ بتأثير كل من درجات الحرارة ونسبة الفحم، وهو ما يسمى اليوم بالمنحني الطوري للحديد والفحم.

وأجريت عشرات من التجارب لمختلف أنواع الفولاذ وبمعالجات حرارية متنوعة للتوصل الى مواصفات شبيهة بالفولاذ الدمشقي. ومن المعلوم أن الفولاذ بجميع أنواعه المستخدمة حالياً في الصناعة يحوي نسبة من الفحم تتراوح بين ٠،٠١٪ و ١،٣٪، وإذا زادت هذه النسبة يصبح الفولاذ قصيفاً.

والمدهش أن نسبة الفحم في الفولاذ الدمشقي كانت أكثر من ذلك فهي تتراوح بين ١،٥ و ٢٪. ومع ذلك احتفظ بمتانته وصلابته وتحمله للصدمات نتيجة معرفة الأجداد بطرق معالجات حرارية خاصة بهم أكسبته هذه الصفات الفريدة.

وحتى وقتنا الحاضر يتحدث معنا الأوروبيون بكل إعجاب وتقدير عن الفولاذ الدمشقي المشهور الذي بقي مئات من السنين سراً دفيناً من أسرار الشرق الأسطوري الغامض، وكأنه إلى حد ما يشبه الغموض الكامن في لوحة الجوكندة أو الموناليزا الشهيرة ذات الابتسامة المحيّرة الغامضة.

ثانياً- الصناعات الخشبية:

استخدم النجارون الخشب مادة أولية أساسية بكافة أنواعه مثل: الجوز والحور والزيتون والشربين والدردار، واستفادوا من الأخشاب المستوردة كالزان والسويد والشوح والسرو (من فصائل الصنوبريات)، كما استخدموا خشب الصندل (القطراني) ذا الرائحة العطرة أحياناً.

وكانت أدواتهم المستخدمة بسيطة مثل المنشار والفارة والرابور، وذلك قبل دخول الكهرباء واستخدام آلات النجارة الحديثة.

واستخدموا الغراء العظمي لوصل القطع الخشبية بعضها ببعض. وهو أفضل بكثير من أحسن أنواع الغراء الحالي. ولا يزال يستخدم حتى الآن، وخاصة في لصق قشر الجوز على الموبيليا ، لأنه لاصق قوي ومناسب أكثر من أي نوع آخر. وصناعة الغراء قديمة جداً من أيام الفراعنة والإغريق والشعوب الأخرى. وفي عام ١٦٨٨ حول عالم فرنسي بواسطة جهاز خاص عظام الحيوانات وبقايا الجلود بواسطة الماء والحرارة والضغط إلى غراء سمّي بالغراء العظمي.

والنجارون نوعان:

١ - **نجار عربي** لصناعة الأبواب والنوافذ والشعريات.

٢ - **نجار إفرنجي** لصناعة الخزن والجاردينية والصناديق المرصعة بالصدف للأعراس.

وقد اشتهرت الصناديق المصنوعة من خشب الجوز التي تبقى قروناً لا تتشقق ولا تتآكل، وتعدّ جزءاً أساسياً من جهاز العروس. وكانت تصنع موائد

الطعام الدائرية قصيرة القوائم المسماة / بالطبلية/ يجلس حولها أفراد الأسرة لتناول الطعام جلوساً على الأرض، وأدوات الطعام كالخاشوقات [ملاعق خشبية] والكفكير والمغرفة، والقباقيب الخشبية وكراسي القش، والشعريات والخرَّاجات والقوارب الخشبية.

أما في مجال الحفر على الخشب، فقد برع الصناع المهرة في صنع الخزن والجاردينية، وتميزت أعمالهم بالرسوم النباتية النافرة من عروق وتفريعات لأزهار، وجميعها محفورة يدوياً بأدوات بسيطة منذ أكثر من مئة عام. وقد بلغت من جودتها أن البعض من هذه القطع يعرض حالياً لتزيين ممرات فندق الشيراتون في حلب. ولا تزال بعض الأسر في اللاذقية تحتفظ بهذه القطع الأثرية في بيوتها.

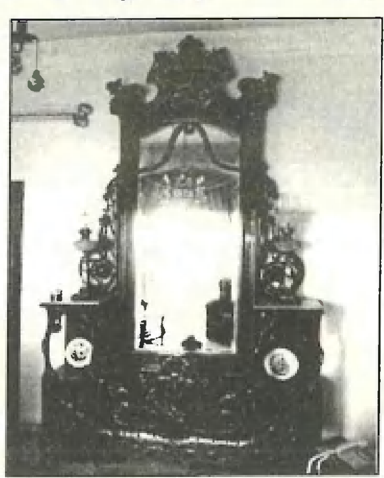
الشعرية والخرّاجة:

كانت البيوت في الماضي مزودة بشعريات على النوافذ، وهي عبارة عن قضبان خشبية رفيعة وناعمة متوضعة بانتظام ومتباعدة بعضها عن بعض ، وتميل عن الأفق بزاوية نحو ٤٥ درجة ، ومثبتة مع صف آخر من القضبان المثيلة والمتصالبة معها بحيث تكوِّن ثقوباً منتظمة صغيرة مربعة الشكل ومحاطة جميعها بإطار خشبي مربع، يمكن تحريكه عامودياً ضمن مجارٍ جانبية من طرفي النافذة.

وظيفة الشعرية حجب رؤية المارة عن داخل المنزل وسكانه، والسماح بحرية الرؤية لأهل المنزل للخارج. بالإضافة لذلك تسمح الشعرية بمرور الهواء في الصيف مما يكون تياراً هوائياً بارداً، فهي بمثابة تهوية طبيعية للمنزل.

أما الخرّاجة فهي عبارة عن نصف أسطوانة خشبية مثبتة على نافذة صغيرة بنفس أبعادها، وتبرز للخارج عن مستوى جدار المنزل، بحيث تسمح بالنظر من

خلالها إلى الشارع من بدايته حتى نهايته من الجانبين ومن الأسفل عبر ثقوب طويلة ضيقة متوضعة بانتظام على السطح الأسطواني الخشبي. وتستطيع ربة المنزل في أي وقت تشاء النظر من خلالها إلى الشارع والمارة من جميع الجهات، وتبقى هكذا ساعات طويلة في وقت فراغها بدون أن يلحظها أحد مستمعة إلى ثرثرة المارة وأحاديثهم. وقد تتسلى خلال ذلك بأكل البزر والمكسرات. هذه المنشآت الخشبية الأنيقة (الشعرية والخراجة) كانت تستر الأجواء الداخلية للمنازل، فربما كانت شهرزاد تحكي بصوت هادئ رخيم قصة ألف ليلة وليلة ضمن عالمها الخاص، أو أم حنون تروي لطفلها الصغير قصة السمكة الذهبية والصياد. كان منظر هذه المنشآت جميلاً، ناعماً، ورومنسياً، يرمز إلى غموض الشرق الأسطوري، وهي تشبه المناديل الحريرية الناعمة الجميلة المسدلة برفق على وجوه العذارى الحسان.



جاردينيه صناعة خشبية يدوية

وقد بدأت هذه الوسائل الطبيعية بالاختفاء التدريجي بظهور المراوح الكهربائية ثم المكيفات. وأحياناً نشاهد ما تبقى منها في المنازل المهجورة والآيلة للهدم القريب، أو تظهر في صور ملتقطة لشوارع اللاذقية القديمة.

صناعة القوارب الخشبية:

في اللاذقية صناعة بدائية لقوارب خشبية [فلايك] تستخدم لصيد الأسماك، ولا تستطيع الإبحار والابتعاد عن الشاطئ إلاّ إلى بعض مئات من الأمتار.

إن الكنعانيين (أي الفينيقيين باللغة اليونانية) أجداد هؤلاء الصناع، صنعوا مراكب أفضل من ذلك بكثير، جابوا خلالها البحار وكل سواحل البحر الأبيض المتوسط، بل خرجوا منه إلى مياه المحيط الأطلسي، ووصلوا إلى بلاد الإنكليز لجلب معدن القصدير من هناك، واحتكروا مدة ثلاثمئة عام من ١١٠٠ إلى ٨٠٠ ق.م طرق التجارة البحرية الممتدة من مصر جنوباً إلى آسيا الوسطى شمالاً، ومن قبرص شرقاً إلى كريت في الغرب.

لقد تطورت صناعة المراكب الخشبية منذ أيام الفراعنة والكنعانيين والإغريق والرومان والعرب والطليان. ونتذكر كيف أن المسلمين صنعوا أسطولاً من هذه السفن الخشبية في وقت قياسي قصير، وخاضوا معركة ذات الصواري الشهيرة وانتصروا فيها عام ٢٨ هـ - ٦٥٠م. لم يبق من هذا المجد الغابر والخبرات السابقة سوى تصنيع مراكب خشبية بسيطة يستخدمها أناس بسطاء لصيد الأسماك وكسب لقمة العيش اليومي بكرامة. وعملهم هذا مرهق وصعب. وكثيراً ما يعانون هياج البحر [النو] في فصل الشتاء، فيتوغلون في البحر بعد منتصف الليل، وعلى ضوء الفانوس ينشرون الشباك في منطقة ما بعرض البحر، وينتظرون حتى بزوغ الفجر ليجمعوا الشباك ويضعوها بما تحمله من سمك في القارب، ويعودوا بصيد وفير أو قليل إلى الشاطئ. ثم يبدؤون بإعادة ترتيب الشباك بعد وضع

السمك في صناديق خشبية خاصة لتنقل إلى السوق، ويكسب الصيادون البسطاء قوت رزقهم اليومي.

ثالثاً- الدباغة وصناعة الجلود:

تعد الدباغة من أقدم الحرف التي مارسها الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ. وتقوم صناعة الجلود على تحويل الجلد الخام إلى مصنوعات جلدية متنوعة ذات استعمالات متعددة.

وكان للعاملين بهذه الحرفة في اللاذقية في القرن التاسع عشر محلة خاصة بهم في الأسكلة/ المينا / تعرف بمحلة الدباغة. وقد أزيلت عند تنظيم المدينة ، وانتقلت إلى شاطئ اللاذقية الغربي في المكان الملاصق من الجهة الجنوبية للأكاديمية البحرية [حالياً]، ثم أزيلت. وكان هناك أيضاً محلة للدباغة على الشاطئ الجنوبي للاذقية قريبة من المنحدر الصخري، وقد توقفت عن العمل، ولا يزال البناء والأحواض بداخله قائماً ومهجوراً حتى الآن.

ومن الملاحظ أن جميع هذه الأمكنة قريبة من البحر للاستفادة من مياه البحر المالحة.

دباغة الجلود هي جملة من العمليات الكيميائية والميكانيكية المتتابعة، الغرض منها حفظ الجلود من التعفن بفعل البكتيريا التي سرعان ما يزول مفعولها ونشاطها بعد انتزاع الجلد عن جسم الحيوان، وتمر الجلود على عمليات تحضيرية بغرض تهيئتها وإعدادها لقبول مواد الدباغة المختلفة.

وهذه العمليات يمكن تلخيصها فيما يلي:

١- **حفظ الجلود** بتمليحها بملح الطعام [كلور الصوديوم] الخالي من الشوائب. ويتم ذلك برش الملح على سطح الجلد بكمية كافية، أو يغطس الجلد بمحلول كثيف من الماء والملح.

٢- **النقع:** نقع الفروة بالماء النقي والنظيف للتخلص من الأملاح والدم والأوساخ، ولإعادة الماء الذي فقده الجلد أثناء التمليح والحفظ. وينقع الجلد بين ساعتين وثلاثة أيام حسب نوع حفظ الجلد الخام.

٣- **تعالج الفروات بمحلول قلوي شديد** مؤلف من كبريت الصوديومNa_2S والكلس CaO والملح لإزالة الشعر وبعض المواد الدهنية والزلالية، وتفتيح ألياف الجلد لزيادة قدرته على امتصاص المواد الدابغة أثناء عملية الدباغة لمدة تتراوح بين يوم ويومين حسب حالة الجلد الخام.

٤- **تغسل الجلود بالماء** وتزال عنها بقايا اللحم الزائد والشحوم من السطح الداخلي للجلد بقشطها يدوياً بسكاكين خاصة.

٥- **توضع الجلود في محلول قلوي ضعيف** لإتمام إذابة بعض المواد الزلالية المتبقية ثم تغسل بالماء.

٦- **تنقع الجلود في الماء النقي** أولاً للتأكد من زوال شوارد الكالسيوم، ثم تنقع في وسط حمضي [حمض الكبريت أو حمض كلور الماء]. وذلك لجعل حموضة الجلد ملائمة لعمليات الدباغة التالية.

٧- **تعالج بمواد هاضمة لبعض المواد الآمينية** لإعطاء الجلد الليونة المطلوبة، وتخليص الجلود من المتبقي من جذور الشعر والخلايا الدهنية. وتتم هذه العملية بفعل الأنزيمات البروتينية، ثم تغسل بالماء.

٨- **عملية الدباغة:** تنقسم دباغة الجلود إلى قسمين رئيسيين: ١- دباغة نباتية. ٢- دباغة معدنية.

والمواد الدابغة النباتية تتحد مع مادة الكولاجين المادة المكونة لألياف الجلد، وتحولها من مادة قابلة للتفسخ إلى مادة لا تتفسخ، وتحافظ على ليونتها بصورة دائمة. وتوجد هذه المواد الدابغة في الثمار والجذور وأخشاب وأوراق نباتية معينة. وتستخرج المواد الدابغة بطحن النباتات الحاوية عليها، ثم تستخلص بواسطة الماء الساخن في أجهزة خاصة. وتستخدم في سورية الميموزا المستوردة بشكل خلاصات مكثفة صلبة من اتحاد جنوب إفريقيا، كما يستخدم السماق المزروع محلياً بكميات قليلة. والمعروف أن السماق تحوي أوراقه على / ٢٢-٣٥٪/ مواد دابغة تكسب الجلود مرونة ولوناً جميلاً يميزها من غيرها من المواد.

أما الدباغة المعدنية فتتم بأملاح الكروم / كبريتات الكروم الأساسية الثلاثية / ، وقد اكتشفها العالم ف.ناب عام ١٨٥٨، وهي ذات نوعية جيدة، وتتم الدباغة بها بسرعة أكبر من مواد الدباغة النباتية.

هذا وكان سكان سورية القدماء الآشوريون يدبغون الجلود بالشبة، وهي كما هو معلوم أحد أملاح الألمنيوم. وبين الألمنيوم والكروم تشابه كبير في الكثير من الصفات الكيمائية. ولربما اطلع هذا العالم على الطرق القديمة للمواد الدابغة لدى الشعوب الأخرى، واستفاد منها، وتوصل إلى أملاح شبيهة بها ، وحصل على نتائج مرضية.

٩- **تصنع الجلود بألوان مختلفة**، الغرض منها إعطاء الجلود اللون المطلوب ، ودرجة الليونة المعيَّنة التي يتطلبها نوع الجلد المراد إنتاجه.

١٠- **تزيت الجلود بمواد دهنية خاصة لتعطيها الليونة الضرورية،** وتقوي ألياف الجلد، ثم تجفف الجلود بعد تشحيمها.

وأخيراً يكوى الجلد بحرارة وضغط معين، ثم تقاس مساحته، ويكون جاهزاً للاستعمال، لصناعة الأحذية والحقائب والملبوسات الجلدية والأثاثات الجلدية والأحزمة والأدوات المكتبية الجلدية وغيرها.

لقد وصف لي شاهدان على الطريقة الواقعية التي كانت متبعةً قبل عام ١٩٥٠ في عمل الدباغة فقالا: كانت الجلود المملحة تقيد بطرف قضيب فولاذي بقطر /١٥مم/ مغروز بثبات في قاع البحر عن طريق ثقب طرف الجلد، فتغمر مياه البحر هذه الجلود (عشرة أو أكثر) المتوضعة بعضها فوق بعض، فتتلاعب بها الأمواج وتغسلها من الأوساخ والدماء وتصبح نظيفة ولينة. وتوفر هذه الطريقة اليد العاملة والمياه اللازمة للتنظيف. بعد نشر الجلد والتخلص من مياه البحر يدهن السطح الداخلي للجلد بالكلس المذاب في الماء عدة مرات بواسطة فرشاة جلدية، وتطوى هذه الجلود، وتوضع بعضها فوق بعض لمدة يوم أو أكثر. ثم يوضع كل جلد على خشبة مائلة مستندة إلى جدار، ويزال عنه الصوف أو الشعر باليد ببساطة وسهولة، نتيجة لتأثير الكلس على جذور الشعر. وبعد ذلك توضع الجلود في أحد أحواض الدباغة الأربعة، ويسمى هذا الحوض السين، وهو عبارة عن حفرة مخروطية من الخشب فتحتها من الأعلى نحو المتر والربع، وتضيق من الأسفل. فالخشب يتمدد ويغلق كافة المسامات في هذا الخشب. وفي هذا الحوض السائل يوضع روث بعض الحيوانات مثل فضلات الكلاب التي تعدّ الأفضل من ناحية الفعالية والجودة، وعندما قلت كمياتها صاروا يستخدمون فضلات الدجاج والحمام. وتقلب الجلود داخل الحوض، وتبقى فترة زمنية يقوم العامل خلالها بتحريك كل جلد

على حدة داخل الحوض، وعلى الأقل مرة واحدة يومياً، أكان ذلك بالصيف أو الشتاء. ونتيجة لهذه العملية يكتسب الجلد الليونة والنعومة بشكل ممتاز. وتغسل بعدها الجلود بالماء العذب، ثم توضع الجلود في جرن آخر لدباغتها بالمواد الدابغة النباتية التي تحوي أوراق السماق ذات اللون الأصفر المطحون الذي يجلب من منطقة القلمون (قرية جبعدين) وهو الأنسب من كل أنواع السماق، وتضاف إليه قشور الرمان والميموزا. وبعد عمليه الدباغة ينشر الجلد في الشمس ثم يوضع الجلد على خشبة مائلة ويقشط بسكين خاص لإزالة الزوائد اللحمية أو أية شوائب، لتعطي الجلد سماكة واحدة. وهذه العملية دقيقة وتحتاج إلى مهارة يدوية وخبرة جيدة في العمل.

أما بناء الدباغة فهو عبارة عن غرفتين لهما مدخل رئيسي من جهة الطريق العام، ومن الجهة الأخرى باب يطل على البحر لإخراج النفايات من الدباغة ورميها في العراء في منتصف المسافة بين الدباغة والبحر، فتأتي الطيور الجارحة من الشوحة والقاق، وتحوم حول الفضلات وتأكلها، ولا تترك شيئاً منها خلال زمن قياسي، ويسميها الناس عمال نظافة للطبيعة (زبال)، بالإضافة لمشاركة الكلاب بأكل ما تيسر لها من هذه النفايات. وكان هنالك شخص يقوم بحمل هذه النفايات على دابة ويبيعها للفلاحين كسماد عضوي، وقد استفاد مادياً من هذه العملية، وأصبح في فترة لاحقة من الميسورين، فأنشأ معامل للبلاط والخفاف وغيرها... وبجانب كل دباغة بئر لاستخراج المياه العذبة اللازمة لعملية الغسل.

ومن الطريف أن النسوة اللواتي تأخر حملهن وكنَّ يرغبن بحصول الحمل كنَّ يأتين للدباغة في يوم الجمعة (يوم عطلة) ويمشين على خشبة عريضة

متوضعة فوق البشت (الحوض) جيئةً وذهاباً عدة مرات، ويكررن هذه الزيارة ثلاث أو أربع مرات من كل يوم جمعة، ويدفعن ببعض النقود للعامل هناك.

رابعاً- المبيّض:

المبيّض: هو الشخص الذي يقوم بطلي الأواني النحاسية بطبقة من القصدير للحد من تفاعل أكاسيد النحاس مع الحموض التي تدخل في الطعام مما يضر بصحة الإنسان. والناس في الماضي كانت تستعمل الأواني النحاسية، لأنها تعمر طويلاً وهي ناقلة جيدة للحرارة ، ولا يصيبها التلف، وتعدّ من المعادن الثمينة التي يرغب الناس في اقتنائها. وأفضل طريقة لصيانتها هو طلاؤها بالقصدير **Sn**.

فهذا المعدن غير ضار ومقاوم للتآكل، و٤٠٪ من الإنتاج العالمي لهذا المعدن يستعمل لتغطية سطوح بقية المعادن مثل علب الحديد وغيرها. وتتراوح سماكة الطلاء القصديري بين ٠,٠٠٠٤مم و ٠,٠٠٢٥مم ودرجة انصهارها ٢٣٢ درجة مئوية.

والإلباس أي [التغطية] بهذا المعدن يجب أن يحقق بعض معايير الجودة كانتظام الثخانة ونعومة البنية والمظهر المطلوب من حيث اللمعان.

ورشة المبيّض عبارة عن حفرة فيها أحجار فخارية مكسّرة، وعلى الجدار بالقرب منها مسكتان ليتشبث بهما المبيض، ثم يضع الوعاء النحاسي في هذه الحفرة ، وقدماه بداخلها ، ويقوم بعملية التنظيف للوعاء بالدوران يمنة ويسرة، وحركته تشبه رقصة التويست، حتى يزيل من الوعاء النحاسي ما تراكم عليه من الهباب والصدأ والأوساخ الصلبة نتيجة حرارة الموقد.

ويقوم المبيض بإيقاد الفحم الحجري بمساعدة الكور حتى يصبح جمراً ليكسب الآنية المراد طليها الحرارة اللازمة، ليجعل القصدير ينصهر ويلبس النحاس.

ويستخدم ملقطاً كبيراً للإمساك بالوعاء فوق الجمر حتى يحمى جيداً، ثم يفرك سطحه بواسطة قطعة من القطن مملوءة بملح النشادر. وهذا الملح هو كلوريد الأمونيوم NH4cl. وقد اشتهر هذا الملح، لأنه يتحول بالتسخين من صلب إلى غاز، وبالعكس، دون المرور بالحالة السائلة، ذلك أنه يتفكك بالتسخين إلى مزيج النشادر مع كلوريد الهدروجين، حسب المعادلة:

$$NH4CL= NH3 + HCL$$

وملح كلوريد الأمونيوم منظف جيد لسطح المعادن، في تفاعل كلوريد الهدروجين Hcl مع الأكسيد المعدني ليتكوَّن كلوريد طيار.

وبعد عملية التنظيف يطلى الوعاء بالقصدير عدة مرات بنفس قطعة القطن. وبعد الانتهاء يغمر الوعاء بالماء، فيظهر اللمعان واللون الأبيض البراق على الوعاء، ليشد الأنظار إعجاباً بهذا العمل. لهذا سمي هذا الشخص بالمبيض.

وقد اندثرت هذه المهنة بالتدريج نتيجة لظهور أدوات طهي أرخص ثمناً مصنوعة من الألمنيوم ثم الفولاذ غير القابل للصدأ / ستينل سستيل / .

ولم يبق في اللاذقية غير مكان واحد في الجهة الشرقية من الجامع السليماني الجديد، وهو مغلق في أكثر الأحيان لعدم وجود زبائن، وصاحب المحل يذهب للبحث عن عمل يقتات منه.



ورشة مبيّض

أوعية نحاسية



صورة التقطها جان شارليه

١٨٧٠ لمجلخ يدوي لسكاكين

خامساً- المجلّخ:

هو الشخص الذي يشحذ ما تثلم من السكاكين والأدوات الحادة مثل الأمواس والمقصات وغيرها، بواسطة تجهيزات بسيطة.

فالمجلخ يعتمد في عمله على الضغط برجله على دواسة تقوم بتحريك دولاب كبير بقطر نحو ١٠٠سم، فتنتقل الحركة الدورانية للدولاب إلى دولاب أصغر بعشر مرات، أي نحو ١٠سم، عبر قشاط ناقل، مما يعطيه سرعة كبيرة. وعلى هذا الدولاب يثبت حجر الجلخ، فيستطيع المجلخ تمرير حد السكين المتآكل ليصلحه ويعيده حاداً كما كان، ثم يقوم المجلخ بصقل النصل على حجر جلخ ناعم ملوث بالزيت ليزيل عنه النتوءات والآثار الناتجة عن جلخ القرص، فيعطيه منظراً نهائياً جيداً.

فالمجلخ بأدواته عبارة عن ورشة متنقلة بدون الحاجة إلى طاقة كهربائية، معتمد على عضلات يديه ورجليه، يحمل على ظهره هذه العدة، متنقلاً من مكان لآخر عبر الأزقة، منادياً على مهنته، فتخرج ربات البيوت لإصلاح ما عندهنَّ من أدوات بدون تحمل مشاق الذهاب إلى السوق.

وبهذه العدة البسيطة والعمل الخدمي يستطيع المجلخ كسب قوته اليومي. وقد انقرضت هذه المهنة منذ نحو نصف قرن.

سادساً – الفخّار:

عرفت صناعة الفخار منذ سبعة آلاف سنة قبل الميلاد، وتطورت صناعته خلال هذه السنوات الطويلة. وتعتمد صناعة الفخار على الغضار المستخرج من المناطق ذات التربة الصالحة لهذا الغرض. والغضار هو مركب من سيليكات الألمنيوم المائية وأوكسيد الحديد وكربونات الكالسيوم والكوارتز والماء.

وفي اللاذقية كان مصدر هذا الغضار منطقة المحافر (عند معامل الريجي) حيث تقطع كتل الكدان الأزرق بالمطارق، وتحمل على الدواب إلى أمكنة الفواخير. وعندما تتعرض كتل الكدان للشمس تفقد تماسكها وتتفتت وتتحول إلى تراب.

يصول هذا التراب المناسب في حوض كبير فيه ماء للتخلص من الشوائب كبقايا الأعشاب والأحجار وغيرها، وذلك بواسطة خشبة طويلة ، وأحياناً يقف شخص داخل الحوض ويتحرك ضمنه عشوائياً، وكأنه عبارة عن خلاط بشري. ويتصل هذا الحوض المصوِّل بحوضين للترقيد إذ يفيض السائل اللزج من المصول إلى كل من الحوضين عبر ميزاب الكل منهما، ولكل ميزاب مصفاة لا تسمح بمرور الشوائب إلى حوض الترقيد. وبعد يومين أو أكثر يجف الطين في حوض الترقيد قليلاً ليدعك بالقدمين، ثم تصنع القطع إما يدوياً أو على دولاب، ثم تجفف بالشمس حتى تذهب الرطوبة عنها، ثم تدخل إلى الفرن بدرجات حرارة معينة.

كان أسلوب الشي بسيطاً في البداية إذ توضع قطع الفخار بعضها فوق بعض على رفوف تفصل بينها، تملأ القطع المصفوفة الغرفة حتى سقفها، ثم يحرق الخشب ضمن الغرفة التي تمثل الفرن التقليدي لشي الفخار، ويبرد الفرن بالتدريج، وتخرج القطع لتصبح فخاراً جاهزاً.

كانت الفاخورة تقتصر على إنتاج الأدوات المنزلية البسيطة مثل:

١ - الخابية: أكبر الأوعية الفخارية لخزن الزيوت.

٢ - اللكن: لعجن الطحين والبرغل والكبة.

٣ - البريشة: لخزن اللبن أو الزيت.

٤- **أباريق فخارية**: للشرب والوضوء.

٥- **القدور**: تكون مختلفة الأشكال والحجوم.

وكان في اللاذقية فاخورة الحاج حسن حورية وفاخورة إلياس قنصلية الكائنتان في الأسكلة قرب البحر، وقد أزيلتا عند شق طرقات المدينة. وكذلك فاخورة عبد السلام جيفي التي تقع عند مدخل ابن هانئ جوار الشركة القطرية، ولا يزال البناء قائماً ومهجوراً حتى الآن.



سابعاً- الزجاج:

تشير الدلائل إلى أن الكنعانيين هم أول من اكتشف الزجاج بالمصادفة، وذلك حين استخدم تجار كنعانيون حجارة النطرون مساند لقدور طهي طعامهم على شاطئ عكا الغني بالرمال.

ويؤكد بعض المؤرخين أن صناعة الزجاج بدأت في بلاد الشام وانتقلت إلى مصر على يد بعض الصناع الذين اصطحبهم تحوتموس الثالث بعد غزوه لسورية ، وذلك منذ ١٦٠٠ ق.م ورثت بلاد الشام صناعة الزجاج

الأولى التي ابتكرها الكنعانيون، وغدت دمشق مصدراً لصناعة الزجاج، وتشاركها مصر في إنتاجها منذ العصر الفاطمي. وانتقل فن صناعة الزجاج إلى أوربة مع الحروب الصليبية بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر. وازدهرت هذه الصناعة أيضاً في سمرقند بعد أن أخذ تيمورلنك معه أمهر الصناع والحرفيين الدمشقيين، ومنهم الزجاجون من أهل الشام، وذلك في عام ١٤٠٠م بعد أن دمر دمشق.

وتزخر الآن المتاحف الأوربية بصناعات زجاجية إسلامية من مصر والشام في غاية الروعة، تشمل في البعض منها على مزهريات (فازات) عليها عروق وأغصان لزخارف نباتية أو كتابات لسور قصيرة من القرآن الكريم وحكم وأمثال مكتوبة بماء الذهب.

المواد الأساسية لصناعة الزجاج هي:

١ - **الرمل أو السيليكا:** يشترط في الرمل المستخدم أن يحتوي على نسبة عالية من أوكسيد السيليكون SiO_2 تصل إلى ٨٠٪، وأن تكون نسبة الشوائب به قليلة.

٢ - **مركبات الصوديوم** إذ يقلل أوكسيد الصوديوم Na_2O درجة الانصهار، ويساعد على تكوين الزجاج.

٣ - **الكلس** إذ يساعد أوكسيد الكالسيوم Cao على تصليب الزجاج.

يطحن هذا المزيج من المواد بنسب معينة، ويسخن المسحوق بدرجة عالية تصل إلى / ١٥٠٠/ درجة مئوية حتى يصبح المزيج هلامي القوام، مما يساعد على تشكيله قبل أن يبرد على شكل ألواح مسطحة أو أوانٍ مفرغة.

وقد تضاف إلى مواد الزجاج الأولية أكاسيد متنوعة لتكسبه ألواناً مختلفة، فأكسيد النحاس يعطيه اللون الأخضر، وأكسيد الحديد اللون الأحمر، وأكسيد القصدير اللون الأبيض، والكوبالت اللون الأزرق، وحامض الأنتموان اللون الأصفر.

وكان في اللاذقية معمل للزجاج يقع مقابل كنيسة مارتقلا من الجهة الشرقية لصاحبه أحمد البوصيري من ديرة أرمناز، كان يستخدم الزجاج المكسر في الفرن، فينصهر ويصبح كالعجين نتيجة الحرارة العالية، ثم يمد الصانع لداخل الفرن أنبوباً معدنياً مفرغاً بطول نحو المتر، فيلتقط قطعة من الزجاج المذاب وينفخ في طرف الأنبوب بالفم بنفس الطريقة القديمة التي كانت تستخدم منذ ألفي عام، ويصير الصانع هذه الكتلة الهلامية بالشكل الذي يرغبه في التصنيع. وكان هذا المعمل ينتج أواني بسيطة عادية للاستعمالات المنزلية. وقد اندثر هذا المعمل، ويشغل مكانه حالياً محل لبيع دواليب السيارات، واندثر قبله معمل آخر للزجاج في حي الصباغين قرب منزل القاضي الأهدلي.

لقد تطورت صناعة الزجاج في العالم وأصبحت آلية إلى جانب الصناعة اليدوية، وتصنف صناعة الزجاج ضمن صناعات المستقبل. ومن أبرز التطبيقات المستقبلية: الزجاج الفعال حيوياً للترميمات العظمية، والزجاج المشع لمعالجة الأورام موضعياً، وزجاج الواجهات ذاتية التنظيف، والعديد من التطبيقات العملية الفريدة.

ثامناً – صناعة الصابون البلدي:

تعتمد صناعة الصابون البلدي على زيت الزيتون من الدرجة الثانية المستخرج من شجرة الزيتون المباركة المتوفرة بكثرة في الساحل السوري، وفي بلاد الشام عموماً.

لتحضير الصابون مثلاً تفرغ أربع جرار من زيت الزيتون في برميل حديدي، ويضاف إليه بعض الماء وستة عشر كيلوغراماً من مادة الكوستك صودا، وبعض أوراق الغار، وتشعل نار قوية في موقد ضخم تحت البرميل، ويُحرَّك محتوى البرميل طوال مدة الطبخ التي تستمر حتى تبخر القسم الأكبر من الماء بحيث يصبح معه المزيج لزجاً، عندئذ يستخرج سائل الصابون بمكيال كبير ذي يد خشبية طويلة، ويصب على أرض إحدى غرف المنزل البيتونية داخل مربع من العارضات الخشبية بسماكة نحو ٦سم حسب حجم الصابونة المطلوبة، ويترك ليبرد، وقبل تجمده تطبع عليه دمغة ماركة الصابون، وبعد بضعة أيام يفك القالب، ويقطع محتواه طولاً وعرضاً مما يعطي الصابون البلدي الشكل المكعب. أما الفتات المتساقط فيجمع ليكون برش الصابون الغار الفاخر لغسل الألبسة والأواني المطبخية. هذا ما شاهدته عام ١٩٥٢ عند مروري في زاروب بيت أبي عقل جوار الدار المعروفة بدار علاء الدين مقابل سينما أوغاريت من الجهة الشرقية حيث كان يصنع صابون فوز على أرضية دار وسط الزاروب.

أما الصابون الأكثر شهرةً وإنتاجاً في اللاذقية فكان صابون سعادة الذي كان معمله قائماً في الساحة أمام بوابة المرفأ الشمالية في الرمل الشمالي، ثم أقام صاحب المعمل رودولف سعادة معملاً أكثر تطوراً وإنتاجاً عام ١٩٥٠م، وهو معمل الزيوت الذي سنتحدث عنه في مكان آخر، وقد أزيل عند توسيع مرفأ اللاذقية.

تاسعاً – صناعة الطحينة والحلاوة من السمسم:

المادة الأساسية هي بذور السمسم المتوضعة في قرون نبتة السمسم التي تشبه إلى حد كبير قرون نبتة البامية. وطول نبتة السمسم نحو / ٥٠سم/

وتزرع كسياج لحماية حقول القمح والقطن من دخول الماعز والغنم إلى الحقل، فلا تستطيع هذه الأغنام لمس أو أكل هذه النبتة، لأن طعم أوراقها وسيقانها مر كالعلقم بالنسبة لها، لذلك أيضاً لا تقترب الحمير، ولا تأكل أوراق وشتلات التبغ لأنها تعرف أنها مضرة بصحتها. وهذه الظاهرة معروفة ومتداولة بين المزارعين.

بعد قطاف هذه النبتة توضع بشكل رزم واقفة ومتصالبة بعضها مع بعض على الأرض لكي تجف بالشمس والهواء الذي يتخللها. وبعد جفافها بهزات بسيطة تتساقط حبات السمسم، وتجمع، وتأتي مرحلة التصنيع التي تبدأ بتحميص السمسم، ثم نقعه في الماء مع إضافة الرمال إليه وتحريكه بهدوء لكي تستطيع حبات الرمل فصل قشور حبات السمسم نتيجة لاحتكاكها المتواصل معها. وبهذه الطريقة نحصل على لب السمسم خالياً من القشور، ومنفصلاً عن الرمل والقشور. وبتحميص لب السمسم الخالي من القشور وطحنه برحى ضخمة نحصل على الطحينة، وهي عبارة عن سمسم مطحون ممزوج مع الزيوت التي بداخله.

أما الحلاوة فتُصنَّع بإضافة السكر للطحينة بكمية تعادل وزن الطحينة تماماً، مع إضافة شرش الحلاوة الذي يعطي الحلاوة اللون الأبيض، مع قليل من الفانيل وملح الليمون. وشرش الحلاوة هو جذور لنبات بري يتم تقطيعه وغليه فترات طويلة للحصول على منقوع يحوي جميع خواص هذه الجذور لإضافته إلى الحلاوة لإكسابها اللون الأبيض.

أما الطحينة الحمراء فهي سمسم كامل بقشره يحمص على نار هادئة فترات زمنية طويلة حتى احمرار السمسم ونضجه تماماً، وبطحنه بالرحى

الضخمة يستخرج منه زيت السمسم الذي نطلق عليه اسم السيرج. وهذا الزيت له منافع طبية وغذائية لا تحصى ليس المجال هنا لسردها.

وتفل الطحينة الحمراء المسمَّى بالكسيبة مغذٍّ ومطرٍّ للمعدة لوجود الزيت فيه، يؤكل مع التمور والتين المجفف، وخاصة في شهر رمضان. وفي الماضي كانت الكسيبة الجافة المستخلص منها الزيت تماماً تقدم كعلف للأبقار. فهي مزية ممتازة لها لما تحويه من كالسيوم وبروتين وزيوت. لقد بدأت صناعة الحلاوة في اللاذقية أوائل عام ١٨٠٠م، واختص بصناعتها وتطويرها وإتقانها عائلة مهروسة التي بدأت بتصنيعها سنة ١٩٠٠م، فالخبرة المتوارثة والمعرفة والممارسة لها أثر مهم في الحصول على الإنتاج الجيد. ولكل صنعةٍ سرها، ولها قيمتها، وهي الأمور الدقيقة والحساسة التي تعرف بالخبرة الطويلة التي تعطي المنتج جودته ورونقه، وكل ما كتبناه هنا للمعرفة والثقافة العامة ولم نتطرق لسر الصنعة.

عاشراً– الشعيرية والمعكرونة:

لسنوات عديدة كانت الشعيرية تنتج يدوياً في المنازل للاكتفاء الذاتي، فتجتمع النسوة ويتسامرن حول طبق من القش، وهن يحولن العجين بأناملهن الناعمة إلى فتائل طويلة، ثم إلى فتائل رقيقة وقصيرة تتناثر فوق طبق القش، ثم تجفف الشعيرية في الهواء والشمس حتى تتحجر ثم تحفظ لحين طبخها.

وفي عام ١٩٥٧م أسس معمل المعكرونة والشعيرية الأخوان محمد وأحمد وزان برأس مال يزيد على ربع مليون ليرة سورية، وكان ينتج بين /٥٠٠ – ١٠٠٠ كغ/ في اليوم الواحد، ويصرف المنتج في الأسواق المحلية.

وكان عدد عماله نحو ٢٥ عاملاً، وكان يقع في شارع بيروت مقابل اتحاد الفلاحين حالياً. وقد نسق هذه المعمل في نهاية القرن العشرين.

حادي عشر- معمل منصور لتجفيف البيض :

كان لعائلة تومات (منصور) معمل لتجفيف البيض وتصديره إلى أوروبا. وهو عبارة عن بناء فسيح تعمل فيه أكثر من مئة امرأة عاملة، تقوم بفرز مقل البيض الأصفر عن القسم الأبيض ويتم تجفيف كل منها على حدة. وبعد عملية التجفيف يصبح متماسكاً بعضه مع بعض فيقطع بالسكين إلى شرائح، ويوضع في براميل خشبية خاصة على شكل طبقات، ويرش الملح بين كل طبقة وأخرى. وتعد هذه البراميل وتصدر إلى أوروبا. وقد ورد في كتاب : تاريخ سوريا الاقتصادي للأمير علي الحسني المطبوع بدمشق سنة / ١٩٢٣/ في الصفحة (٣٠٥) ما يلي: «وتصدر اللاذقية كمية مهمة من زلال البيض إلى مرسيليا». ولا ندري طرق استخدامه هناك. وكانت اللاذقية مشهورة بإنتاج البيض. وبقي هذا المعمل ينتج ويصدر هذه المادة حتى تاريخ دخول فرنسا إلى اللاذقية إذ هاجر بعدها بعض أصحاب المعمل، وهم ستة شبان إلى أمريكا اللاتينية، وأقفل المعمل منذ ذلك الحين. وهناك عائلة أخرى كانت تقوم بنفس العمل أيضاً.

ثاني عشر- صناعة الكلس:

كان الكلس يستخدم في البناء، فمزيج من الكلس والرمل والرماد (الصَفْية) يقوم مقام الإسمنت في بناء الجدران من الأحجار في الأبنية القديمة، كما يستخدم في طرش البيوت من الداخل والخارج، وله استخدامات في الدباغة وغيرها من الأعمال. ويستحضر من الأحجار الكلسية بطريقة شبيها

بالنار. فتبنى غرفة ذات قبة من الأحجار الكلسية على أرض مبلطة بأحجار بركانية (حجر ناري)، وتوقد النار داخلها مدة يومين أو ثلاثة، ثم تبرد ببطء، وبعدها تفك هذه الأحجار وتنقل إما لطحنها أو تبقى كتلاً حجرية كلسية جاهزة لإطفائها بالماء. وجميع أماكن صناعة الكلس كانت تقام في منطقة الكورنيش الجنوبي بعد خط القطار. ثم اندثرت هذه الصناعة هناك بعد امتداد العمران إلى هذه المنطقة.

ثالث عشر – صناعة الأحذية:

تُصنَّع الأحذية عادةً في محلات صغيرة يعمل فيها شخص واحد مع مساعده وعدته، ومواده:

- جلد البقر الذي تصنع منه النعال، وأفضل منه جلد الجمل، أما جلد الماعز والغنم فيستخدم للجزء الخارجي من الحذاء.

- السندان الحديدي والشاكوش والقوالب الخشبية المتنوعة المقاسات والمسامير وخيطان القنب والشمع النحلي لتشميع الخيطان. ومخرز من الحديد، والسراس أي الصمغ للصق الجلد، والأصباغ المتنوعة. والأداة الحادة المميزة لديه هي قطعة من الفولاذ مذببة الرأس وحادة وعريضة طولها نحو ٢٠سم.

وفي مرحلةٍ متطورة أدخل بعضهم ماكينة سنجر التي تدار بدعسة الرجل مصدرةً صوتاً رتيباً جميلاً متقطعاً. ويفصل الحذاء إفرادياً على مقاس قدم الزبون بأن يضع الكندرجي كرتونة تحت قدم الزبون العارية في أرض المحل، ويخط بقلم الرصاص محيط قدمه، ويبدأ بتفصيل النعل محافظاً قدر الإمكان على عدم هدر أي مقدار من مادة النعل، معتمداً بذلك على مهارته

وخبرته. وأثناء التفصيل تصدر من الدكان ضربات خفيفة لتثبيت المسامير التي تنتهي بضربات قوية ترتج لها أركان الدكان.

وبعد أيام يأتي الزبون لتسلّم حذائه، ويطلب من الكندرجي تثبيت حدوات معدنية في كعب الحذاء وفي مقدمته، ليعمر الحذاء أكبر فترة ممكنة. ويفرح الصبيان عادةً بالحذاء الجديد، فبعد تسلمه لحذائه يبدأ بشم رائحة الجلد الجديد ويشعر بانتعاش أكثر من شم روائح عطور إف سان لوران. ويمشي بالحذاء الجديد متعمداً إصدار طقطقة من حدوات النعل متباهياً به، وكأنه يؤكد للمارة أنه لا يمشي حافياً أو منتعلاً حذاءً بالياً لا يصدر أي صوت. كانت هذه لوحة من حياة أناس عاشوا في الماضي القريب.



رابع عشر– صناعة السلال:

لمئات من السنين كانت السلال تستعمل لحمل الفواكه والخضار والبيض وغيرها من الأغراض، والواسعة منها والقليلة العمق كانت لوضع الأسماك فيها، والصغيرة كانت تستعمل على نطاق واسع لوضع التوت والتوت الرومي وغيره.

والسلال ذات اللون الأصفر تصنع من القصب بعد شق القصب من منتصفه ووضعه في الماء مدة يوم كامل ليكتسب الليونة المطلوبة لطيه، أما السلال ذات اللون البني فتصنع من صفصاف الحيلاف.

وقد بدأت هذه الصناعة بالاضمحلال التدريجي، وحلت مكانها علب بلاستيكية من مختلف القياسات، لكن بدون روح، وبدون لمسات إنسانية.

خامس عشر– صناعة الأطباق :

كانت تستخدم هذه الأطباق ولا تزال مائدة لشخصين أو ثلاثة، أو تعلق في حائط المنزل كديكور جميل، وتصنع هذه الأطباق من القش المأخوذ من سيقان القمح أو من قصب البربار. ويمكن القول إن هذه الحرفة قد اندثرت بعد دخول الآلة، فلم تترك الحصادة أعواد القش كاملةً، بل تكسرها. وبدلاً من أطباق القش هذه ذات الملمس الجميل والرائحة الجميلة صارت ربة المنزل تستعمل صواني بلاستيكية جامدة بلا روح وبدون نكهة.

سادس عشر–صناعة الحصر:

تصنع من نبات الجريح (البوط وفق التسمية المحلية في اللاذقية)، وهو نبات بري ذو سيقان قاسية ترتفع بشكل مستقيم بجانب السواقي ومجاري المياه بطول / ١,٥– ٢م/. تتميز هذه الحصيرة بليونتها ومتانتها ونعومتها

واستطالة شكلها وبرودتها في الصيف وتكون عازلاً إذا وضعت تحت البسط أو السجاد شتاءً، فتساعد على عدم تسرب الرطوبة والبرد، وتحفظ دفء الغرفة. وكانت الحصر اللاذقانية المعروفة تباع في أنحاء ولاية اللاذقية.

وهنالك نوع آخر يسمى بالحصيرة البيروتية (الحصيرة الناعمة) حسب تسميتها في اللاذقية، وتصنع من نبات المقشات، واستخدامها قليل، وسميت بالحصيرة البيروتية، لأنها تصنع في بيروت، وتمتاز بصغرها وبحجمها المتوسط وسهوله لفها. وإلى فترة قريبة منذ عشرين سنة تقريباً كانت تفرش في الجوامع صيفاً، وتحت السجاد شتاءً، وحلت محلها الحصر البلاستيكية القاسية.

سابع عشر- كراسي القش:

هما نوعان : أحدهما عالي القوائم مع سند للظهر. والآخر منخفض دون سند. وهي مريحة في الجلوس عليها أكثر من الجلوس على كراسي الخيزران، وكانت منتشرة انتشاراً واسعاً، وقد حلت مكانها الكراسي البلاستيكية.

ثامن عشر-الأشغال اليدوية:

كان المنظر جميلاً وساحراً للأطفال، وهم يرون الأم تفتل المغزل اليدوي والصوف للحصول على خيط صوفي تلفه بعناية على ساق المغزل. وعندما يتجمع لديها كمية كافية من مكبات (كرات) خيطان الصوف تبدأ بواسطة سنارتين شغل الكنزات واللفحات والقفازات الصوفية لتشيع الدفء في أجساد أطفالها، وتحميهم من برد الشتاء ولسعات الهواء القارصة. وقد أصبحت هذه الأشياء من ذكريات الماضي الجميلة.

تاسع عشر-الأفران:

تتوزع في المدينة عدة أفران توزعاً ينسجم مع عدد بيوت كل منها. فمنذ القدم حتى الخمسينيات كانت الأفران تعمل على الحطب أو البلان. أما تحضير العجين فيتم في المنزل، فتحضر ربة المنزل الخميرة الخاصة بتخمير العجين منذ عشية اليوم السابق لصنع الخبز. والخميرة عبارة عن قرص من عجنة سابقة أبقته المرأة جانباً، وأضافت إليه خميرة خاصة. وتبدأ المرأة بنخل الطحين مضيفةً إليه الملح بعد تذويبه بالماء الفاتر، ثم تبدأ بعجنه يدوياً، وبين الفينة والأخرى تضيف إليه قليلاً من الماء، وتعيد قلبه ودعكه بالأيادي، ثم تغطيه بقطعة قماش، وتتركه فترة ليتخمر. ثم تبدأ المرأة بتقريص العجين أي تحويله إلى أقراص صغيرة يخصص كل منها لصنع رغيف، فتوضع الأقراص على طبق من القش فوقه قطعة من القماش يرش عليها بعض الطحين كي لا تلتصق الأقراص بها، وترسل هذه الأطباق لخبزها في الفرن، ويبدأ مساعد الفران بأخذ كل قرص، ويبدأ بترقيقه وتدويره بخبرته المكتسبة وسط ضربات متعمدة للرغيف لتصدر صوتاً مميزاً، ثم يناوله للفران الذي يضع كل رغيف رقيق على السهم. والسهم هو صفيحة مستطيلة معدنية مزودة بعصا خشبية يمسكها الفران بيديه، ويدخل السهم، وعليه أرغفة العجين، إلى الفرن. ومنظر الرغيف في بيت النار، وهو ينتفخ، ويكون فقاعات متنوعة تأخذ لوناً وردياً وتدل على نضجه، يبعث السرور والبهجة في نفس صاحب الخبز. ويخرج الفران الأرغفة، وقد أصبحت جاهزة، ويضعها على المصطبة بجانبه لتبرد قليلاً ، ثم تجمع ليتسلمها صاحب الخبز خبزاً طازجاً دافئاً ليقدمها لعائلته.

نتيجة لممارسة هذه الصناعات اليدوية والحرفية اكتسب محترفوها أو ممارسوها ألقاباً مهنية، أصبحت مع مرور الزمن أسماء لعائلاتهم، فهناك عائلات كثيرة في اللاذقية تحمل اسم العمل الحرفي أو الخدمي، ومنها: / الحداد -النجار- الدباغ -النحاس -النداف -الحلاج -الدهان -العجان -الفران -الوزان - الفحام -الفوال -السماك -الحجار -الخباز -القواف -القصاب -الصباغ - الخدام -العواد -البيطار -الحمامي -الحكواتي -الساعي -الراعي -القهوجي -المكاري -العربجي -الفواخرجي -المعصراني -الوكيل -الكاتب -المبيض -الأسطى -المفتي.../ .

الصناعات المتوسطة والمعامل التي أنشئت حتى منتصف القرن العشرين في اللاذقية:

أولاً - صناعة التبغ: اسم التبغ مأخوذ من اسم جزيرة أميركية تسمى (تاباك) بعد اكتشاف أميركا عام ١٤٩٢م. وأول من زرع التبغ في أوربة طبيب إسباني اسمه (فرانسيسكو فرنانديس) سنة ١٥٥٩م حين نقله من أميركا اللاتينية، إلى البرتغال. أما زراعة التبغ في اللاذقية فقد بدأت نحو سنة ١٦٥٠م يوم جلب بذاره بعض سكان اللاذقية من بلاد (الروم إيلي) أي الأناضول، ثم انتشرت زراعته في المنطقة.

إن للتبغ في اللاذقية شهرةً كبيرة، فالتبغ المدخون المعروف باسم (دخان أبو ريحة) الذي اشتهرت به مدينة اللاذقية زمناً طويلاً قد ظهر إلى الوجود بالمصادفة، ففي عام ١٧٤٤م قام أهل الجبل بعصيان الحكومة في اللاذقية، ولم يتمكنوا من بيع محصولهم من التبغ إلى تجار المدينة، فعلقوه في سقوف بيوتهم، ولما جاء الشتاء، وأخذوا يوقدون النار للتدفئة، التصق

دخانها بالتبغ المعلق، فاسودّ لونه. وفي السنة التالية أصلحوا أمورهم مع الحكومة، وباعوا التبغ الأسود إلى التجار في اللاذقية الذين أرسلوه كعادتهم إلى دمياط في مصر، بالإضافة إلى المحصول الجديد، وأدخلوا بينه غفلةً بضعة أكياس من التبغ المبخر. ولما رآه المصريون ظنوه نوعاً جديداً، وسموه (أبو ريحة) لرائحته من التبخير، وأحب الناس الرائحة التي اكتسبها التبغ من الدخان، فطلبوا من تجار اللاذقية أن يصدروا إليهم دائماً هذا الصنف. ومنذ ذلك الوقت راجت سوقه في الخارج، وذاع صيته في كل مكان. وهو يعرف حالياً في أوربة وأميركا باسم تبغ اللاذقية. وهكذا بدأت تجارة واسعة قامت بها اللاذقية مع الكثير من البلدان، وأكسبتها شهرة عالمية من جراء تصدير هذا النوع من التبغ. وأنشئت الشركة السورية اللبنانية للتبغ عام ١٩٣٥م واحتكرت صناعة التبغ وزراعته والاتجار به، ومنعت زرع جميع أنواع التبغ في اللاذقية ما عدا أبو ريحة، وفرضت على القرويين حصولهم على الرخصة قبل الزرع من شعبة الشركة في اللاذقية. وفي عام ١٩٥٠م أصدرت الحكومة السورية مرسوماً بتأميم الشركة وتحويلها إلى مؤسسة عامة ذات كيان مستقل مرتبطة بوزارة المالية. ثم ارتبطت لاحقاً بوزارة الاقتصاد. وقد بلغ الإنتاج الشهري في عام ١٩٦٠م كما يلي:

٥٠,٠٠٠ كغ من علب الدخان نوع حموي إكسترا.

٢٥,٠٠٠ كغ من نوع علب نوع حموي عادي.

٨,٠٠٠ كغ من نوع صمصوم.

١٧,٠٠٠ كغ من النوع المسمى الخامس.

١٥,٠٠٠ كغ من التنباك.

وعدد العمال في تلك السنة كان / ٣٠٧٢/ عاملاً وعاملة.

ثانياً – معمل الإسفلت في كفرية: أنشأت هذا المعمل عام ١٩٢٧م في كفرية فرنسا بعد احتلالها لسورية ١٩١٩م، وكانت تستخرج الأحجار الإسفلتية من مقلع الجبل القريب من المعمل بالحفر اليدوي بمطارق حادة رفيعة، وتوضع هذه الأحجار الإسفلتية في سطل (جنطة)، وتنقل هذه السطول بواسطة سيور نقال (تلفريك) من المقلع إلى المعمل. وبقيت هذه الطريقة اليدوية مستخدمة حتى عام ١٩٧٥م، حين أدخلت بعض الآليات في الاستخدام. والمنتج هو بودرة ناعمة قطرها حتى ٥مم. غرافيون قطر القطعة / ٥-٨-١٢ مم/ . كالياس قطر القطعة أكثر من / ١٧مم/ حين يعاد طحنها. ويستخدم مزيج من البودرة والغرافيون لتزفيت الطرقات الفرعية من الدرجة الثالثة والرابعة. أما المعجون الإسفلتي فيحصل عليه بتذويب هذه الأحجار الإسفلتية في أفران حرارية ثم تصب في قوالب سداسية الشكل تشبه خلية النحل، قطر الواحد منها / ٤٠سم/ ، وسماكته ١٠سم، ووزنه نحو ٢٥كغ. ويستخدم هذا المعجون لعزل الأسطح (عزل مائي) عن طريق متعهدين، بتذويبه في مكان الورشة وصبه على الأسطح بسماكة ١٥مم.

يغطي المعجون الإسفلتي السوق المحلية، ويصدر قسم منه إلى قبرص / ٥٠٠ طن/ في السنة. وسابقاً كان يصدر إلى اليونان وتركيا وليبيا. والاحتياطي كبير من هذه الصخور الإسفلتية في موقع كفرية ويوجد مقلع آخر كبير في جبال بشري شرق سورية.

ثالثاً- معمل الزيوت: أسس المعمل عام ١٩٥٠م برأس مال قدره مليونا ليرة سورية المستثمر رودولف سعادة، وباشر الإنتاج في عام

١٩٥١م. ويقع هذا المعمل في الرمل الشمالي في الساحة عند مدخل المرفأ الشمالي. ويضم عدة فروع هي:

١ -محالج القطن عددها / ٣٠/ محلجة.

٢ -المكابس، وتتألف من عدة آلات لكسر البذور وعصرها.

٣ -آلات لتكرير الزيت.

٤ -المصبنة لصناعة الصابون.

٥ - معمل السبيرتو، وهو مستقل عن بقية أجزاء المعمل.

٦ - فرع المجموعات الكهربائية.

٧ - المخبر.

وكان يعمل في هذه المؤسسة نحو /١٥٠/ مستخدماً وعاملاً، وكان إنتاجه في عام ١٩٦٠م نحو /٦٧٥ طن/ من الزيت و /٤٠٠ طن/ من الكسبة التي تستخدم كعلف للحيوانات و/ ٦٤٠ طن/ من القطن المحلوج، بالإضافة إلى /١٢١ طن/ من الصابون و /٩٤/ طن من السبيرتو الأبيض و /٦٠ طن/ من السبيرتو الأزرق. وقد أمم هذا المعمل في عام ١٩٦٤م، وأزيل نهائياً عند توسيع المرفأ، وأنشئت مكانه ساحة مدخل المرفأ الشمالية.

رابعاً- معمل خشب المعاكس: أسسه المالكان الأساسيان واصف غندور ومصباح الحبال برأس مال قدره /٧٥٠,٠٠٠ ل.س/. وبدأ بالإنتاج بتاريخ ١/١/١٩٥٨م. وفي عام ١٩٦٠م أصبح شركة مساهمة برأس مال قدره /٤,٠٠٠,٠٠٠ ل.س/.

وكان إنتاجه في عام ١٩٦٠م /٧٣٧٤ /م٣ من الخشب المعاكس /١٧٨٤/ م٣ خشب بانو لاتيه /٤٤٥/ م٣ خشب معقم –جذوع متبقية. وكان يصرَّف هذا الإنتاج في السوق المحلية، ويصدَّر إلى مصر والعراق والسعودية والأردن ويتراوح عدد العاملين فيه /٣٠٠-٣٥٠/ عامل ومستخدماً. وقد أُنشئ لاحقاً خط إضافي لإنتاج الخشب المضغوط من نشارة الخشب. وقد أُمم هذا المعمل عام ١٩٦٤م. ويعتمد هذا المعمل على استيراد جذوع الأشجار الضخمة والخالية من العقد من بلدان أفريقيا، فتنشر هذه الجذوع بأطوال محددة، ثم تنقع في أحواض تحوي مواد كيميائية معينة، فتصبح طرية نوعاً ما لتسهيل عملية القشط التي تتم بقشط هذه الجذوع بسكاكين طويلة، فتخرج القشرة على شكل صفيحة رقيقة متواصلة مثل ثوب القماش، بسماكات /١-٢-٣مم/، ثم تقطع بأبعاد معينة وتجفف.

يُصنّع خشب المعاكس بوضع طبقة فوق أخرى من هذه القشرة بحيث تتعاكس ألياف كل طبقة مع الأخرى، وبعدد محدد من الطبقات /٢-٣-٤-٥/، ويوضع بينها مادة لاصقة من الغراء الحراري، وتُكبَس بمكبس حراري مدة دقائق، فتخرج جاهزة للاستخدام بعد تهذيب أطرافها.

أما البانولاتيه فتصنع بوضع أصابع خشبية ذات مقطع مستطيل، وسماكة /١٧مم/ بين طبقتين من المعاكس، وبواسطة الغراء الحراري بينها وبين طبقتي المعاكس تكبس بالمكبس الحراري دقائق معدودة، ثم تُشذّب أطرافها وتصبح جاهزة للاستخدام.

خامساً– معمل الإسمنت برج إسلام: أنشأته شركة الشهباء لصناعة الإسمنت ومواد البناء بحلب التي لديها معملان آخران للإسمنت في السلمية

والشيخ سعيد. وقدرت تكاليف المعمل بنحو / ٧,٠٠٠,٠٠٠/ ل.س. بطاقة إنتاجية / ٢٥٠طن/ باليوم. وعدد العمال فيه / ١٥٠/ عاملاً بثلاث ورديات.

بدأ تركيب المعمل سنة ١٩٦١م، وبدأ الإنتاج في الشهر الخامس.عام ١٩٦٥م. وسبب إقامته في هذه المنطقة توفر مقلع حجري صالح لصناعة الإسمنت، وتوفر تراب أحمر بكمية كبيرة، وتوفر الجص من مقالع مدخل اللاذقية الذي يضاف إلى الكلينكر بنسبة ٣٪. ويعتبر الإسمنت الناتج من هذا المعمل أفضل أنواع الإسمنت المنتج في سورية من ناحية الصلابة والقوة. وكان الخبير الأول في الشركة المشرف على معامل الإسمنت الثلاثة هو المهندس عبد الله بساطة الحائز عدة شهادات في الميكانيك والكهرباء والتحليل والتخطيط، ويعتبر العمود الفقري للشركة والمدير الفني لها.

أما الوكيل الحصري لها في الساحل فهي شركة (عجيل وفتاحي). والمساهم الرئيسي في الشركة هو الحاج عبد القادر شبارق من حلب. وقد أُمِّمت الشركة في عام ١٩٦٤م.

أسباب توقف المعمل:

١- طريقة الإنتاج الرطب للإسمنت التي تكلف كميات كبيرة من الوقود.

٢- نضوب التراب الأحمر في المنطقة مما استدعى جلبه من جهات إدلب فزادت التكلفة.

٣- تعطل مولدة الكهرباء الكبيرة مما استدعى استجرار الكهرباء من الشركة العامة، وبلغت كلفة الكهرباء / ٣٠٠,٠٠٠ / ل.س شهرياً.

بلغت خسائر المعمل / ٦,٠٠٠,٠٠٠ / ل.س سنوياً. وتوقف المعمل نهائياً عن الإنتاج عام ١٩٩٨م.

اللاذقية كما رآها عدنان فتاحي

(١٩٢٤- ٢٠٠٦)

مزيَّة هذه الصفحات التالية أنَّ كاتبها كان شاهد عيان لبعض الأماكن التي اندثرت، وقد رآها في مطلع حياته ومشى في زواريبها وطرقاتها. وكان يتميز بذاكرة قوية نادراً ما تتوفر لدى الآخرين. فكان يصف لك الأماكن، وكأنك تشاهد شريطاً تلفزيونياً. ويعرفنا بها بمسمياتها القديمة. والمخططات ذات الأرقام ١١-١٢-١٥-١٦ من مخططات أحياء اللاذقية تساعد على وصف الأماكن المذكورة.

وقد رأيت من المناسب نشر جزء من كتاباته كما وردت في كراسته المطبوعة على آلة كاتبة قديمة، وغير المنشورة عن اللاذقية، كما وردت بأسلوبه، دون إضافات أو تعليق. لعلها تفيد بعض المهتمين في هذا المجال. وقد نبَّه الكاتب على أن هذه الكرَّاسة ليست مرجعاً علمياً ولا دراسياً، وإنما هي للمعرفة والاطلاع. فكتب ما يلي:

قبة قوس النصر (الكنيسة المعلقة):

إن كنيسة قوس النصر المذكورة تقع في الجنوب الشرقي من المدينة، والباقي منها يدل على أنه جزء من بناء ضخم هدمته يد السنين والزلازل. وفي هذا الجزء آثار

نقوش رومانية بعضها يمثل الخوذ والتراس ومقابض السيوف، ويقول المؤرخون: إنه من بقايا قوس النصر الذي أقيم إكراماً لسبتيموس سفيروس.

أما كنيسة العواميد، وهو بناء واقع شمالي الكنيسة المعلقة، وأطلق عليه اسم كنيسة العواميد، لأنه قائم على أربعة أعمدة ضخمة، قيل:إنه من بقايا هيكل كان على اسم (باخوس) إله الخمر، وقد وضعت فوق هذه الأعمدة حجارة ضخمة طول الواحدة خمسة أمتار. وهي معرقة بأشجار الكرمة وعناقيد العنب.

وما بين هذين البناءَيْنِ أي الكنيسة المعلقة وكنيسة العواميد، وإلى جهة الغرب، وجد في القسم السفلي من الأرض أعمدة قد هوت بفعل الزلازل فتركها صرعى. ونستدل لذلك أنه في الآونة القريبة من عام (١٩٣٩-١٩٤٠) أنه بينما كانت البلدية تقوم بشق طريق شارع أبي العلاء المعري (الصليبة) الذي يمتد من أمام قوس النصر شرقاً وإلى بستان الورد غرباً / مدرسة الخيرية سابقاً/ ظهرت أعمدة، بينما كان العمال يقومون بحفر مجاري الصرف الصحي فاعترضتهم هذه الأعمدة المسجاة شمالاً وجنوباً مما دعاهم إلى القيام بحملة حطموا فيها كافة الأعمدة، ثم قاموا بردمها في مكانها...

ومما يجدر ذكره أن هذه الأعمدة لم يستدل أحد حتى الآن كيف صنعت ومن أي مادة ركبت، فقد كانت بمثابة دعائم للبوابات والحصون والأبنية. إلى جانب ذلك كانت هناك الحجارة الضخمة العملاقة التي استخرجت من باطن الأرض، وهي صورة طبق الأصل من حجارة كنيسة العواميد آنفة الذكر... ومما هو جدير بالذكر أن العمال الذين كانوا يقومون بنقل الأتربة من جهات قوس النصر عام (١٩٤١) بواسطة خطوط حديدية صغيرة ركبت لهذه الغاية

لطرح التراب شمال الملعب القديم / إدارة المرفأ حالياً/ في أثناء الحفر عثر على مدافن رومانية وتماثيل مهشّمة بعض رؤوسها، كما عثر على أقنية فخارية بحالة جفاف ويباس (سيأتي بحث قصير عن هذه الأقنية).

إلى جانب ذلك وجد في قلب المدينة وضواحيها مصكوكات كثيرة قديمة العهد تمثل الدول التي تعاقبت على اللاذقية من رومانيين ومصريين وصليبيين وغيرهم من دول سورية القديمة، إلى جانب ذلك إن القائمين على أمور العمل حول قوس النصر وما جاوره قد دفنوا كثيراً من الحجارة الأثرية سواء أكانت مزخرفة أو منحوتة.

وقد تحدَّث ثقة أنه في ذلك الوقت شاهد إلى الجهة الجنوبية من القوس قرب بئر السيدة نفقاً إلى أسفل، فنزل إليه بواسطة درج حجري، فوجد أمامه طريقاً يتجه إلى الجنوب، فسار مسافة عشرين متراً، وبعد أن داهمه الظلام توقف عن السير، وكذلك تغير عليه الهواء. وهذه الرواية تتفق مع ما روي أن هضبة الطابيات كانت تتصل مع هضبة القلعة بطريق (نفق) يربط بينهما، شأنهما في ذلك شأن القلاع والحصون التي كانت ترتبط مع بعضها بطرق ومسالك سرية.

وهضبة الطابيات هذه قريبة من قوس النصر. فقد عثر في جهاتها على كثير من المغاور والكهوف لازالت إلى وقتنا هذا، وهي منحوتة في الصخر كما شوهد بجوار قوس النصر وأمامه أقبية ومنازل قديمة بحالة جيدة على عمق ستة أو سبعة أمتار من الأرض. فمثلاً كان المواطن حينما يأتي بالعامل ليهدم له كي يستفيد من حجارة بيته في بناء منزل آخر، كان البعض يعثر على قبر أو أقبية أسفل منزله بحالة جيدة وحجارة منقوشة، كما عثر آخرون على أوانٍ فخارية و أباريق وخوابٍ إلخ... ومنهم من عثر على قواعد عدة بيضاء الشكل معرقة بخطوط رفيعة وأنواع من صور الحرب القديمة. ووجدت

أروقة بجانبها أعمدة هائلة من المحتمل أن يكون الشعب القديم قد بنى شوارع و أروقة ومنازل على هذه الأعمدة الجبَّارة والباقية آثارها إلى يومنا هذا في كثير من شوارع المدينة.

إضافة إلى ذلك نذكر أنه في الجبهة الشمالية من القوس كانت تقوم حديقة عامرة ببعض الأشجار، ففي عام/ ١٩٣٣/ قام صاحب هذه الأرض بحفر خندق...وفيما هو جاد بعمله اصطدم فأسه بجسم صلب فتحقق من هذا الجسم، فإذا هو أمام جسم أبيض، فأزال التراب عنه، فوقع بصره على ناووس، ولكنه لم يكن يدري في ذلك الوقت قيمة هذا الشيء التاريخي الثمين، فقام بكسر جانب منه حتى يبيعه...

ساحة السارنجة (قرب مقهى الطابوشة):

بينما كان عمال البلدية يقومون بإزالة الأبنية القديمة الواقعة غرب ساحة السارنجة (حيث تقام الأعياد الآن) وجدت سراديب ودهاليز وآبار رومانية بحالة جيدة، وشوهدت أيضاً عدد من الأعمدة مدار بحثنا يبدو أنها امتداد لبناء قوس النصر. ومما يلفت النظر أن وجود أبنية تحت الأرض وبجانبها أعمدة مع حسن بناء هذه المنازل و دقة بناء حجارتها مما يرجح أن أهل ذلك العصر كانوا على درجة رفيعة في التصميم وهندسة البناء وفن العمارة.

وإلى الجهة الغربية الجنوبية من ساحة السارنجة كانت تقوم إلى الأمس القريب هضبة من التراب قد شيد عليها منزل، و بعد أن أزيل مع هذه التلة الترابية ظهر بأسفلها، وعلى عمق ستة أمتار، مخلفات لحمّام فيه عدة أجران صغيرة وحوض من الحجر يحتاج إلى رافعة لرفعه، بالإضافة إلى بئر رومانية قد سدّت فوهتها بحجر كبير كانت بحالة جيدة، وماؤها عذب... ووجدت أباريق

ومئات القطع الفخارية الكبيرة وآلاف القطع الصغيرة ذات الألوان وفي شمال هذه التلة الترابية عثر على قبوين بعقود جميلة وجدران غاية في دقة الصنع.

وكانت هذه الرقعة الكبيرة من الأرض قبل أن تشقها الشوارع الحديثة بساتين ومزارع ونواعير ومنتزهات وحمَّامات، بالإضافة إلى بعض المنازل البسيطة المتلاصقة بشكل كيفي دون مراعاة القواعد الصحية والهندسية في بنائها... وهذه البساتين والمنتزهات والمنازل كانت، ولا تزال، ترقد تحتها أنقاض راميتا القديمة. وفي بعض جهات المدينة بقايا آثار، وصفوف أعمدة تشير إلى العهد الروماني، ومنها أعمدة عثر عليها في القلعة من الجهة الشرقية، كانت مركزاً لإحدى القلعتين اللتين شيدتا قديماً لوقاية اللاذقية ممن يهاجمها براً. هدمها الأشرف ومحا أثرها، غير أنها لم تزل تعرف باسم القلعة، وقد اقتسم الأهالي أرضها وغرسوها بالزيتون، وتحت جذور الزيتون ظهرت الأعمدة المذكورة. وفي شمالها الغربي مغاور وكهوف منحوتة في الصخور يظن أنها كانت مدافن للرومان. وهناك آثار كثيرة مبعثرة يظهر من هيئتها أن أعمال الحفر غير الرسمية قد شوَّهت من محاسنها.

وفي سنة(١٨٤٨) عثر على ناووس في المكان المعروف بخربة النصارى، على بعد ساعة ونصف تقريباً من المدينة التي كانت منبسطة إلى الشمال في الزمن القديم. وفي عام ١٨٤٥ عثر في بستان واقع في الشمال الغربي (مارتقلا) نسبة إلى مغارة فيه يُعتقد أن القدّيسة تقلا تعبدت أو ظهرت فيها، على مغارة متسعة، وعلى جدرانها رسوم بعضها يمثل رؤوس الثيران، وبعضها رؤوس البشر.

مما يدل على أنها كانت معبداً للوثنين. ومن الجدير بالذكر أن البساتين المحيطة بمارتقلا، وإلى جهة السجن شمالاً، كانت هذه المساحات معروفة للناس.

فقد كانت لا تخلو جهة من المغاور العميقة كما في جهة السجن، فقد كان هناك مدن من هذه المغاور كما أن جهة المسلخ كان فيها عدد من الكهوف على طول الساحل. وهذه كلها منحوتة بالصخر... ومن الحقائق الثابتة أن الحياة حين أخذت تدب في بساتين مارتقلا من بناء وشق للشوارع كان هذا يعثر على أبنية تحت منزله، وذاك يعثر على لواوين منحوتة بالصخر، وآخرون يعثرون على سراديب وكهوف وأعمدة مدفونة بالتراب.

وفي موضع آخر من مدينة اللاذقية في أواخر عام / ١٩٢٤/ ، بينما كانت سلطات البلدية تقوم بحفر مجارٍ بشارع الغساسنة الذي يخترق المدينة من الشرق إلى الغرب ظهرت أيضاً أعمدة ضخمة هوت بها الزلازل على ما يلوح للمتأمل، فتركتها صرعى في صف منتظم موازٍ لبعض أعمدة لم تزل قائمة على رصيف الشارع، مما يدل على أنها آثار هيكل كبير كان في هذا المكان قديماً. وقد ظهرت بعض آثار هذه الأقبية الضخمة وآثار أخرى تشير بكثرتها وعدم اتساقها إلى أن الزلازل فعلت بها هذا الفعل المخيف.

ومثل ذلك شوهد في عام (١٩٥٢) صفوف كثيرة من الأعمدة بأسفل أرض شارع القوتلي من نقطة البوليس إلى الإطفائية (البنك التجاري رقم ٣ حالياً) وإلى شارع الشيخ مرزوق، فقد كانت الأعمدة القائمة في هذا المكان أكثر من التي هوت، فقد كان يراها السائر عن يمينه وشماله في ذلك الطريق المتعرج الضيّق.

ونشير إلى أن هذين المثالين أو غيرهما من الأمثلة ليست للشرح الكامل لكل تلك الحضارة، لأن الناس، ولا سيما في حركة البناء الحديثة ما أحد منهم إلا وعثر على أعمدة أو أقبية ترجع إلى تلك الأزمنة الغابرة.

ومن البديهي أننا إذا دققنا النظر في هذه المنازل والدور والأعمدة والحصون والحجارة الضخمة والأواني على اختلاف ألوانها وأشكالها والأشياء سواء أكانت مزخرفة أم غير مزخرفة ثمينة أو غير ذلك أقول إذا دققنا النظر في هذه لا يرى المتأمل الدارس إلاَّ حضارة راقية ظهرت معالمها العادية في كل مكان سواء بالأدلة والشواهد في الأعمدة الرخامية والأواني الفخارية والخزفية، وما تركته من أقبية وكهوف ومغاور، لكنها بادت وهوت إلى الأعماق من الأرض بفعل الزلازل، وقامت فوقها حضارة أخرى طوت صفحة من ذلك الماضي البعيد.

أمير الجماعة:

كان الغادي من جهة مقبرة حي الأشرفية التي أقيمت عليها مدرسة ابتدائية الآن (سيف الدولة) سنة (١٩٧٢) يقع بصره على ضريح قد شيّد عليه غرفة مربعة عليها أمير الجماعة...

فمن هو أمير الجماعة ومن معه؟.

كان في الواقع رجلاً عظيماً، وهو أمير لهذه المنطقة (وهو الشيخ حسن الأجرودي).

لقد كان يقوم برحلات في بلاد العرب، سافر وارتحل زمناً طويلاً حتى اكتسب خبرة ومعرفة، ثم رجع إلى وطنه وسكن في قرية آدار، وكان ذا نفوذ عظيم فيها، ثم انتقل إلى اللاذقية وسكن فيها... ومما يلفت النظر أن قرية آدار هذه ليست معروفة في هذه المنطقة، فقد سألنا عن مكانها، فلم نهتد، وما زلنا نستقصي من أبناء الريف والمدن الأخرى حتى قطعنا الأمل نهائياً من وجود هذا الاسم، فقمنا ببسط بعض الخرائط لنعثر على اسم لهذه القرية، فكان

السكون المطبق يعود فيخيم، ونعود إلى ما كنا عليه، وتمضي الأيام وتمر سنتان على هذه المسألة، ولا زال اسم هذه القرية يقرع ذهني، لا بد أن تكون هذه القرية في مكان ما. وفيما كنت سائراً في الطريق شاهدت رجلاً يعمل في الريجي، ويعرف قرى نصف سوريا بأسمائها، فاستوقفته وسألته، وأنا متيقن أنه سيجيب بالنفي، ولكنه ذكر موضعها، وأنها من أعمال جسر الشغور. فقمنا بإرسال رجل حتى نتأكد من ذلك، عاد بعد ذلك، وذكر أنها تابعة لقرية الجانودية، وهي على بعد ساعة زمانية تقع ضمن أودية، وهي شهيرة بالمزروعات والأشجار على اختلاف أنواعها.

ونعود الآن إلى ذكر الشيخ حسن، فنقول إنه انتقل بعد ذلك إلى اللاذقية، وكان ذا شعور وإحساس بالناس، ولا سيما الفقراء والمساكين منهم، ومما لفت نظره البؤس والشقاء بين الناس، فركب وسافر إلى مصر قاصداً برسباي، وهو من ملوك الشراكسة، فلما وصل مصر نزل في ضيافة الشيخ الكبير البلقيني، وبعد أن استقر به المقام واستراح أخذه الشيخ البلقيني إلى الملك العادل أبي النصر برسباي، وبعد أن حدَّثه عن أحوال أبناء اللاذقية والمنطقة بأسرها، ووجد البؤس والفقر بينهم، طلب منه الاستقلال بالحكم، فأعطاه ذلك أوامر متضمنة الاستقلال تحت رئاسته، فجاء إلى طرابلس وواجه واليها طرباي، وسلّمه الأوامر وهذا، أبلغها حاكم اللاذقية، وكان ذلك سنة (٨٣٦) هجرية. توفي الشيخ حسن الأجرودي أمير الجماعة في إحدى معارك حصار اللاذقية.

اللاذقية عام (١٩٠٠-١٩٢٥):

إن هذا الساحل الممتد من جهة النهر الكبير الشمالي شرقاً حتى هضبة الدبجيات جنوباً وإلى بساتين منطقة المرفأ غرباً حتى محاذاة رأس ابن هاني شمالاً، كان يعدّ من المجاهل بالنسبة إلى هذه المدينة في الليل الحالك، إذ لم

يكن من ضوء ينير السبيل لأهل ذلك الزمان. أما في النهار فلم يكن يقصد هذه الأمكنة إلاَّ من كان له شأن. وكان الذي يعمل في أثناء النهار إذا مرَّ به عابر سبيل استأنس به، وكأنه نزل عليه من السماء. لعل السبب الرئيسي يعود إلى عدم وجود مساكن في تلك النواحي، ولكثرة المدافن التي تقع على الشواطئ، وفي المرتفعات وعلى الهضاب والسفوح ،التي كانت تجاور المدينة القديمة، منها مقبرة البطرني حيث المنشية – ومقبرة الطابيات حيث المقهى الآن التي تمتد حتى تصل إلى مقام أبي الدرداء (الشيخ محمد البزّار) كما تشمل سفوح الطابيات شرقاً وغرباً، ولا سيَّما ما كان يسمى بمقام الخضر الذي كان يقع شمال مقهى الطابيات مباشرة... وكانت هناك مقبرة شيخ الهيشي حيث شيّدت عليها بعد ذلك مديرية المواصلات العامة (جنوب المسرح القومي حالياً). وسنأتي فيما بعد على تفصيل ذلك. ولقد استعمل شاطئ البطرني مكاناً لدباغة الجلود، وآخر مسلخاً لذبح الأبقار والأغنام فترة من الزمان قبل نقله إلى شمال المدينة (الأكاديمية البحرية حالياً) قرب الفواخير السابقة التي نقلت إلى رأس ابن هاني.

ومما هو جدير بالذكر أنه جاء في بعض التواريخ أن المكان المسمى دغري وردي جنوب جامع الميناء عند صالة ركاب السفن الآن، كانت تقوم فيه ورشة كبيرة لصناعة السفن من الأخشاب... ومما ذكره المؤرخون أن بعض الرحالة شاهد في الورشة سفناً ما بين كبيرة وصغيرة، كما رأى سفينة كبيرة أعجبته فسأل عنها، فقالوا له: إنها صنعت خصيصاً للمعتصم بالله... وبهذه المناسبة نذكر أنه يقوم شمال نادي الضباط الآن ورشة لصنع السفن تعود إلى أول عام ١٩٢٥ انتهت في وقت لاحق.

- حير القمر:

هي الجهة التي تقع إلى الغرب من البحر، فتمتد شمالاً حيث يقوم الآن مقهى شناتا والكازينو وما جاورها من أبنية إلى السجن. فهي في الأصل بساتين ومزارع ومروج، ويدخل في هذه الأراضي بساتين مارتقلا، إذ لم يكن هناك أبنية باستثناء زقاق ضيق تسكنه بعض العائلات بمارتقلا، فكان السائر على الأقدام وسط هذه البساتين يتراءى له الفضاء الواسع شمالاً إلى القرى المجاورة.

أرض المرفأ:

كانت عبارة عن بستان مشجر بالزيتون تظلل أرضه من ضوء الشمس، ويقع مباشرة أمام المرفأ القديم، وهو الذي شيدت عليه إدارة المرفأ الحالي، وإلى شماله بستان الجورة، وهي أرض طيبة كانت مشجرة بالتين العسيلي وغيره، وقد أقيمت عليه بعض منشآت الأشغال العامة. وإلى غربه بستان آخر يمتد إلى أول الشاطئ، وفيه قبر الأمير يعقوب، وبجانبه بركة كبيرة للماء وناعورة وجميزة وشجر آخر مختلف... ويليه إلى الجنوب بستان آخر يمتد إلى قلعة دغري وردي حيث يدخل في البحر على شكل لسان مسافة ثلاثين متراً، وفيه شجر التوت والليمون والتين، وفيه ناعورة. وشرق هذا البستان اشتهر بلوزه وتينه، وكان فيه نخلتان، وقد اتخذ قاعدة للدفاع في الحرب العالمية الثانية إلى أن شيد بشرقه أبنية الموانئ والمنائر والجمارك وبعض منشآت المرفأ. وبالإضافة إلى البستان المذكور يقع إلى جنوب قلعة دغري وردي بستان حير القش، وهو عبارة عن أرض زراعية فيها أشجار مختلفة من التين والليمون واللوز إلخ... وفيها ناعورة وبركة. وأشهر البساتين في تلك المنطقة الذي يقع شرق إدارة الجمارك الحالية، وهو بستان الكسيم الذي عرف بجودة هوائه ومائه وشجره، وهو الذي بني على أرضه بنك الدم والأبنية الأخرى مدرسة خالد بن الوليد حالياً...

وبقيت قطعة كبيرة منه جرداء توضع فيها الأخشاب والحديد. ويليه جنوباً بستان بيت الملك،وهو صورة طبق الأصل عنه، وبعبارة مختصرة إن منطقة الميناء من جميع جهاتها بساتين ومزارع باستثناء الجهة الشمالية التي تقع أمام جامع الأسكلة (الميناء)، فقد أقيمت فيها مجموعة من الأقبية قسم منها لحاجة الأسطة الذي شيَّده ريِّس حمودة التونسي عام/ ١١٦١/ هـ وكان إلى شرقه معصرة سمسم لاستخراج السيرج... ومما هو جدير بالذكر أنه يقع إلى شمال الجامع على بعد خمسين متراً مسجد الشعراني الذي شيد عام / ١٣١٦/ هجري، حيث مدفن الشيخ سعيد المتوفى عام / ١٣١٨/ هـ.

هذا مع العلم أن هناك أراضي أخرى تدخل في هذا البحث لم تكن شيئاً مذكوراً، هي الأراضي التي شيِّدت عليها مدرسة الراهبات - الكرمل، فقد كانت مجموعة من المستنقعات تبقى على مدار السنة حتى تجف في فصل الصيف بما في ذلك الأراضي المجاورة... يضاف إلى ذلك ما يسمى في زمننا هذا بدار المندوبية، فقد كانت تابعة لمقبرة البطرني، إذ اقتطعت منها في زمن الحكم التركي، وأسست لتكون إدارة للحصر والتنباك، وبقيت كذلك إلى دخول الانتداب الفرنسي الذي قام بتحويلها إلى بناء تحيطه حديقة كبيرة جداً كما هو معروف (مديرية المتاحف والآثار حالياً).

وكانت تقوم بعض البساتين الوقفية المشجرة بالتين والليمون والزيتون. أما شرقه فكانت بساتين، وكان الصبر والديس والشوك يغطي مساحة تصل إلى مديرية التربية السابقة (قرب البنك التجاري رقم ٥)، وكانت هناك بعض الأقبية تتناثر في هذه الحقول والبساتين كسكن لأصحاب تلك الأراضي. ويدخل في ذلك بناء آل سعادة الذي شيِّد على أصح الأقوال عام ١٩٠٤...

وبهذه المناسبة نذكر أن أول مولد للكهرباء جيء به كان عام/ ١٩٢٢/ قد ثبِّت في بستان يقع إلى شرق دار المندوبية على مسافة قريبة.

لذلك كان على الإنسان في ذلك الزمان قبل أن تشق الطرق وتشيّد المباني أن يسلك المغاور والمستنقعات والجداول وسط دروب متعرجة تغطيها الأشجار البرية والأشواك والديس والهيش. فإذا سار المرء مثلاً شمالاً كان يصل وسط البساتين إلى مقبرة الشيخ ضاهر حيث الحقل الذي شيِّد عليه فيما بعد جامع العجان عام (١٩١٥) على وجه التقريب. وإلى غرب ذلك الحقل زقاق فيه بعض الأقبية القديمة... ولقد سمِّيت مقبرة الشيخ ضاهر الحي بأكمله بذلك نسبة إلى ذلك الشيخ الذي جاء من قضاء الحفة، وتوطن مدينة اللاذقية. وحينما بنى رجل من آل الزربا جامعه المعروف أدخل قبره ضمن الجامع، فدعي كذلك بجامع الشيخ ضاهر.

ومرةً ثانيةً نرجو القارئ الكريم أن يتفضل معنا إلى المكان الذي انطلقنا منه إلى أرض إدارة المرفأ (أو بالأصح بستان دنورة) حتى نشرح له القول إنَّ شرق المرفأ كان أيضاً بساتين من جهة الجنوب والشمال إلى آخر بستان الورد حيث يقوم الآن مقهى الدعبول الصيفي (محل أديداس حالياً) الذي يطل على صيدلية الصليبية، وحيث ينتهي بستان الليمون الذي يقع جنوب بستان الورد باستثناء الأرض التي شيّدت عليها مدرسة الخيرية وسيأتي الكلام عليها... فإذا اجتزنا بستان الورد إلى بستان آخر حيث الحمّام الصغير الذي يجاوره غرباً زقاق طويل تتناثر الأقبية على جانبه، نصل بعدها إلى مقبرة الهيشي التي أقيم على أنقاضها مديرية الأشغال العامة (جنوب المسرح القومي حالياً) ومستشفى ومستوصف البلدية عام ١٩٢٥وسوق الهال فيما بعد، ونقل إليه المولد الكهربائي (مكان دار الكتب سابقاً). أما مكان مطحنة حاج نسيم التي تحولت

فيما بعد إلى فابركة... ساحة السمك فقد كانت حقولاً، وإلى شرق ذلك كانت تربة شيخ الهيشي تشتمل على مساحة كبيرة تمتد من غرب جامع البازار أزيلت فيما بعد. وما هو جدير بالذكر أن سوق الهال قد ألغي من مكانه القديم، وتم نقله إلى مكانه المعروف الآن. هذا مع العلم أن أقدم سوق للهال كان في سوق (الداية) الصباغين، وسوق العنابة إلى آخر عام ١٩٢٧... ونقل المولد الكهربائي مرة ثانية إلى جانب قلعة دغري وردي، وأقيم مكانه المكتبة الوطنية (المركز الثقافي)، ومن ثم نقل المولد الكهربائي إلى السكنتوري (شرق جنوب محطة القطار)... يضاف إلى ذلك أن ثانوية البنات أقيمت على أرض كانت مقبرة أيضاً. ولنا كلام حول هذا الموضوع في حينه...

هكذا كانت الدنيا في ذلك الزمان حقول وبساتين وأقبية موزعة في وسط البساتين أو متلاصقة... أقبية ضمن أزقة في داخل المدينة... حتى بدأت الناس تخرج من الأزقة والظلام لتبدأ في الانتشار خارج المدينة القديمة... وكان ممن شجع الناس على ذلك أن أحد متصرفي اللاذقية في زمن تركيا قام ببناء السراي المعروف عام/ ١٩٠٥/، وهو مؤلف من طابقين كان يعلو سقفه قرميد أحمر قبل إزالته منذ فترة قصيرة. وعند تدشينه دعت السلطات الناس وقامت بتوزيع الثريات والهدايا عليهم. وكان السراي يشتمل على كافة الدوائر الحكومية حتى مكان للسجن...

ومما يجدر ذكره أن الدوائر في ذلك الزمان قبل نقلها إلى المكان المشار إليه في الثكنة القديمة شمال حي الأشرفية (الشحادين) قد شق فيها طريقٌ فيما بعد ١٩٥٢ وأدخل قسم منها إلى الثانوية الصناعية والإعدادية كما بقي قسم ألحق مع البيوت القديمة بالحديقة التي تقع إلى غرب ثانوية المالكي، وكان يتصل بالثكنة شرقاً بستان تابع لوقف الحاج قاسم ما زال مدفنه إلى يومنا هذا. ويجاور الثكنة

جنوباً حمام تابع للوقف المذكور... وكان الماء ينقل عن طريق ناعورة تسحب الماء من البئر. وبعد عشر سنوات على تشييد السراي في زمن الحكم التركي شيّد محمد الشواف إلى شمال السراي جامعه المعروف باسمه (جامع الشواف).

أما الأبنية التي تقع شرق وشمال وجنوب السراي فهي حديثة العهد، منها ما بني في زمن الحكم التركي، ومنها ما بني في زمن فرنسا، ومنها مدرسة الفرير (الأرض المقدسة) والكاتدرائية، فقد بنيتا زمن الحكم الفرنسي فوق بساتين. وكما جرى الحديث كانت تلك المحلات بساتين متصلة بعضها ببعض أخذت الناس تشيّد فيها بعد أن هجرت حياة الحصار والأزقة والحواري... فقد أخذ البناء يمتد ويتسع حتى شمل البساتين التي كانت تقع جنوب مدرسة الأرض المقدسة قديماً وحديثاً حتى وصل البناء إلى بستان الجميزة الواقع شرق الكاتدرائية، فقد كان هذا البستان أشبه ما يكون ببستان الكسيم وقد شيّدت عليه الأوقاف إدارة الريجي وثانوية عمر بن الخطاب... وهناك بنايات أخرى منها نقابة العمال وغير ذلك... وكان يقوم إلى الجنوب الشرقي من بستان الجميزة مقبرة، تطلب الأمر إزالتها لبناء مدرسة الخيرية في زمن الحكم الفرنسي. ومما يجدر ذكره أن هذه المدرسة لعبت دوراً مهماً في زمن الانتداب الفرنسي، كما قامت بتعليم الأجيال الماضية مجاناً. ومما يلفت النظر أن الجهات الأربع حول هذه المقبرة التي قامت على أنقاضها المدرسة كانت أراضي وبساتين، منها على سبيل المثال بستان الورد الذي يقع شرقها، وقد حوى مختلف الأشجار... وإلى الجنوب بساتين الصليبية الشهيرة التي تمتد حتى تصل إلى البحر. وفي زمن الحكم الفرنسي شيّد جانب هذه المدرسة ثكنة صغيرة لوضع الخيل وبعض الجنود... أما شمال المدرسة فقد كان يقوم ما يشبه الكيدون في منخفض من الأرض تعيش فيه بعض العائلات الأرمنية فيما يشبه العشش، وبشماله كنيسة أقيم محلها فيما بعد الكلية الأرثوذكسية، كما كان يقابل هذه الكنيسة

غرباً كنيسة أخرى مسقوفة بقرميد أحمر... وإذا سرنا شمالاً بعد ذلك وصلنا إلى مقبرة شيخ الهيشي بعد أن نجتاز بستاناً يقع مباشرة الآن إلى شرق مخفر الصليبة (القديم) حيث أقيمت عليه المباني وشقت الطرق...

ذكرنا سابقاً أن ساحل اللاذقية الممتد من النهر الكبير شرقاً إلى الدبجيات غرباً قرب (ما يسمى بكسرة البابور) أنه من المجاهل، وضربنا لذلك الأمثلة، ونقدم هنا بحثاً آخر عن هذه الناحية الشرقية من اللاذقية. لقد كان الشجعان يهابون الخروج إلى عين التمرة عند منتصف الحرش الآن، وذلك إذا عسعس الليل ولفّ الظلام الدامس المدينة، فقد كانت الضباع تؤم تلك الجهات بكثرة حتى تصل إلى أبواب المدينة، وقد تدخل إلى شوارعها، وكانت بنات آوى تسرح في الليل بالمئات تفتش عما تأكل من الجيف. أضف إلى ذلك الكلاب الضالة الشرسة التي لا مأوى لها.

تلك المدينة الصغيرة التي كانت تنام في أحضان البساتين والحقول والسهول الواسعة... ولم يكن يأوي أحد في تلك البساتين في فصل الشتاء، عدا الصيف نهاراً. هذه البساتين الممتدة كما بيّنا من شرق قوس النصر إلى المكان الشهير المسمى بالنهير حيث أصبحت تلك الأراضي الرملية فيما بعد سكناً لأبناء فلسطين... وإلى الجنوب البوز الذي يرتفع عشرات الأمتار عن سطح البحر كما هو الحال عند شرق كسرة البابور ومغارة الحمام ومغارة البزاز. وهنا نلفت الانتباه إلى أن أسماء هذه الأمكنة لم تُدْعَ بهذه الأسماء عبثاً، وإنما سميت بذلك لأن طيور الحمام البرية كانت تأوي إلى تلك الجهة في الزمان القديم، ولكن لمّا كثرت أذية الناس لها هاجرت بلا عودة. وكذلك الحال في مغارة البزاز، فقد قامت الطبيعة برسم ثدي على صخر أملس كان يمتلئ في أيام الشتاء فيرشح حتى يسيل فتأتي من لا حليب لها لتشرب من ذلك الرشح كي يزيد حليبها...

ونعود الكرة مرة ثانية إلى تلك البساتين التي تركناها لنقول: إن تلك البساتين في مجموعها كانت تشكل مورداً رئيساً لأصحابها من الوجهة المعيشية ومن الناحية المادية، كما كانت تشكل اكتفاءً ذاتياً للمدينة آنذاك. فلقد كانت الأشجار في مجموعها كثيرة في الحقول والبساتين ، وكانت هناك أراضٍ غير مشجرة تزرع بالغلات كالقمح والشعير، ليس هذا فحسب، بل كانت بساتين جب دليلة الشهيرة التي تبدأ من أول شرق سفح القلعة إلى منطقة معروفة الآن، وهي مدرسة الغافقي طولاً وعرضاً إلى ما بعد جنوب المقبرة الفرنسية حتى تصل إلى الأعمدة المقامة في منتصف النجمة ملتقى الشوارع، وبستان السمكة (القلاب) شرق جامع أبي الدرداء، وعين الرمانة، وبستان الغزاوي الشهير ببستان السمكة، وناهيك عن بساتين الشيخ السكتوري الشهيرة، فكانت هذه البساتين تورد مختلف الخضراوات والفواكه والمزروعات وما تجنيه الأشجار الأخرى. ثم الصهريج الشهير بشجر ليمونة الحلو، وبستان الزئبقية الذي يقع إلى جنوبه حيث كانت الناس تخرج إليه وإلى الصهريج من أجل التنزه في أيام الجمع وغيره فيما يكاد يشبه الأعياد... وهناك بساتين أخرى مخصصة للزراعة فقط قريبة من البحر كأرض نجيبة والسيجات وخاشر وأراضي الصائغ وبساتين الصيداوي التي تقع شرق قوس النصر بعد أن نجتاز بستان دنورة (طرابلسية) الذي اشتهر ببئر السيدة وغيرها وغيرها... غير أنه للحضارة مفهوم آخر، وللمدينة شأن، ولله في خلقه شؤون، وهو الذي يدبر ويجعل ما على الأرض زينة لها... فقد امتدت يد القدر إلى هذه الجنان لتقلبها رأساً على عقب فتحولت إلى منازل ودور وشوارع ومؤسسات ومصانع ودكاكين ومدارس، وتنفض عن مدينة اللاذقية القديمة غبار الكسل والخمول والرقاد القديم الذي طال منذ الحكم التركي إلى الحكم الفرنسي، لتبعث فيه الروح والأمل ثم حب

العمل والتفكير الجيد والتنظيم والنظام، فأخذت الناس رويداً وأخذت البلدية تشق الشوارع الطويلة العريضة حتى قامت بعد ذلك الأبنية، ولا سيما بعد تقدم الحركة المعمارية، وتشيد الأبنية الضخمة العملاقة، من ذلك بساتين الصليبية الشهيرة، التي تبدأ من أول بستان الدعبول أو (الشويكلة) نسبة إلى زراعة الأرضي شوكي وبستان الشيخ عبد الرحمن الفتاحي (حير الذبائح سابقاً) إلى حيث يلامس البحر الصخور جنوباً (البوز) وإلى شرق كسرة البابور وإلى غرب قلعة دغري وردي... ومما يلفت النظر تردد أسماء الأمكنة، من ذلك كسرة البابور ومنها البوز وغير ذلك. ونشير هنا أن لهذه التسمية سبباً منها القديم ومنها الحديث إلخ...

١ - **البوز**: كانت غرفة مشيدة لمصلحة السلطات التركية، وفيها بعض عناصر الجند لحراسة ذلك الكبل الذي كان يمتد من اللاذقية إلى جزيرة قبرص، وهو عبارة (عن كابل تليفون).

وقد عثر إلى شرق البوز كما حدثنا المسنون في ذلك المنخفض من الأرض على مغارة تحتوي على مقبرة كبيرة لا عهد لهم بها... ولعلها رومانية أو غير ذلك...

٢ - **عين سندلكس**: كانت مغارة تنزل إليها بدرج وفيها عين ماء... فقد تجرأ بعض أفراد الناس وثقب حائطها، فعثر على زجاجات فيها زيوت وأوانٍ فخارية إلخ... ما اعتاد أن يضعه رجال ذلك العهد الغابر للموتى... إلى أن قامت السلطات بعد ذلك في النظر بالأمر، فاستخرجت ناووساً (تابوت) عليه غطاء كان معروضاً إلى الأمس القريب في السراي، ومثله في المنشية...

٣- **كسرة البابور**: كان ذلك في عام ١٨٦٥ كما سمعنا من المسنين عن آبائهم أن باخرة ألمانية جاءت في الليل تمخر عباب البحر قاصدة دخول الميناء فشقّت

طريقها شرقاً ثم حوّلت غرباً، فارتطمت بعد ذلك في جهة أخرى جنوب الصخور، وكان الظلام دامساً، فاستحالت الرؤيا على الربان فاصطدمت بالمكان المعروف بكسرة البابور فغرقت... وكانت مشحونة بالصوف، فطفا في اليوم الثاني على وجه الماء، فأخذت الناس تهرع لمشاهدة البابور ثم الاستفادة مما تصل إليه أيديهم من الصوف. ولا يزال بعض حطام هذه الباخرة إلى يومنا هذا في نفس الموقع. ونعود الكرة إلى مرتفع الدبجيات التي تطل على البساتين شرقاً والتي تحولت بعض بساتينها إلى حرش. وتشاهد اللاذقية، وكأنها شبه جزيرة، فمن جهة الغرب بساتين الصليبة بأشجارها الكثيفة الممتدة كما أسلفنا إلى قرب الشاطئ، وفيها النواعير تسقي الزرع، وتسحب المياه من الآبار، ومما اشتهر من هذه الآبار جب العسل الذي يقع جنوب الطابيات وجب البريد، وغيرها من الآبار.

وكان على السائر وسط هذه البساتين أن يسير في دروب ضيقة متعرجة وفوقه العرائش والأشجار فيما يشبه الغابة، ورائحة أشجار الليمون واللوز والمشمش وأزهار أخرى تنعش القلوب وتحيي النفوس. هذا مع العلم أن البساتين المذكورة كان تخلو من أصحابها في فصلي الخريف والشتاء، وتصبح خالية من السكان، ومن النادر أن يقع بصر الإنسان على كائن حي. فإذا ما جاء الربيع انقلبت الأرض إلى حركة دائبة، وأنبتت من كل زوج بهيج...

فكانت الناس تذهب لأعمالها كما كان الخلق يخرجون في هذا الفصل للنزهة وارتياد هذه البساتين، ولا سيما إلى شرق الطابيات حيث بستان الصيريج وعين الرمانة، وإلى الطابيات حيث كانت البساتين تحيط بالمدينة القديمة إلى جهة قوس النصر. ومما يجدر ذكره نقول: إنه لم يكن في ذلك الزمن من بناء على تلك الهضبات أو السفوح حتى ابتدأ ذلك في أواخر عام (١٩١٦). ثم أخذ البناء يزحف رويداً رويداً في المرتفعات في الطابيات والسفوح والروابي إلى أن كان عام

(١٩٣٣) أخذت الأبنية تتناثر هنا وهناك. ولمّا جاء عام (١٩٣٩) قامت البلدية بشق وتوسيع طريق أبي العلاء المعري (الصليبية)، فازدادت حركة البناء والعمران على هضبة الطابيات، وأخذت الناس تنقل الحجارة من البيوت القديمة والأقبية وتشتري الأراضي التي كانت مخصصة لزراعة القمح لأجل البناء، كما في سفح الطابيات الشرقي وجامع الدرداء ومرتفع الدبجيات. وبذلك اندثرت بعض المتنزهات التي كانت تروّح عن الإنسان من تعبه بقضاء عطلة الأسبوع والسهر تحت ضوء القمر، كما قضي بعد ذلك على متنزهات أخرى كالزنبقية والصيريج. ولا بد من القول: إن الناس كانت لها متنزهات على طريق العمود (المستشفى) في وقت لم يكن فيه بناء واحد حتى عام ١٩٢٥. يضاف إلى ذلك متنزهات هضبة القلعة التي يقع إلى شرقها الحقول والمروج المترامية الأطراف حيث بساتين جب دليلة وعين القادوس إلى أول قرية الزقزقانية. وبجنوب ذلك ما كان يسمى بالمحافر، وهي أرض موحشة شيدت عليها فيما بعد مستودعات الريجي، فكانت هذه الأرض مأوى الضباع والجقيلات، ويليها بساتين الشيخ السكتوري، ما زال مدفنه إلى الآن يجاور الشاطئ الرملي جنوباً، وكان قريباً منه شاليهات وكبائن أقامها الانتداب الفرنسي قريباً من منتصف طريق النهر الكبير. وإلى شرقه ما كان يسمى بأراضي الطائرات التي اتخذت من تلك الأراضي السلطات الفرنسية آنذاك أمكنةً للتدريب.

أما غرب القلعة فكانت البساتين تمتد من أول سفح القلعة إلى مقبرة الشيخ ضاهر التي شيّدت عليها الحدائق العامة فيما بعد وثانوية التجهيز، كما قام الانتداب الفرنسي ببناء ثكنات على جزء كبير من هذه البساتين، بالإضافة إلى ذلك أنشأت ملعباً لكرة القدم شمال الثكنات المذكورة تقوم الآن عليه الأسواق جنوب سوق الهال وأمام الثكنات...

ولما اندثرت مقبرة الشيخ ضاهر القديمة اتخذ الأهلون الأرض المعروفة الآن... أما جامع العجان فلم يكن له أثر عام ١٩١٠ كان أرضاً متصلة بغيرها من الأراضي حتى تصل إلى شاطئ البحر غرباً... ومن جهة الشمال كانت مزارع القمح والشعير تمتد حتى تجاور القرى سواء أكانت من الشرق أو الجنوب، وكان هناك منتزه معروف بمنتزه عين أم إبراهيم تخرج إليه الناس، أو إلى المقهى الذي يقع إلى أسفل جنوب سفح القلعة / محطة البنزين - آخر الثكنات/ ، وكانت هناك عين ماء معروفة بعين أم إبراهيم أيضاً... فكانت الناس تنتشر أيضاً في جهات المشتل الزراعي (المعروف بالدندانة) ويصطحبون معهم طعامهم ونراجيلهم وما يجلسون عليه... وفيما يسمى بعين البحر سابقاً بتلك المحلات كانت تقام ألعاب الفروسية (لعب الجريد). وإذا سألتنا الأجيال الجديدة عن الأبنية أجبناها، حتى جهات عين أم إبراهيم أيضاً، لم تكن الأبنية موجودة باستثناء دار كبيرة على أعلى هضبة القلعة مسقوفة بقرميد أحمر لأسرة من بيت الأزهري... وكانت الناس تعيش وسط حصن بسور له بوابات تقفل إذا ما أظلم الليل، وتقضي الليالي في القصص ورواية الأحاديث الشيّقة واحتساء الشاي وأكل التين والكسيب أو التين مع الطحينة والتمر على ضوء القناديل الزيتية الباهتة الموضوعة في سراج أو صحفة من فخار... وربما على ضوء الشموع التي توضع بداخل فانوس...

وقد يطول السهر ليلاً قتلاً للوقت، وهم متحلقون في أيام الشتاء حول الكوانين التي كانت تجلب نارها من الأفران في ذلك الزمان، فكان على الغلام أن يأخذ كانونه، وينتظر الساعات أمام الفرن حتى يحصل على بعض العرجوم المشتعل، والمحظوظ من الناس من يحصل على حفنة أكثر من الآخر...

٤ -مغارة الحمام: فيها نقوش حجرية على جدرانها ومخطوطات لبحارة إفرنج ، ربما لجؤوا إليها، وباللغة الأجنبية يوجد تاريخ يعود إلى عام ١٩٢٠.

٥-حي عين البحر: المسلخ والدباغات مكانان متجاوران شمال غرب مدينة اللاذقية ،إذ كانت دباغة الجلد مهنة رائجة وتقوم على صناعة الأحذية والجزمات البلدية، وتعمل في هذه المهنة عوائل محددة من أبناء مدينة اللاذقية، ومن أشهرهم آل ساعي وآل علي عثمان وآل هواري وآل كردغلي ومحجازي. وكانت أحواض المدابغ أماكن تشد النسوة إليها، فكانت تلك المياه توصف للمرأة بأن تمر عليها جيئةً وذهاباً ثلاث مرات من أجل الحمل وكذلك للشفاء من أمراض الجفلة وأمراض الجلد والسمنة. وكانت النساء تأخذ جرعات منها في زجاجات إلى منازلهن ليوفرن عليهن تعب المجيء إلى الدباغات. ولقد كنت صغيراً عندما شاهدت بأم عيني النسوة، وهن يجتزن لوحاً خشبياً وضع خصيصاً فوق تلك الجلود المتفرغة في المياه الآسنة مجيئاً وذهاباً، ويدفعن في نهاية المطاف القليل من المال إلى صاحب المدبغة أو العامل الذي أشرف على مرافقتهن لقضاء هذه الغاية.

الأسواق القديمة في اللاذقية:

السوق الأول: يبدأ من أول شرق قوس النصر إلى قنطرة شريتح غرباً مقهى الدعبول (أديداس حالياً) ثم ما وراء ذلك تمتد البساتين في دروب ترابية متوجهة إلى شاطئ البحر.

وكانت الدكاكين آنذاك تنتشر على يمين وشمال الطريق الضيق الضارب في القدم، وكان الطريق مرصوفاً بالحجارة الصوانية منها الكبير ومنها الصغير. أما الأرصفة فكانت نحاتة وتراباً... وهذه الدكاكين عبارة عن أقبية صغيرة تشبه العشش، ومنها ما هو كبير نوعاً ما، يقوم أصحابها بتقديم حاجات أصحاب البيوت في ذلك الزمن محدودة العدد.

وكان الغني من أصحاب الدكاكين من يضع بعض أكياس الأرز والزيوت في أوعية من الجلود، لأن أغلب الدكاكين لم يكن بها أكثر من القطارميز التي تحتوي أصناف الكعك والحناء والبهار والقرفة والمربى بالإضافة إلى الكرافات التي أعدت واحدة منها للزيت والثانية للسيرج وأخرى لدبس الرمان... وقد يجلب صاحب الدكان زيتاً بجلود أو أوعية فخارية ، كما يحضر في فصل الشتاء زنبيلاً من التين والكسيب. ومنهم من يضيف إلى بقاليته خضاراً وفاكهةً في أقفاص وأطباق مصنوعة من الأعواد، وفي أيام الصيف يأتي بالجبس والبطيخ... وغالباً ما كان البيع بالدين، وعلى الحساب إلى شهور وشهور مما يسبب إفلاس صاحب الدكان... وقد يبقى عنده من الأصناف أيضاً شهوراً، وكانت النقود قليلة في ذلك الزمان، بالإضافة إلى الفقر والمرض بين الناس. والمعيشة بالغة الصعوبة إذ كان على رب البيت أن يشتري القمح لتقوم المرأة بغسله ونشره على السطح ثم إرساله إلى الطاحون، ومن ثم تقوم بعجن الدقيق وإرساله إلى الفرن الوحيد في ذلك الشارع الذي كان يقع في زقاق جامع الصليبية (شارع أبي العلاء) الذي كانت تطل عليه معصرة للسيرج أصبحت بعد ذلك فرناً قام باستئجاره الشيخ خميس...

وكان هناك فرن يعادله في القدم بجانب سكاكر شحرور بقي كذلك وهدم مرتين في الطريق إلى أن اندثر. وثانيهما الفرن الذي يقع إلى جنوب غرب قوس النصر، فقد اندثر أيضاً. وأما بقية الأفران فهي حديثة العهد...

الأعمال والأوقات:

كانت الأعمال والأشغال متوفرة للقليل جداً من الناس، أما الباقي فكانوا يسرحون إلى صيد الأسماك أو التقاط ما يجرفه النهر أثناء فصل الشتاء لبيعه

للأفران أو المنازل. وفي الصيف كان البعض يذهب لقطاف الزيتون. أما مجالس بعض من لا عمل له فكانت تحت قنطرة غرب قوس النصر، أو بجانب ما يسمى بحجر الطويلة، أو تحت قنطرة شريتح، أو في بعض المقاهي المتواضعة كمقهى المصطبة في ساحة السارنجة أو مقهى شبيب شرق هذا المقهى. وكان الجلوس على دكك من القش شبيهة بالكرسي الصغير. إلى جانب ذلك كانت المنازل تجتمع حول قارئ سيرة عنترة أو الزير... وقد تحوي بعض الدكاكين هذه السيرة... ولكن قصب السبق في ذلك كان للقصّاص الذي يمضي شطراً من الليل في تسلية الناس وقتل الوقت لقاء بعض النقود في بعض المقاهي أو دكان ما.

طريق حجر الطويلة – أو زقاق المدق:

هو الشارع الذي أنشئ حديثاً إلى غرب مقهى الطابوشة على أنقاض ذلك الزقاق الضيق وأنقاض حمام العوافي بعد إزالة تلك الربوة الترابية الهائلة التي حجبت امتداد الطريق القديم طويلاً حيث يمتد ماراً ببستان حمَّام العوافي (جنينة الشيخ خميس الآن) الواقعة إلى غرب الدرب المذكور وإلى شرق بعض البيوت المبنية على طراز ذلك الزمان أقبية متلاصقة بعضها مع بعض، وأمامها فسحة سماوية أو بستان أو حديقة مغروسة بالليمون وبعض الأشجار الأخرى. وكان يتخلل هذا الطريق بعض الأزقة كما لا يخلو من تعرجات شأنه شأن بقية الطرقات القديمة. ويصل الإنسان إلى ما كان يسمى بقنطرة بيت الطويل التي شغلت في فترة من الزمان على عهد الحكم التركي دائرة التلغراف في بدايته... فقد نقل بعد ذلك إلى منزل آخر بجانب أوتيل البلّة بالكاملية ثم إلى دار العش إلى مكانه الحالي مع البريد.. وعودة بنا بعد أن قطعنا الحديث عن الطريق نقول: إذا تجاوزنا تلك القنطرة المخيفة في ذلك الزمان، ولا سيما تلك

الدار نفسها فإنها كانت شديدة الظلام نهاراً، لأن أرضية هذه الدار عبارة عن دهليز فيه بعض الأقبية المتقابلة لا ترى وجه السماء ويقع فوقها بعض الغرف، بعد أن يعرج الإنسان على سلم متكامل، ومنها الغرفة التي تقع على ظهر هذه القنطرة ، فلقد كان الإنسان يقرأ من القرآن ما يصرف الله عنه الكرب عند مروره من تلك الجبهة... أما الحال في الليل فإن الإنسان كان لا يمر من تلك الجهة إلَّا إذا أجبرته الظروف أو اضطر إلى ذلك اضطراراً، فما عليه، والحال كما ذكرنا، إلاَّ أن يركب الصعاب طالباً من الله تعالى العون والنجاة...

فإذا تجاوز الإنسان هذه القنطرة تنفس الصعداء، لأن في سيره شمالاً سيصل إلى طريق الدباغة. ومما هو جدير بالذكر أن الأرض التي تقع أمام منزل الحاج أحمد ياسين الآن وبناء ياسين نفسه كانت مجموعة من الأراضي التي استعملت لدبغ الجلود ، أي إن الدباغة أنشئت في زمن ما قبل بناء هذه المنازل، ولم يعرف تاريخها بالتحديد إلا من كبار المسنين عن طريق التواتر. ومن ثم لمّا تحولت الدباغة إلى المنشية اندثرت الدباغات من هذا المكان المشار إليه، واقتطعت إلى أراضي بالتساوي بين الناس، ثم شيدت الأبنية على مدى سنين طويلة. هذا مع العلم أن غرب الدباغة بقيت أراضي أشبه بالحدائق حتى شيدت في عام ١٩٤٨ .

طريق الأعمدة - طريق القناطر - طريق الخوف:

طريق العجائب والمتناقضات، بل طريق المتاهات والمفاجآت والخوف والرعب، طريق الظلام والجن والعفاريت ، طريق الكنوز و الخبايا... تعالَ بنا يا زيد لننطلق في جولة ليلية لا نور بها وسط هذا الطريق العجيب، لقد عسعس الليل وخلت المارة منه، وأغلقت أصحاب البيوت الأبواب، ووضعوا الأحجار والمتاريس خلفها، وأخذ القليل من الناس يسرع الخطا حتى لا تنغلق قنطرة ما، .

فلا يستطيع أحد السير بعد ذلك... فلنسر من الجنوب أولاً من أول منزل. انطلق بنا شمالاً عدة أمتار لنتجه شرقاً ثم لندخل شمالاً في الطريق المظلم الذي لا يكاد الإنسان يرى أمامه شيئاً إلّا أعمدةً على يمين الدرب وشماله واقفةً في صف طويل كالشيطان، بل منصوبة لتخيف المارة، وتعيد إلى أذهانهم أن الكنوز ترقد تحتها. استمع يا زيد أن سلسلة تزحف، ها هو صوتها يقترب منك، فلنهرب قبل أن يدركنا الجن هيا، فلم نكد نتجاوز عشرة أمتار من الطريق حتى أصبحنا تحت القنطرة الطويلة حيث ترقد إلى جانبها البيوت التي تشبه الدهاليز والأعمدة ترافقنا لتزيد الطين بلّة، فيطل علينا زقاق أشد ظلمةً من الأول إلى جهة الشرق حيث يقف البلطجية، يقطعون الطريق على المارة منحنى من هذا الطريق البشع الذي جاوز منتهى القذارة في أوحاله وزبالته ورائحته النتنة. هيا بنا قبل أن يقع لنا ما ليس في الحسبان. ها هي السماء تظهر لنا بنجومها، ولكن هيهات هيهات، فإن طابور القناطر تنتظرنا في هذه الرحلة الليلية. ثلاث قناطر متلاصقة حجبت عنّا وجه السماء، قناطر بيازيد والطويل وقنطرة أخرى إلى الغرب تقع في متاهة فلم نكد ننتهي من القناطر المخيفة التي توحي إلى السائر بأن الجن قد تتعلق به، أو أن مجرماً ما سينقض علينا حتى داهمنا زقاق الصيباط أدهى الدواهي الذي يُروى عن جماعة من المسنين أنه قد ينغلق على المارة في كل لحظة، فلنكثر من قراءة الفاتحة والتعاويذ المنجية من الهلاك... ولكن من أين لنا الخلاص؟ لقد ظهرت السماء بنجومها فترة قصيرة، ونحن منطلقون شمالاً وسط ظلام دامس، كأننا نسير في سرداب أرضي متعرج بعض الشيء، ليعترضنا سوق النجارين بقنطرته الشديدة السواد ودربه المصنوع من الحصى الكبير المزحلق، ودكاكينه المبنية من حجارة أعتق من القديم بشكل أقبية متنافرة لا ذوق ولا شكل لها. فلنسرع الخطا قبل أن تنالنا أيدي اللصوص

أو الشياطين المنتشرة في بعض هذه الأماكن المظلمة. هاهي قد ظهرت النجوم مرة ثانية لتدخل الطمأنينة إلى قلوبنا، فلننحرف قليلاً حتى نلج سوق الجزماتية الإسكافية، إنه درب أقل ظلاماً من الأول وما تلاه من وحشة ورهبة ووسوسة، ولكنه طريق متآكل مهترىء لقدمه، هاهو البيلستان على غربنا في اتساعه وعلو سقفه المعقود تنتشر حوله شمالاً وجنوباً دكاكين الخياطين والنوفوتية، وليس بها إلاَّ صفير الهواء، فلنمض مسرعين. فهاهي النجوم تتلالأ في السماء والبدر من فوق السحاب يسوقه... وكما ترى إلى شمالنا الآن حديقة ياسين التي ستتحول مستقبلاً إلى سينما أوغاريت تماماً كما سيتحول البيلستان إلى مكان الإطفائية (البنك التجاري رقم ٣ حالياً). يا الله ! ما هذا الحائط الذي وقف بوجهنا ؟ آه، لقد دخلنا في سوق الأوساخ والأقذار! إننا نحتاج إلى دابة لنقلنا. إننا الآن إلى شرق طريق يصل إلى آخر الثكنة، وطريق إلى غرب جنوب البازار، إنه سوق اللحّامين الذي اشتهر بنتنه ورائحته الخبيثة صيفاً وشتاءً. إننا نحتاج الآن إلى (كمامة)، بالإضافة إلى رائحة الصديد والحديد والفحم المحروق. إنه أيضاً سوق الحدّادين. إذن، فلننحرف إلى الغرب قليلاً إلى سوق آخر، ألا، وهو سوق أصحاب حرف مختلف. لقد انتهينا الآن من سوق اللحّامين والحدّادين وقنطرة السقطيلة بعد أن نقلتنا دابة، لأن الأوحال والمياه الراكدة تمنع الإنسان من السير، ولاسيما أنها مياه آسنة وبقايا الدماء مازالت على الأرض، لأنه لا مصارف في تلك الطرقات عامةً. مضينا شمالاً بعد أن ألقينا نظرةً على أول طريق يؤدي إلى البازار، فوقع نظرنا على سواد القنطرة التي ترقد بأسفلها دكان الحداد واصف غريب، وأخرى أمامها بائع بقايا الضأن والمعاليق. لقد وقع بصرنا على تلك القنطرة السوداء فزاد الظلام سواداً. سرنا شمالاً بعد هذه النظرة العابرة من أول مسجد الصباغ، وقد تغير علينا الجو، وعاد جزء من

الطمأنينة إلى نفوسنا. إننا الآن في طريق أصحاب الحرف المختلطة، وهو آمن نوعاً ما، ففيه بعض النجّارين وبائع فحم وبعض الصنّاع من الذين يعملون بآلة الطواحين ودكاكين أخرى جليلاتية، وكان في ذلك الطريق منشرة قديمة يدوية لبيت النحو. وبعد أن مشينا بهدوء وسكينة اعترضنا طريق إلى الغرب يؤدي إلى قنطرة آل الأوسطة، وهو يتفرع منه طريق آخر بقناطر يؤدي إلى البازار. ولّما سرنا خطوات فلم نكد نصل إلى حيث نقطة البوليس المعروفة الآن التي تقوم في منتصف الشوارع الأربعة المؤدية شرقاً إلى جامع المغربي غرباً إلى البحر وشمالاً إلى ثانوية جول جمال وجنوباً إلى البحر أيضاً، أقول: لم نكد نصل إليها حتى شممنا رائحة مخلفات باعة الخضرة، فتذكرت حالاً أننا أصبحنا في أمان واطمئنان، وصلنا إلى طريق النجاة بعد أن شابت مفارقنا (شاب شعرنا).
إذن نحن على جانبي الدكاكين التي تقوم ببيع مختلف ما تنبته الأرض من خضار، وها هي رائحة الأرض تشهد بذلك مع شدة الظلام الدامس، وها هو خرير ماسورة الماء تتدفق منسابةً في هذا الليل البهيم. إذن نحن بلا شك سندخل بعد قليل في سوق باعة الزيت و اللبن والشعير والحنطة والبيض، وما يقوم أهل القرى بنقله على ظهور الدواب إلى هذه الدكاكين الممتدة شمالاً إلى مقبرة الشيخ ضاهر قديماً (لم يكن لثانوية جول جمال من أثر في ذلك الزمان ، أو للحدائق المقابلة لها جنوباً من وجود، بل كانت المقابر تغطي رقعة هذه الأراضي كما أسلفنا في شرحنا السابق).

هذا مع العلم أن هذا الطريق الذي نتحدث عنه كان كغيره من شبكات طرق المدينة العتيقة، ويدخل، في ذلك سوق العنابة الذي يقوم في منتصف هذا الطريق إلى الغرب حتى ينتهي عندما يسمى بأول سوق الصفن... وكان سوق العنابة قطعة فريدة في قذارته وأوحاله قبل أن تمتد إليه يد البلدية، فقد تآكلت حجارة أرضه

المرصوفة بالحصى البازلتي الأسود، وبرزت أمعاؤه مما يزيد الطين بلّةً... وكان هذا السوق هو سوق الهال الثاني في اللاذقية، أما السوق الأول فهو السوق الذي اشتهر في حينه بسوق الداية (الصباغين). وسيأتي الكلام عن أسواق سوق الهال في حينه...

- الطريق المثلث:

هو الذي يمتد من شرق بستان الحاج قاسم (من عند الثكنة القديمة سابقاً) حتى غرب البحر الأبيض المتوسط حيث تتلاطم الأمواج على الصخور، غير أن نهاية الدرب ببنائه لم تكن تتجاوز جامع الصغير (البازار) بمسافة قصيرة إلى مقبرة شيخ الهيشي، وكان شرق أول هذا الطريق عليه بوابة حتى يقفل على المدينة، شأنه شأن سائر البوابات الأخرى...

وكان السائر في هذا الدرب يشاهد الأقبية ذات الطابق الواحد تحيطها البساتين والحدائق، كما كان يتفرع عنه مسالك ودروب أخرى تتصل بأزقة ذات عطف متعرجة أو حلزونية وأكثرها غير مستقيم المسالك، وطالما صادف الإنسان أثناء سيره فيها متاهات، يقف حائراً حتى يقع بصره على زقاق داخل زقاق آخر لم يكن ليخطر على باله أن هنا حياً بأكمله... فكان أصحاب زقاق ما يتفقون فيما بينهم على أن يشيدوا بوابة على رأس العطفة الرئيسية كما هو الحال في بوابة الريس التي ذهبت في الطريق، وكانت تقع إلى الشرق من جامع الكبير حيث وقف الدوكير الذي اكتشفت مقبرته مع أسرته وأقربائه تحت غرفة كانت مخصصة لتحفيظ القرآن الكريم. ومثال بوابة قنطرة الدريبة التي تقع إلى جنوب جامع رسلان باشا. وقد تلاشت هذه البوابة منذ قرن من الزمن كما أزيلت القناطر الأخرى أثناء شق الطريق. أما الثكنة التي شيدت في العصر التركي فهي في الأصل من ضمن بساتين الحاج قاسم. وشرق هذه البساتين إلى الأمس القريب كان حمام

الحاج قاسم، وهو لا يختلف ببنائه عن حمامات المدينة الأخرى، له مدخل وصحن مسقوف تعلوه قبة ومصاطب من حجارة مرتفعة عن الأرض ومدخل إلى استراحة أخرى شتوية على الطراز نفسه، ثم إلى الحمّام ذي القبو الكبير والقبة المفروشة بقطع مستديرة من الزجاج الثخين حتى ينفذ إليه ضوء الشمس. وكان الداخل يختار إما الجلوس في هذا المكان أمام جرن من الأجران، وإما أن يدخل إلى بعض الدواوين التي تتفرع من هذا القبو الذي هو في الحقيقة عبارة عن بهو كبير.

كان من نتائج تكرار الزلازل على اللاذقية أن هجرها أهلها زمناً كما ذكرنا سابقاً ، ثم استوطنها كثيرون من سورية ولبنان، وقليلون من اليونان والترك والأكراد والألبان ، كما اختارها مقاماً في القرن التاسع عشر بعض الأسر الفرنسية... كانت اللاذقية قبل العهد الحميدي مركز قضاء تابع لمتصرفية طرابلس ثم تحولت إلى متصرفية أثناء التنظيمات الإدارية، والتحقت مع أقضيتها الثلاثة جبلة ومرقب وصهيون بولاية سورية مباشرة في عهد واليها مدحت باشا سنة ١٨٧٩. ولما تحولت متصرفية بيروت إلى ولاية عام ١٨٨٨ ألحقت بها متصرفيات اللاذقية وطرابلس وعكا ونابلس، ودام الحال على هذا المنوال حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨.

منتزه الطابيات:

كانت الناس تستعد للخروج إلى هذا المنتزه استعداداً خاصاً، ويعدون المأكولات الشهية والحلويات الفاخرة المصنوعة في المنازل أو الأفران، حتى إذا ما انتصف النهار سارت النساء والأولاد مع أمهاتهم يحمل كل فرد منهم سلة، فيها ما لذ وطاب، ثم يقومون بالانتشار فوق الروابي والسفوح وقريباً

من خزان الماء (الحاووظ) المتدفق إلى بركة كبيرة في بستان الطرابلسية. وما تزال الناس تتوارد حتى يغص المكان بهم على رحابته. وكانت بعض الأسر تأخذ معها النراجيل للتدخين وسط المزارع والبحر أمامهم، والماء المتدفق من ماسورة كبيرة تجري منسابة إلى البركة السالفة الذكر.

وكانت الباعة تخرج مبكرة لبيع الناس مما أعدته من بوظة وليمون وعرق سوس وغير ذلك إذا كان الوقت صيفاً، وقد يشارك باعة آخرون في عرض بضاعتهم كالبسبوسة وسكر المعدن والجوزية والهيلطية وكذلك اللفت والشوندر والخس المكبوس. وكان هؤلاء الباعة يتجولون وسط الناس عارضين بضاعتهم، وكان أشهر الباعة هناك السبيعي وبوظته المعروضة على عربته ذات الدواليب الأربعة، وكان الأطفال يسارعون إلى شراء ما يريدون كل حسب رغبته...

وهم بالتالي في جريهم ولعبهم إما بالاستغماية وإمَّا بالجري وإمَّا تسلق الأمكنة المرتفعة للقفز إلى الأرض... أضف إلى ذلك أن شباب ذلك الوقت كان يستعد كل منهم للظهور بأحسن هندام من السروال إلى الجاكيت الكحلي إلى الحذاء الأسود. فكان شباب ذلك الزمان يذهب إلى الحلاق، وينتظر الساعات حتى يقص شعره ويشذب شنبه على طريقة الشنب المبروم، ثم يذهب إلى حمام السوق حتى يغتسل كي تراه الناس بعد ذلك أسداً ضرغاماً بخيزرانته أو عصاه التي دفع ثمنها مبلغاً لا بأس به... ثم يقوم هؤلاء الشباب بالسير الساعات الطوال من أمام الخلق، تارةً يحمل طربوشه بيده وتارةً يضعه فوق رأسه وطوراً يلوّح بعصاه قاصداً لفت الانتباه إليه... وهكذا كانت تمضي الساعات إلى مغيب الشمس والأسر في أحاديثها وقصصها وانشراحها ومنظرها إلى البحر، والبساتين تتمايل فيها سنابل القمح والزرع، فيبدأ بعد ذلك كل بالذهاب إلى منزله إلا إذا

كان قد أحضر معه الطعام، فيتناوله على ضوء القمر. وهذا الحديث كان إلى سنين متقدمه غير متأخرة، لأن الناس لم تكن تجسر على البقاء أطول من آذان المغرب خوفاً من الطائشين والوحوش المنتشرة بكثرة كالضباع والجقيلات، ولأن الشوارع كانت غير موجودة إطلاقاً.

- **وصف منتزه غرب إدارة المرفأ:**

كانت الناس تسرح من بيوتها بعد العصر زرافات ووحدانا حاملين معهم الطعام، فينتشرون على رقعة تلك الأرض الواسعة من هضبة الملعب القديم (إدارة المرفأ حالياً) إلى سفحها، ومنهم من كان يفضل الجلوس على صناديق البحر (وهي عبارة عن كتل إسمنتية مصبوبة مكعبة الشكل) يتمتع الناظر بمشهد البحر، ومن الشباب من كانت تحلو له السباحة، والبعض كان يقوم باستئجار الدراجات حتى يضيع وقته باللهو واللعب في هذا اليوم الذي كان ينتظره كغيره بفارغ الصبر، وكانت الباعة تخرج منذ الظهيرة لتعاطي الأسباب حاملين معهم الحمص أو البزر أو البوظة، ومنهم من يجر أمامه عربة على دواليب لبيع سكر المعدن أو الجوزية أو بيض الوز... وكان الأولاد الصغار يلعبون بعضهم مع بعضٍ في فرح ومرح ولكن عيون الأمهات لا تفارقهم...

وجماعة من الخلق كانت تأتي خصيصاً لمشاهدة كرة القدم التي كانت تجري على جانب رقعة من تلك الأرض الواقعة أمام مقهى شيخ الشباب، فتغص على رحابها، وتزدحم بالخلق. وكثيراً ما يتأخر اللعب إلى ما بعد الغروب. وكان لكل فريق أنصاره ومعجبوه، كانوا ينتظرون نهاية الأسبوع لهذه الغاية. فإذا أتى المساء سار كل إنسان إلى سبيله باستثناء من يريد البقاء للسهر وتناول طعامه الذي جلبه معه والتمتع بضوء القمر، أو للقيام بركوب سفينة مع الناس وقضاء فترة سعيدة مع البحر، في وقت لم يكن فيه المرفأ قد

طرأ عليه أي تحسين، أو قد وضع حوله السور، أو أقيم أي مستودع... بل كان البحر بأرضه وبحره مشاعاً للناس يتجولون في كل مكان يحلو لهم ويجلسون في أي مكان شاؤوا. وكان الإنسان يشعر بالسعادة والهناء والهدوء. فكان أينما ذهب لا يقع بصره إلا على الأشجار والزرع، لا يشم إلّا عبق الورد والزهور. فما من أحد يعكر عليه صفو حياته أو ينغص هناؤه، فكان خالي البال هادئ التفكير راضياً بما قسم الله له من الأسباب، وكانت المحبة والمودة بين الناس منتشرة، فإذا وقع الإنسان في مأزق ما سألوا عنه، وساعدوه بما يلزم بقدر الإمكان. ويكفي دليلاً على هذا أن نقول إن الناس حينما تجتمع تشعر بالفرح والسرور، ويتبادلون التحيات والسلامات من قلب صادق وعقل مفتوح، فإذا جلسوا بعضهم مع بعض في منتزه أو بيت كانوا يتبادلون الأحاديث عن صدق ونية حسنة بحيث يمضي الوقت الطويل دون أن يشعروا بالملل، وربما إذا عرفوا أن الوقت قد طال على جلوسهم طلب أحدهم أن يجدد السهرة بأن يرسلوا أحد أولادهم إلى البيت ليجلب لهم الطعام. هذا بحث قصير من حديث طويل وطويل جداً لو أردنا الكتابة عنه لعجزنا عن الوصف، واستغرقنا في أحاديث الناس...

- أيام الربيع والنيسان:

تقوم كل أسرة بصنع الأقراص بسيوه والمعمول قبل الذهاب إلى المنتزهات بيومين على الأقل، ثم يرسلون الأواني إلى الأفران وتقوم كل أسرة بالنوم باكراً استعداداً للخروج قبل الضحى لقطف سنابل العافية قريباً من الساعة الخامسة، والسعيد من يحصل على سنبلة من القمح. وبذلك كانوا يتلفون كثيراً من هذه السنابل، ويضيّعون تعب المزارع ويفوّتون عليه تعب السنة. وكان ذلك لا يعدّ شيئاً بالنسبة إلى الناس، وقد تحصل مصادمة بين بعضهم وبين بعض

أصحاب البساتين بسبب ذلك، فيقوم أصحاب البساتين بطرد من يجلس قريباً من بساتينهم حتى يتجنب هذه الأذية أو العادة السيئة. ومن الناس من يراعي حرمة أصحاب البساتين فيجلسون دون أذية الزرع. أو يجلسون بعيداً عن موضع الزروع، وهذا ما كان يسر أصحاب البساتين. وكان صاحب البستان المسكين ينتظر بفارغ الصبر انفضاض الناس وعودتهم إلى منازلهم بعد أن يتناولوا ما أحضروه من أقراص أو حلوى...

وكانت بعض الأسر تنفرد لتجلس تحت ظل شجرة ما، فقد كانت هناك الأشجار البرية أو الموهوبة لجهة الخير كما في أشجار تين جنوب الطابيات (أقيم على الأرض مقهى، ثم حديقة أطفال) وشجرة الخروب التي كانت تقع في الماضي للشمال الشرقي من منزل السلطان قبل بنائه، وكما في شجر خروب الطابيات والأشجار الأخرى كالزيتون وو...إلخ... كما كانت الناس تنتشر حول مقبرة الخضر جنوب مقهى الطابيات، وقد أزيلت المقبرة مع الخضر... ومما يعيد إلى الأذهان أن خروبة كبيرة كانت تظلل تلك المقبرة الصغيرة وتتدلى أغصانها حتى تصل إلى الأرض. ومن الناس من كان يحلو له أن يقوم بالتنزه وسط البساتين للتمتع برؤية أزهار اللوز والأشجار الأخرى أو يُمتِّع ناظريه بسنابل القمح التي تتمايل مع هبات النسيم وزهر الأقحوان (شقائق النعمان) والأزهار البرية الأخرى، ومشاهدة النواعير، وهي تسحب المياه من الآبار لتفرغ الدلاء بالبرك لسقي الأشجار والزروع... وربما سُرَّ بعضهم برؤية العصافير وسط البساتين، وهو سائر على أقدامه دون أن يشعر بأن الوقت قد مضى. إلى جانب ذلك كان مقهى أبو زيد المفروش بالحصر والمقاعد الصغيرة الملاصقة للخضر من جهة الشمال يقوم بتقديم الشاي والقهوة لرواده عام ١٩٢٠. وقد تقوم بعض الأسر بإرضاء صاحب بستان ما أو بساتين أخرى

بإغرائهم بشيء من النقود حتى يمكنوهم من الجلوس تحت ظلال الأشجار أو على برك الماء لمشاهدة النواعير، وهي تسحب الماء كي تفرغها في البرك. وبذلك كانوا يقضون وقتاً يختلف عن بقية الناس. وكان البعض من الشباب والأولاد يذهبون إلى الدبجيات متنقلين من مكان إلى آخر، وقد ينزل بعضهم إلى ما تحت الدبجيات (القسم الجنوبي من الطابيات) إلى تلك السفوح الخطرة طلباً لما سمي / بقرينات الغزال / ... وقد يطول الأمر بهؤلاء ساعات طويلة، بل ربما عرّض بعضهم نفسه للخطر بسبب وعورة السفوح والمسالك والتضاريس الخطرة التي تصل إلى سطح البحر شرقاً وجنوباً... هذه أمثلة يسيرة ننقلها إلى هذه الأجيال الجديدة حتى يعرفوا كيف كانت الحياة منذ ما يقارب القرنين إلى مطلع الخمسينيات...

دور الشفاء:

في زمن الحكم التركي لم يكن من مستشفى واحد في مدينة اللاذقية. وهو ما حدّث عنه الطاعنون في السن ممن تجاوز المئة سنة، بل كانت الناس تعتمد على الحكمة العربية، وما كتبه القدماء عن العلاج وما دونته كتب الرازي وغيره. ومنهم من كان يعتمد على الرقية والتعاويذ وحمل الأحجبة، فكانت منازل أشباه المشايخ تقوم بهذه الأعمال، وتكتب لكل من الأوجاع أحجبة (تعويذات)، بل كانت الناس من المرضى تسلك الطريق إلى أضرحة المشايخ والأولياء ومزارات الصالحين. فمن هذا القبيل كان أهل المريض يأخذون مريضهم إلى ضريح أبي الدرداء (الشيخ محمد البزار) ويقومون بفرش أرضيته بالبسط والوسائد والفرش التي ينام عليها المريض، ويجتمع حوله الأهل والخلّان. كان هذا في وقت لم تُبنَ حجرة واحدة على هضبة الطابيات... وكان الضريح المشار إليه غرفة واحدة يقع القبر في ناحية

من شمالها، وتحيطه فسحة سماوية فيها بعض أشجار المشمش البري، بجانب من الحائط، إلى أن قام أحد المحسنين في فترة ما، فألحق بهذا الضريح غرفة أخرى. وكان لا يسمح لأحد بالبقاء فيه أكثر من فترة محدودة، لأن أهل مريض آخر يودون إنزال مريضهم للشفاء... وبعد أن تنتهي الأيام القصيرة، ويتم شفاء المريض، يحضر أهل المريض الطعام ويقيمون وليمة يدعون لها الأصدقاء والأحباب ويقرؤون لذلك مولداً. وغالباً ما يختتم بالضرب على الدربكة والغناء من النساء. وأما من كان يسمى بالخضر، فكانت الناس تذهب لقراءة الفاتحة عنده ودهن الوجه من تراب قبره، فكان الإنسان يلتقط حجرة من الأرض ويضرب بها على موضع من القبر أعدت خصيصاً لذلك، فيتفتت ذرات ناعمة من الحجرة، يقوم المرء بالتقاط ما يعلق بأصابعه ويمسح بها وجهه تبركاً أو استشفاءً ، ومنهم من كان يربط قطعاً من الأسمال البالية بأغصان الخروبة الكبيرة التي تظلل مقبرة الخضر استجلاباً للزرق أو لقضاء مصلحة ما. هذه أمثلة قصيرة جداً، وإلاَّ لو أردنا أن نذكر أعمالاً غير ذلك لشرحنا صفحات كثيرة... وهنا كمزار الأمير مرموسة في حي القلعة / مسجد الشيخ سالم / كان أيضاً قد اشتهر بشفاء نوع معين من المرض، (ومزار الحاج قاسم) الذي يقع إلى شرق ثانوية المالكي... ومزار البطرني حيث كانت تذهب الناس للاستشفاء وللتبرك به. وإلى جنوبه على بعد مئة متر مزار الشيخ سعيد (مسجد الشعراني)، ومزار الأمير يعقوب الذي يقع إلى شرق جامع الميناء على بعد مئة متر تقريباً، فكان الناس من المسلمين والمسيحيين توقد له الشموع في طاقة (نافذة صغيرة) أعدت خصيصاً في خدمته، وحينما كانت إدارة المرفأ تقوم ببعض الإنشاءات ظهرت عين ماء قريب من القبر أخذت تنساب مياهها إلى البحر.

- منتزه ساحة السارنجة:

هو المكان الممتد من أول شمال الأرض التي تقوم عليها أرض بيت الشيخ خميس بحيث يسير على خط مستقيم محاذياً حائط مسجد الفتاحي إلى جنوب الشارع، ويتجه شرقاً إلى قبل جهة قوس النصر بمسافة ما، ثم يتجه ثانيةً نحو الشمال بحيث تدخل فيه كافة أبنية حمّام القيشاني الذي هدم عام/ ١٩٧٥/ حينما قامت البلدية بشق الطريق الفرعي. ومن ثم يسير الخط مرةً ثانيةً بمحاذاة بستان بيت الشيخ خميس غرباً.هذه هي ساحة السارنجة بالضبط، التي يقوم عليها الآن مقهى الطابوشة ودار الحمّامي الكبرى ودار السيد شريتح... بالإضافة إلى بيت غريب ودار الحاج عبد الوهاب فتاحي التي هدمت في شق الشارع...

نقول: كان ذلك منذ مئتي سنة، أي منذ نحو عام ١٧٧٥م، كان يقوم حمّام يدعى بحمّام العوافي تحت دار الفتاحي بالتمام، ويمتد شمالاً بستان الشيخ خميس حيث كانت الناعورة تدور على البئر والذي ما زال إلى الآن من عام ١٩٧٨، ويتجه شرقاً فيشمل بعض الأقبية التي أقيمت على أنقاض هذا الحمّام، منها منزل شريتح الذي كان يسكنه رجل اسمه سيف الدين، وبشماله كانت تقع حديقة صغيرة. وكذلك إلى شرقه، وهي حديقة بيت غريب كان فيها نخلتان... وكان لهذا الحمّام شهرة واسعة في ذلك الزمان إذ كان يؤمه يومياً القوم من نساء في الصباح، ورجال في المساء... وكانت الحدائق الغنّاء تشمل ذلك المكان الذي حددناه آنفاً، وفيها أشجار الفاكهة والليمون والآبار، فكانت الناس تأتي للنزهة في هذه الحدائق وكانت توجد قطعة أرض خاصة للأولاد في أيام الأعياد تقام عليها /المراجيح/ المسماة في وقتنا الزنازيق... ولم تكن القِليبات قد ابتكرت بعد... وكانت هذه الأمكنة تزدحم بالباعة. ومن الناس من يرغب في دخول الحمّام المذكور في وقت لم تكن الحمامات في المنازل. وتمضي الأيام هكذا حتى حدث ما

قلب هذا الحمّام الذي اشتهر بحسن بنائه وأقبيته وخلواته المتسعة ونظافته، ذلك أن امرأة اختفت منه في ظروف غامضة لم يعثر لها على أثر... مما أربك أصحابه وأغضب أهل الفتاة... وبذلك انتشرت الإشاعات في المدينة، وتضاربت الأقوال حول قصة الفتاة المختفية. ودخلتها الأساطير بأن الجان قد سرقوها، والناس في ذلك الوقت أقرب إلى تصديق هذا القول لإيمانهم بذلك واعتقادهم بذلك اعتقاداً راسخاً. إذن فالحمّام مسكون، وفيه الجان... وهذا الأمر الأخير هو الذي ألحق الإفلاس بأصحابه حينما امتنع حتى القليل من الناس من دخوله... فهجره الناس مما اضطر أصحابه إلى تركه وإقفاله. واحتاج بعضهم للحجارة فاشترى جانباً من هذه الأقبية، وقام بنقل حجارتها، واستغنى عن القسم الآخر، بحيث أصبح فيما بعد مكاناً لطرح الأتربة والزبالة حتى صار شبه هضبة، كما بيعت تلك الأراضي من المنتزهات ،وأقيم فيما بعد مقهى بجانب تلك التلة على مصطبة عام ١٩٠٠ واندثر في عام ١٩٤٣... وتمضي الأيام والسنون وأخبار حادثة عن ذلك المكان يتناقلها الناس جيلاً بعد جيل حتى عام ١٩٧٥ حينما قامت البلدية بشق شارع السيوفي شمالاً مجتازةً غرب ساحة السارنجة إلى حير الذبائح / حيث ملتقى الطابيات... فقد كشف الزمان بعد مئتي عام كما أسلفنا القول وتناقله الآباء عن الأجداد... وفيما كان العمال يقومون بهدم منزل سيف الدين الواقع غرب آل غريب من الساحة ظهر تحت المنزل المذكور قبو كبير جداً شاهده كثير من الناس. وهذا القبو باتجاه الأقبية الأخرى للحمام المشار إليه... وحينما قام السيد محمد ساعي بإزالة التلة التي أسلفنا القول عنها ثم قام بواسطة العمال بالنزول إلى أعماق الأرض من أجل حفر الأساس وعثر على الآتي:

١ - على بئر جيدة مبنية بحجارة بيضاء ورأى الماء مع غيره لا يبعد فوقه كثيراً... وكان على فوهتها حجر كبير...

٢- أخرج العمال بعض الأباريق الفخارية بحالة جيدة...

٣- شاهد الناس أثناء الحفر في أعماق الأرض قطعاً فخارية، منها ما هو كبير الحجم، ومنها ما هو صغير. وهذه القطع فخار أباريق وقدور وغير ذلك...

٤- عثر على حوض كبير منقور يحتاج إلى رافعة لرفعه.

٥- وهو الأهم - عثر على قبوين وجدران هذين القبوين ممتازة جداً في الشكل والبناء... كما عثر على قبو آخر ممتد تحت الطريق. وهذا الذي ذكرناه كله يقع جنوب حديقة الشيخ خميس التي كانت في الأصل تابعةً لهذا الحمَّام كما يقع إلى شرق زاوية الفتاحي... إذا أمعنا النظر هنا تبين لنا صدق ما تناقلته الأجيال بعضها عن بعض... طيلة مئتي سنة أي منذ عام ١٧٧٥.

هناك مزار الشيخ شهاب وبعض الشهداء في زقاق ضيق جنوب الجامعة في حي الصليبية، وكان يجاور هذا الضريح زاويةٌ صغيرةٌ تقام فيها حلقات الذكر في الماضي، ثم تحول إلى مسجد بعد ذلك دُعِيَ باسم مسجد الطيِّب. ولكن من المفهوم تاريخياً أن الذي بناه هو رجل مغربي منذ أكثر من خمسمئة سنة... وقد اندثرت هذه الزاوية وبني على أنقاضها منزل... وفي تلك المنطقة مزار الشيخ مرزوق، كان له مساحة كبيرة من الأرض. وحينما شقت البلدية / شارع القوتلي / عمر بن الخطاب، وحفروا القبر المشار إليه حتى ينقلوا رفاته إلى غرفة بنيت خصيصاً له لم يجدوا شيئاً... وموضع هذا المزار سابقاً على وجه التحديد أمام مولد الكهرباء الفرعي في منتصف الشارع. وهناك غرب قنطرة الدريبة وجنوب جامع أرسلان في حي الشحادين يقع ضريح لعدد من الشهداء. وبالإضافة إلى ذلك نقول: إنه قد اشتهر أن أحد فرسان الملك الظاهر المسمى عيسى الجماهيري قد دفن إلى غرب جامع أرسلان

في حي الشحادين على بعد مسافة قصيرة، وعلى وجه التحديد في دار علي هارون التي هدمت بشق الطريق... وهناك شهداء آخرون دفنوا في الجامع الكبير إلى الجهة اليسرى من داخل الجامع بين غرفتين إلى غرب الأولى وشمال الثانية، إذ كانتا في الماضي عبارة عن مكان لتحفيظ القرآن والقراءة والكتابة... ولا تخلو شاهدة من شواهد هذه المقابر من طلب قراءة الفاتحة لأصحابها. وتاريخ هذه المدافن غير معلوم على وجه التحديد. ومما هو جدير بالذكر أن كنيسة كانت إلى جانب مسجد الأسمر المدعو بمسجد البرهاني، وهو عبارة عن زاوية صغيرة وأمامها فسحة سماوية وتينة عسيلية وأخرى بريغلية، وقد اندثرت وأصبحت من ضمن الشارع. وموضعها قرب الحلونجي حمادة التي كانت دكانه أصلاً زقاقاً مسقوفاً ينفذ الناس منه إلى الطرق القديمة في ذلك الزمان شرقاً وغرباً.

نعود إلى موضوع الكنيسة فنقول: إن هذه كنيسة للموارنة كانت قد اندثرت من قرون طويلة، وأقيمت على أنقاضها الأقبية، وربما جزء منها أرض طاحونة خان الشام التي أقيم على أرضها الآن منشرة، وجزء آخر استعمل مصبغة، أما الباقي فقد ذهب في أثناء شق الشارع.. وحينما أخذ الأهلون بحفر الخنادق للبناء ظهرت آثار منها أبنية قديمة مندثرة وعقود متآكلة وأعمدة بازلتية... وحدثنا بعض المسنين أن جانباً من هذه الكنيسة يقع قرب منزل الأزهري الذي يقوم على تلة ترابية من الأرض...

دور السينما في اللاذقية

كانت هناك ثلاثة أمكنة لعرض الأفلام الصامتة التي كانت تسمى بالأفلام الخرساء، وذلك في العشرينات من القرن الماضي، أي نحو سنة / ١٩٢٥/ .

المكان الأول كان في الخان شمال دار عبد القادر شريتح، وقد هدم فيما بعد، عند توسيع سوق الداية، وأقيم مكانه حالياً معجنات وفرن الصوفي. والمكان الثاني هو سينما صيفية مكشوفة في نفس مكان سينما أوغاريت حالياً. أما المكان الثالث فهو مسرح شناتا الكبير على البحر مقابل الكازينو، حيث أقامت أم كلثوم حفلاتها الغنائية في اللاذقية يوم١٧ -١٨ أيلول عام ١٩٣١، وفي ٢٢ حزيران ١٩٣٣.

ولقد تبارى شعراء اللاذقية في ذلك الوقت في نظم قصائدهم في مدح أم كلثوم بمناسبة إحياء حفلاتها هذه. ونقلاً عن شاهد عيان لهذه الحفلة، وهو الحاج أحمد حجارين الذي كان من الحضور كما روى ذلك للمهندس خالد كروم، وكان معه من الحضور في إحدى هذه الحفلات مصطفى عبد الكريم وزكي فوز وفايز إلياس: في بداية الحفل بعد صمت الحضور نهض مصطفى عبد الكريم، وقال موجهاً كلامه لأم كلثوم: هذان استغاباك مشيراً إلى زميليه (فايز إلياس وزكي فوز). أحدهما قال : لؤلؤة. والثاني قال: ملاك في ثوب إنسان.

وقال فايز إلياس :

أم كلثـوم والأسـماع مـصغية	إلى النـسيم لأرواح وأبـدان
إذا شدت تنصت الدنيا لنغمتها	في مصر في الشام في أنحاء لبنان
عصفورة في جنان الخلد قد هبطت	أهـلاً بعـصفورة في ثـوب إنسان

ويبدو أن جميع القصائد الأخرى التي قالها شعراء اللاذقية في حفلاتها الثلاث صحيحة. وقد جرى خلاف بين أم كلثوم والمصور هوان (المصور الوحيد في ذلك الزمان في اللاذقية)حول تصوير حفلتها، فهوان طلب ١٥ قرشاً عن كل صورة وأم كلثوم لم تدفع إلا ١٠ قروش فقط، ولم يتوصلوا إلى اتفاق بينهما. وهكذا لم نحصل على صور لذكرى هذا الحدث الفريد.

ثم أقيمت بعد ذلك عشر دور للسينما منها :

- سينما الجلاء التي كانت في الطابق الثاني فوق محلات بيع الأحذية مقابل دار البلدية القديمة أي شعبة الحزب الثالثة حالياً. وكانت صالة وحيدة صغيرة تعرض أفلاماً متنوعة، منها (مدينة تحت الأرض – أفلام طرزان – ابن الصحراء لبدر لاما – وأفلام كاوبوي).

- سينما روكسي (سينما دنيا لاحقاً) تقع بالقرب من سينما الجلاء، وكان يملكها الثري المعروف صاحب الأعمال الخيرية والذكرى العطرة الطيبة آلان بسكليدس، وكانت تعرض أفلاماً متنوعة. وهي أول سينما ذات طابقين صالة ولوج. وقد هدمت سينما دنيا وسينما الجلاء، وأقيم مكانهما حالياً بناء ضخم متعدد الطوابق.

- سينما إمبير (سينما فاروق سابقاً، ثم سينما اللاذقية لاحقاً) تقع في شارع هنانو. وقد أزيلت وأقيم مكانها محلات تجارية عديدة منها مرطبات

جعارة حالياً. كانت تعرض أفلاماً مثل (فلاش غوردن – أفلام غنائية لفريد الأطرش ومحمد عبد الوهاب). وخصصت حفلة خاصة صباحية للنساء فقط من كل أسبوع، أي قبل الظهيرة من كل يوم جمعة.

- سينما الأمير (سينما الكندي حالياً) وكانت مستثمرةً من قبل طيّب الذكر آلان بسكليدس أيضاً.

- سينما الأهرام تقع مقابل سينما الكندي في بناية نعمة. أغلقت منذ سنوات.

- سينما شهرزاد (سينما دمشق لاحقاً) تقع على تقاطع شارع الأمير كان مع شارع سعادة، وهي مغلقة.

- سينما الزهراء (مقهى المنتدى لاحقاً) تقع بجانب حديقة مديرية المتاحف والآثار. تهدمت حالياً ليشيد مكانها مبنى متعدد الطوابق.

- سينما الحمراء تقع في شارع الأمير كان مقابل مطعم الدار، أقيم مكانها بناء للمعالجة الليزرية.

- سينما ليلى، وهي صيفية في مسرح شناتا الكبير.

- سينما أوغاريت تقع في ساحة البازار. وهي آخر سينما في اللاذقية أقيمت عام ١٩٧٠.

- سينما الشرق تقع في شارع القلعة جانب محلات بوش للمفاتيح. أزيلت، ويشغل مكانها حالياً محلات الشرق للموبيليا.

في نهاية الأربعينات بعد الاستقلال عن فرنسا وبداية الخمسينات كانت المشاعر الوطنية لا تزال في أوجها، وكانت هنالك مراسم لحضور السينما لا نزال نذكر البعض منها:

يبدأ العرض بالنشيد العربي السوري (حماة الديار) مع رفرفة العلم السوري على الشاشة مترافقاً مع النشيد الوطني، فيقف جميع الحضور باستعداد واحترام وصمت شامل تحيةً للعلم. كان بعض الحضور يردد النشيد الوطني بصوت منخفض مترافقاً مع النشيد. وبعد ختام النشيد يصفق الحاضرون بحرارة للعلم والنشيد الوطني ويجلسون في مقاعدهم ليبدأ عرض الفيلم.

وقد اندثرت هذه المراسم تدريجياً مع الأيام.

كان سعر الدخول إلى السينما في الصالة أي الطابق الأرضي بنصف ليرة سورية، وكان معظم زوار الصالة من الشباب وطلاب المدارس المفلسين والكادحين، وسعر الدخول إلى اللوج كان بثلاثة أرباع الليرة السورية، ولا يستطيع كل أحد دفع ثمن هذه التذكرة، لذلك كان اللوج هو المكان المفضل للعائلات ولذوي الدخل الجيد. وكان هناك موظف لاستقبال الزوار وإرشادهم إلى المقاعد المخصصة لهم، فكان شعور الداخل إلى اللوج كشعور الداخل لحفلة باليه أو أوبرا في مسرح البلشوي الشهير (أي المسرح الكبير في موسكو).

وفي بعض دور السينما خلال فترة الاستراحة كان بائع البزر أو الكازوز البارد أيام الصيف يتجول بين الحاضرين عارضاً بضاعته عليهم. وكان شريط الأخبار المصورة يعرض قبل بداية الفيلم، مثل زيارة مسؤول عربي بلباسه الوطني التقليدي إلى أحد المنتجعات الألمانية للاستشفاء، أو أخبار الممثلات الشهيرات عند حضورهن لمهرجانات السينما. فكانت هذه الأخبار المصورة عبارة عن نافذة صغيرة على أحداث العالم قبل دخول التلفزيون للبلد. ومن بين أنشطة هذه الدور استضافة سينما الأمير لملكة جمال العالم أثناء

مرورها في اللاذقية خلال رحلتها حول العالم، واستضافة سينما أوغاريت لجين مانسون عام ١٩٧٩ حين أحيت حفلتها هناك. فكانت دور السينما على مدى أكثر من نصف قرن المتنفس الوحيد لفئة كبيرة من الأهالي.

السينما الوحيدة المتبقية التي تعمل حتى الآن، وتتوقف من فترة إلى أخرى، هي سينما الكندي (الأمير سابقاً) رغم قلة المرتادين لها وخسارتها التي تتحملها الدولة، لولا ذلك لتوقفت عن العمل مثل أخواتها منذ فترة طويلة. والسبب في انحسار ارتياد الزوار للسينما هو دخول التلفزيون إلى كل بيت حيث يستطيع المواطن مشاهدة أي فيلم، وهو متمدد باسترخاء ويحتسي كوباً من الشاي موفراً بذلك ثمن التذكرة. ولولا جمال عرض الأفلام المجسمة على الشاشة الكبيرة والتوزيع الجيد للصوت والموسيقا المرافقة لما حضر أحد لدور السينما.

المسرح الروماني في اللاذقية



اللاذقية – الطابيات – صورة فوتوغرافية لبقايا مسرح اللاذقية ١٩٣٦

المصدر: بحث جان سوفاجيه (١٩٠١-١٩٥٠)

عن مسرح اللاذقية وهو بحث لم يكتمل

المسرح الروماني هو عنصر أساسي للمدينة الرومانية. وقد أقيم في اللاذقية على المنحدر الغربي لمرتفع الطابيات. واختيار هذا المكان يدل على نظرة هندسية ذكية لمصمم مدينة اللاذقية.

وقد وفّر هذا المنحدر متانة البناء، وخفف من نفقات إنشائه. وقد بقيت آثاره ظاهرة للعيان حتى بداية القرن الواحد والعشرين. وكانت بقايا

المدرج عبارة عن أحجار صغيرة منحوتة متوضعة بانتظام، كما نرى بقاياها عند تكبير هذه الصورة.

وقد قامت البلدية منذ بضع سنوات بصب جدار إسمنتي على جانب الطريق مما أخفى معالم المدرج المتبقية نهائياً.

عند شق هذا الطريق الترابي في المنحدر نحو عام (١٩٣٠) هدم الجزء المتبقي من المدرج الذي كان مغطى بالأتربة والأعشاب، وأزيلت أحجاره.

وربما استخدمت في بناء الغرفتين الظاهرتين على يمين الصورة.

وقد بقي هذا الطريق ترابياً دون تزفيت حتى عام ١٩٥٣.

على يسار الصورة يظهر منزل على التلة، وهو بيت بشير وكيل والحاج محمد وكيل، وقد أزيل في الستينات من القرن الماضي.

وتظهر البساتين والأشجار المترامية الأطراف على مدى النظر حتى الشاطئ الجنوبي للبحر.

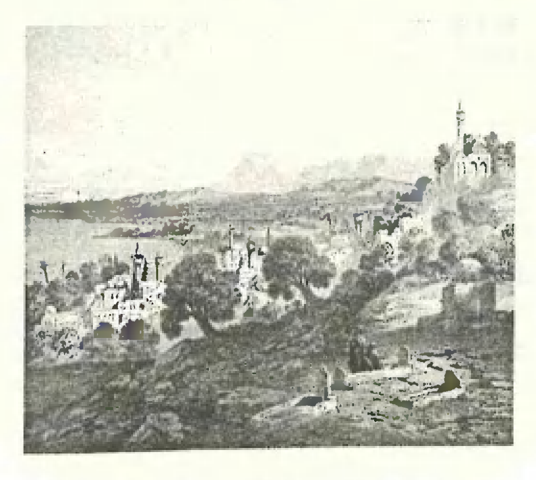
وأسفل المنحدر كان المسرح الذي أصبح فيما بعد ملعباً لكرة القدم لأولاد الحي.

وأصبح الجزء المتبقي منه حديقة عامة في الوقت الراهن.

والحاج مروان علبي هو صاحب معامل نسيج ومصبغة الخيوط القطنية في حلب وكفر حمرا. وقد التقيت معه آخر مرة عام (٢٠١٥) في محل ابن العلبي، حيث كانت جلسته المفضلة، واستعرضنا آنذاك ذكريات الماضي ومسار حياته حتى فقدانه لمعامله في حلب.

والجلسات معه ممتعة وشيقة للغاية، وتستحق أن تسجل.

كان طول الوقت يتحدث معي بابتسامته الحلوة التي لا تفارقه وبلهجته التي فيها المزيج من الابتسامة والحسرة والعتب.



منظر عام لمدينة اللاذقية عام ١٨٥٠م.

من أعمال الرسام أوجين (١٨٠٩-١٨٨٩).EUJENE

مأخوذة من موقع مقهى الطابيات.

هذه اللوحة معبرة عن الواقع الفعلي في تلك الفترة.

يظهر في بداية اللوحة ضريح أبي الدرداء الذي لا يزال قائماً حتى الآن.

أما القبور الظاهرة قبل الضريح فقد أحيطت لاحقاً بسور حجري، وسميت بمقبرة الخضر.

وكانت مرتعاً للعب أولاد الحي، فكثيراً ما كنا نقطف من شجرة الخرنوب التي كانت تظلل القبور ونتبارك بأحد القبور، بمسح وجوهنا بالبودرة البيضاء المنحوتة من حجر القبر مقلدين الأكبر سناً.

وبقيت هذه المقبرة حتى نهاية خمسينيات القرن العشرين، وأزيلت عند تعبيد طريق الطابيات.

ويظهر في اللوحة جامع المغربي على هضبة القلعة.

أما الأشجار الظاهرة في بداية اللوحة فكانت أشجار الزيتون المعمرة والنبق وغيرها.

وقد بقيت هذه الأشجار حتى نهاية أربعينات القرن الماضي، وأزيلت عند شق طريق شارع بور سعيد. وتظهر في اللوحة أيضاً البساتين التي تفصل المدينة عن منطقة ميناء اللاذقية، ولم تكن هذه الأماكن مأهولة، كما وصفها الكتاب المعاصرون لتلك المرحلة.

مخططات أحياء اللاذقية
حتى عام ١٩٥٠

أنشأ اللاذقية عام ٣٠٠ ق.م السلوقيون على أنقاض قرية صغيرة. والمخطط العام لمدينة اللاذقية القديمة وطرقاتها المتبقية قد وضعه اليونان والرومان، فازدانت بالأعمدة والتيجان الكورنثية والشوارع المستقيمة المتقاطعة والدور المزخرفة.

المنازل القديمة المنتشرة على جوانب هذه الطرقات إما من العصر المملوكي أو العثماني أو الانتداب الفرنسي، لأن المنازل الأقدم للمدينة قبل هذه العهود قد تهدمت بفعل الزلازل. وجرت المياه إلى اللاذقية من نبع عين عيدو وعين العشرة عبر أنفاق وكباري وقنوات فخارية وفتحات تفتيش ضمن مسار طويل نحو ٥٠كم. ولكن الزلازل التي أصابت اللاذقية، وعددها ١٧ زلزالاً (حسب دراسة مستقلة) أدت إلى تهدم الأعمدة والبيوت وانطمرت مع الزمن تحت الأرض ولا تزال.

وانخفض عدد سكان اللاذقية حتى وصل عام ١٧٨٣ إلى ما بين (٤٠٠٠-٥٠٠٠) نسمة، حسب رؤية الرحالة الفرنسي فولني.

وحسب إحصائيات رسمية كان عدد سكان اللاذقية كالآتي:

عام ١٨٦٦ نحو ١١،٢٠٠ نسمة، عام ١٩٢٥ نحو ٢١،٠٠٠ نسمة، عام ١٩٥٣ نحو ٣٨،٠٠٠ نسمة.

وكانت شوارع اللاذقية وأزقتها القديمة آنذاك مخصصة لمرور المشاة والدواب والعربات، فلم يتعد عرضها (٣،٥-٥،٥) متر. لقد وضعت أول مخططات لأحياء اللاذقية مع ذكر أرقام عقاراتها عام ١٩٣٣م وضعها الفرنسيون. وقد اعتمدنا على قسم بسيط منها، والقسم الأكبر من هذه المخططات مفقود. ولم تكن الشوارع التي شُقّت أيام فرنسا عريضةً بما فيه الكفاية، فلم تسمح إلا بمرور سيارتين متقابلتين بحرية كل ساعة تقريباً. ولم يتجاوز عدد السيارات الخاصة في مدينة اللاذقية الخمسين سيارة حتى عام ١٩٥٠. وزاد العدد بعد الانتعاش الاقتصادي الذي عم سورية بين عامي (١٩٥٢-١٩٥٨). فبلغ عدد السيارات الخاصة المسجلة في محافظة اللاذقية آنذاك (التي تشمل طرطوس) عام ١٩٥٨ فقط ٧٤١ سيارة خاصة.

وقد وضعت منصة في منتصف تقاطع شارع هنانو مع شارع فرنسا ليقف عليها شرطي المرور لتنظيم حركة السيارات مقلدين بذلك الدول المتقدمة. فكان شرطي المرور ينظم السير بإشارة من يديه وبالصفارة أيضاً عندما تمر سيارة واحدة كل ساعة من الزمن. وسميت هذه المنصة بنقطة البوليس. ولا تزال التسمية سارية حتى الآن. وكانت تعدّ أشهر نقطة علام في اللاذقية.كانت البيوت تتألف من طابق واحد أو طابقين في القليل من الحالات مع فسحة سماوية.واعتمد السكان في حياتهم على مياه الأمطار المجمعة، وعلى مياه الآبار للشرب والسقاية بواسطة النواعير. ولم تُمدّد شبكة المياه إلى أحياء اللاذقية إلا عام ١٩٢٤ حين توزعت مضخات يدوية في كل حي من أحياء المدينة.

أما الكهرباء فلم تدخل إلا إلى بيت الحاكم الفرنسي وعدد قليل من بيوت العائلات الميسورة، وذلك عام ١٩٢٣.

لقد أشرنا في المخططات إلى بعض المواقع الموجودة والمندثرة من حمامات وجوامع وكنائس وقناطر وخانات ودور سينما وأماكن سكنية معروفة. وقد تداخلت المنشآت التي بنيت بعد عام ١٩٥٠ مع ما قبلها من أماكن ومنشآت.

لقد كان من المفضل ترك المدينة القديمة بشوارعها وحاراتها وقناطرها بعد تنظيفها وإبقائها كمتاحف للأجيال كما هو معمول به في كل مدن العالم، والتوسع حول المدينة بحرية وبلا حدود. لقد هدم نحو ٩٠٪ من اللاذقية القديمة.

أثناء دراستي في بداية الستينات نظم المعهد رحلة سياحية وثقافية للطلاب، فقطعنا مسافة (١٥٠) كم خارج موسكو إلى أن وصلنا إلى مزرعة، وهناك أشاروا لنا إلى جذع شجرة مقطوعة يبدو عليها القدم، ترتفع عن سطح الأرض نحو (٥٠) سم، وقالوا لنا: على هذا الجذع كان يجلس الكاتب الروسي ليف نيكولا يفتش تولستوي (١٨٢٨-١٩١٠) عندما كان يكتب رائعته الشهيرة (الحرب والسلم). وزرنا بعدها المنزل الخشبي الكبير للكاتب في مزرعته ياسنيا بوليانا (السهل المنشرح). ومكتبه وأدوات المنزل التي كان يستخدمها. وقد تحول منزل الكاتب إلى متحف يؤمه الزوار من جميع أنحاء العالم.

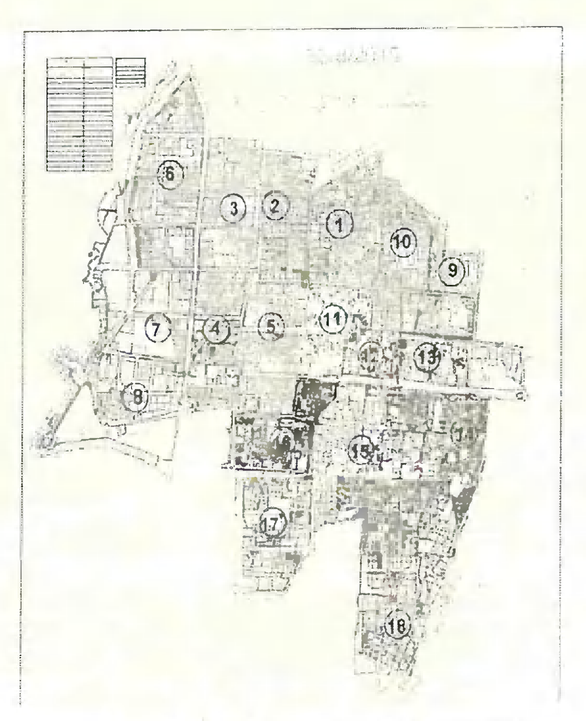
وفي رحلاتي العديدة إلى اليونان تجولت في مناطقها القديمة بطرقاتها وزواريبها التي تشبه إلى حد كبير بلادنا - فبلاد البحر المتوسط متشابهة في أبنيتها ومدنها القديمة. وقد حولوا هذه المناطق بعد تنظيفها إلى مناطق رائعة من دكاكين صغيرة لبيع التذكارات والهدايا أو تقديم خدمات مثل مطاعم بسيطة لشيِّ اللحوم وتقديمها للزبائن على مقاعد على رصيف الشارع. فتشعر كأن الحياة قد عادت مرة ثانية من الماضي القريب. لقد اجتهدنا قدر المستطاع

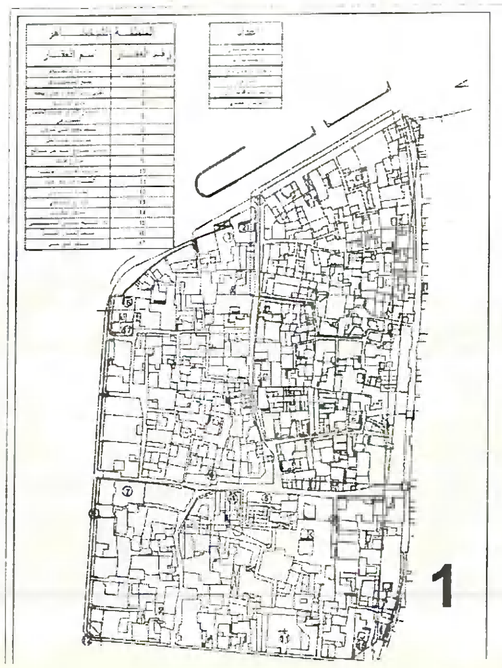
لإعطاء فكرة موجزة عن أحياء اللاذقية في هذه الحقبة. وكأي عمل لا يخلو من نقص غير مقصود.

هذا الموضوع يمكن أن يستكمل ويصلح أن يكون مشروع تخرج لطلاب الهندسة تحت عنوان اللاذقية حتى منتصف القرن العشرين (١٩٥٠).

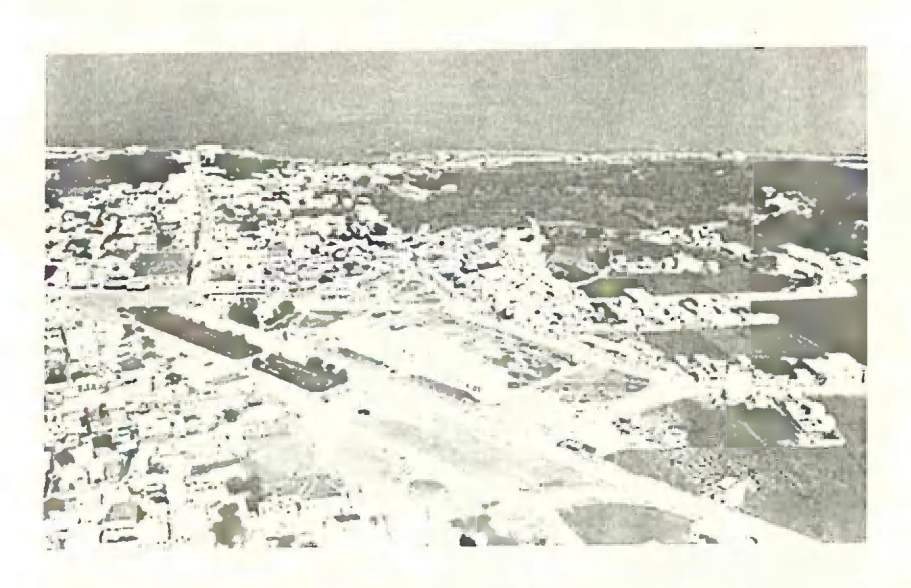
لقد أسهم في إنجاز هذه المخططات مشكورين عدد من المهندسين والمهندسات المذكورة أسماؤهم فيها.

ملحق الصور





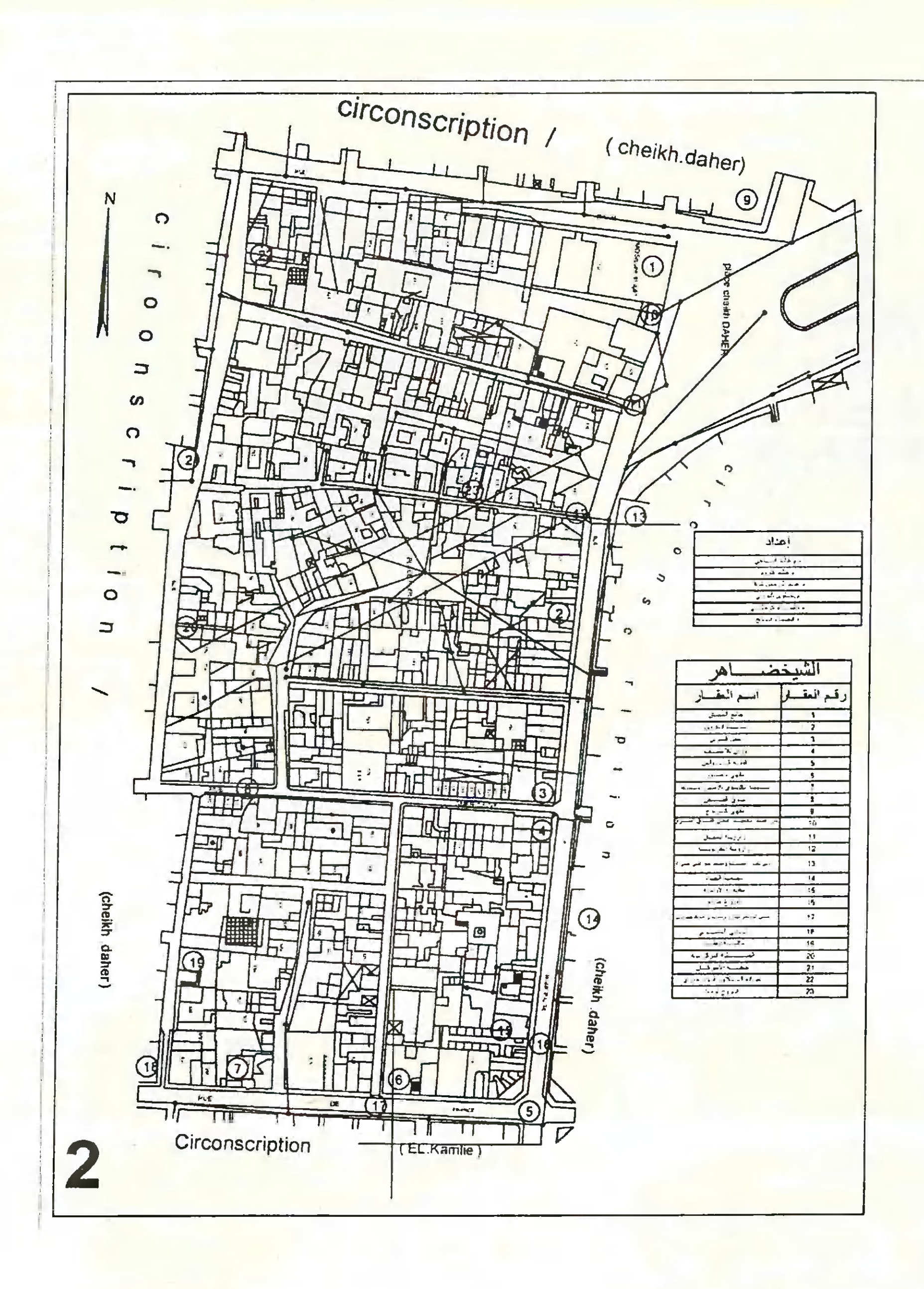
اللاذقية ١٩٤٥م وتظهر مدرسة جول جمال... التجهيز سابقاً



منطقة الشيخ ضاهر
وتظهر أيضاً بساتين مارتقلا والرمل الشمالي.



ساحة الشيخ ضاهر عام ١٩٣٠م.


circonscription /
(cheikh.daher)
N
ciroonscription /
circonscription
place cheikh DAHER
الشيخضاهر
رقم العقار
اسم العقار
(cheikh. daher)
(cheikh. daher)
2
Circonscription
(EL.Kamlie)

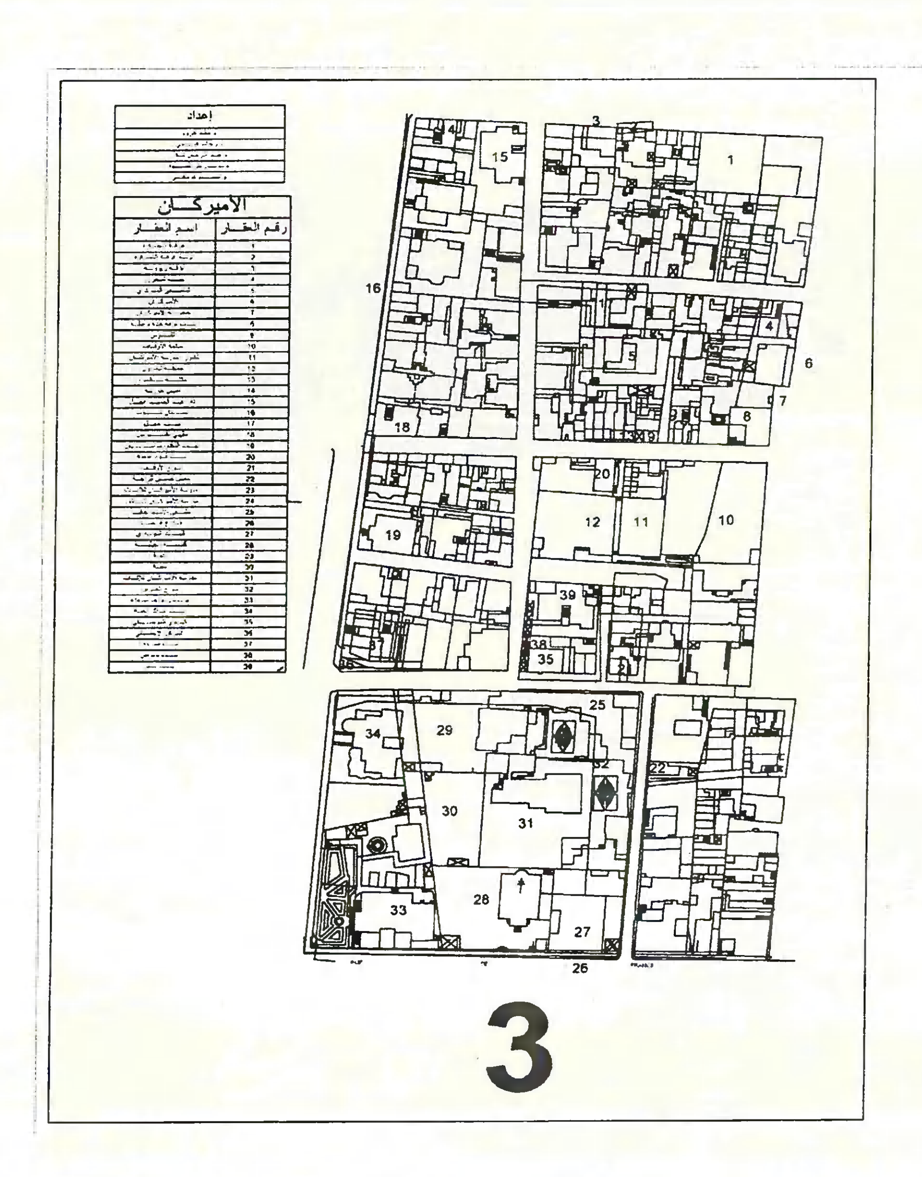


قنطرة بيت الطويل (المندثرة) أقيم أول تلغراف في اللاذقية على مسافة ٢٥ متراً من الجهة اليسرى قبل هذه القنطرة. وعلى نفس المسافة تقريباً من الجهة اليمنى كتّاب (هدى حجار) وفيه تعلمت الأحرف الأولى (مخطط١٥) (رقم٩).



شارع هنانو وتظهر إلى يمين الصورة

دار البلدية القديمة (ثلاثينات القرن العشرين)

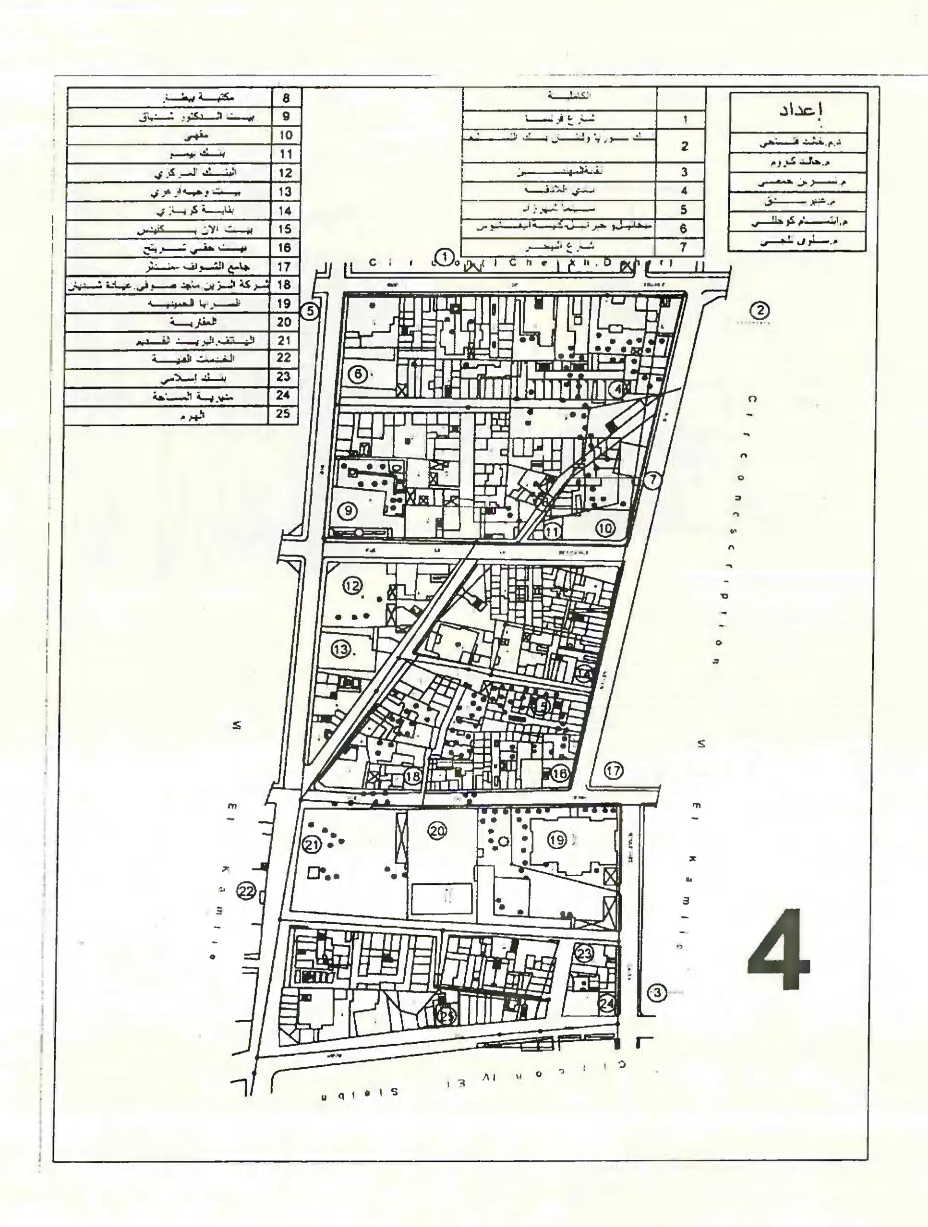

إعداد
الأميركان
رقم العقار
اسم العقار
3



منظر اللاذقية من الميناء وتظهر كنيسة اللاتين عام ١٩٤٥م.



كانت تقام المهرجانات ومباريات كرة القدم على قطعة الأرض، ذات الشكل شبه المنحرف. أقيم عليها لاحقاً مبنى إدارة المرفأ ومديرية الجمارك ويظهر من بعيد مبنى المشفى الوطني.

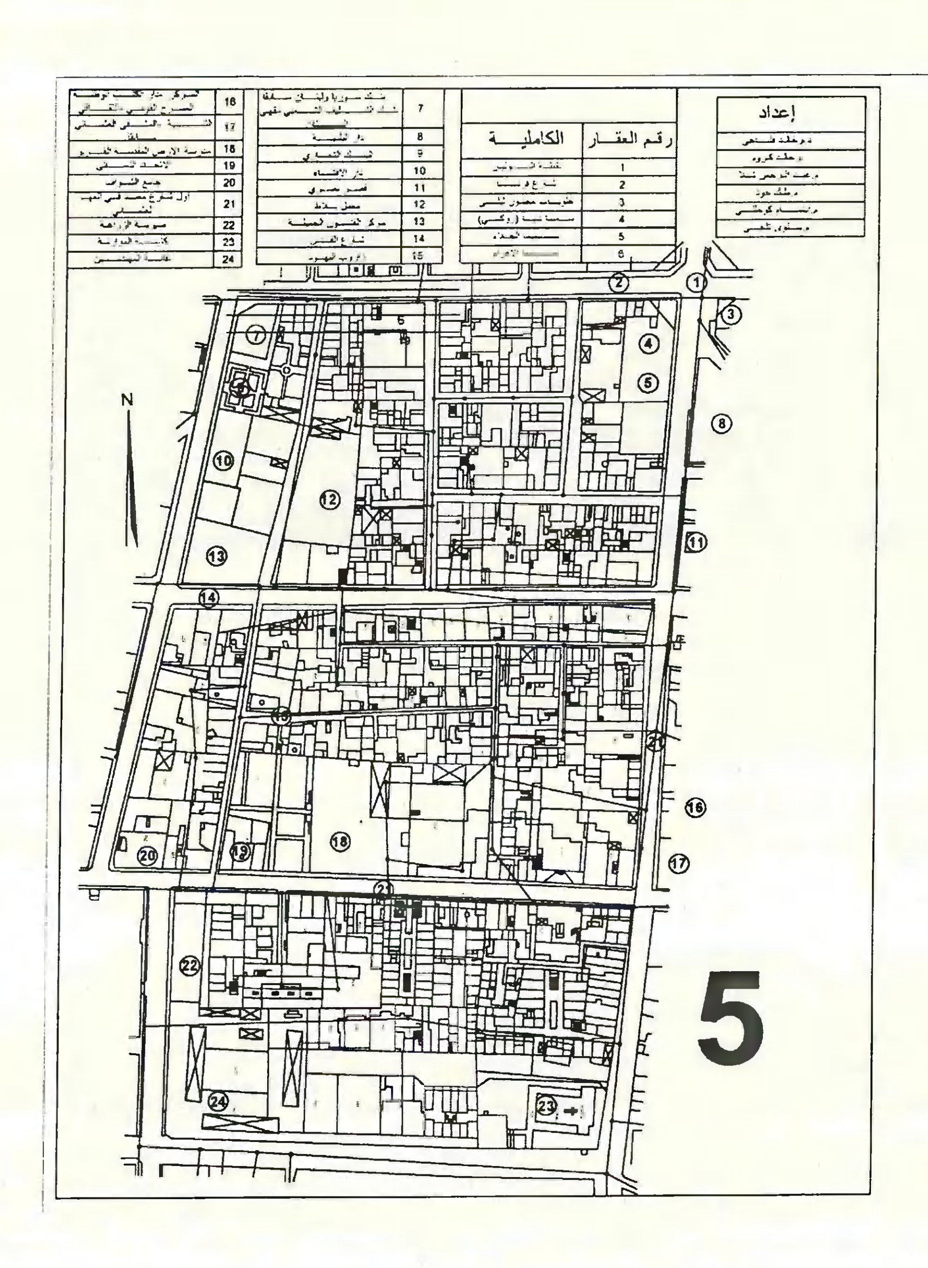

الكاملية
1 شارع فرنسا
2
3 نقابة المهندسين
5 سينما شهرزاد
7 شارع البحر
8 مكتبة
10 مقهى
11 بنك بيمو
12 البنك المركزي
14 بناية
16 بيت حقي
17 جامع
18 شركة
19
20 المغاربة
21 الهاتف البريد القديم
22 الخدمات الفنية
23 بنك إسلامي
24 مديرية المساحة
25 الهرم
إعداد
Circonscription
4



شارع النيجر (مخطط ٤) (رقم٧) وجامع الشوّاف المنذثر (رقم١٧) ومبنى السراي (رقم١٩). عند مبنى السراي كانت تنتهي مسيرة المظاهرات الطلابية لمختلف الأحزاب في الخمسينات آنذاك. ومن شرفة الطابق الثاني تلقى الخطابات النارية على الجماهير المحتشدة أمام المبنى.



شارع كايلا امتداد لشارع النيجر نحو الجنوب (مخطط ٤).


رقم العقار
الكاملية
إعداد
N
5

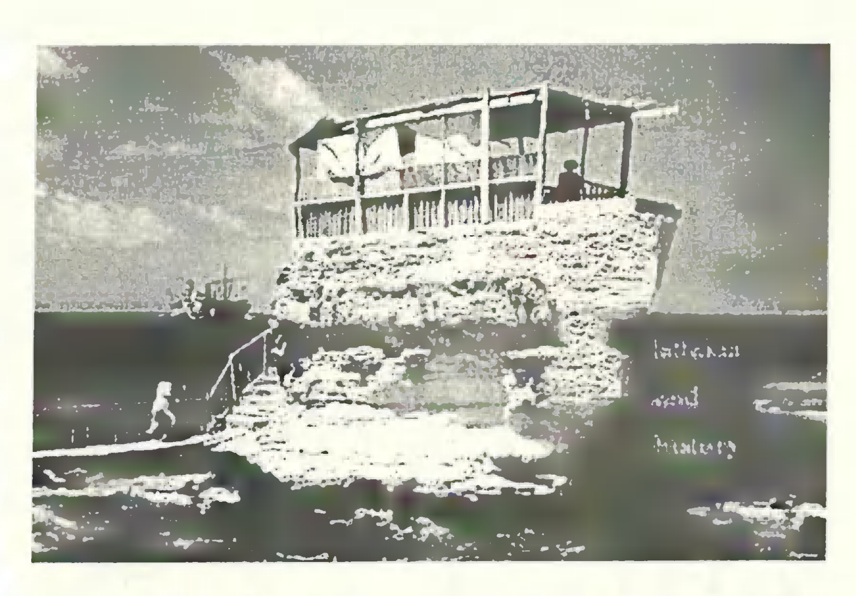


منظر مدينة اللاذقية من هضبة القلعة عام ١٩٤٠ معظم البيوت مؤلفة من طابق واحد أو طابقين، تتميز بأشجار النخيل المثمرة في حدائقها. وتظهر مآذن جامع الجديد وجامع الشوّاف وجامع البازار وكنيسة اللاتين.



منظر مدينة اللاذقية من جامع المغربي ويظهر امتداد شارع فرنسا نحو الغرب باتجاه البحر. وعلى يمين الشارع بيت الخزندار ذو السقف القرميدي (المندثر) ثم مأذنة جامع صوفان وكنيسة مارجرجس وعلى الجهة اليسرى مأذنة الجامع الجديد.

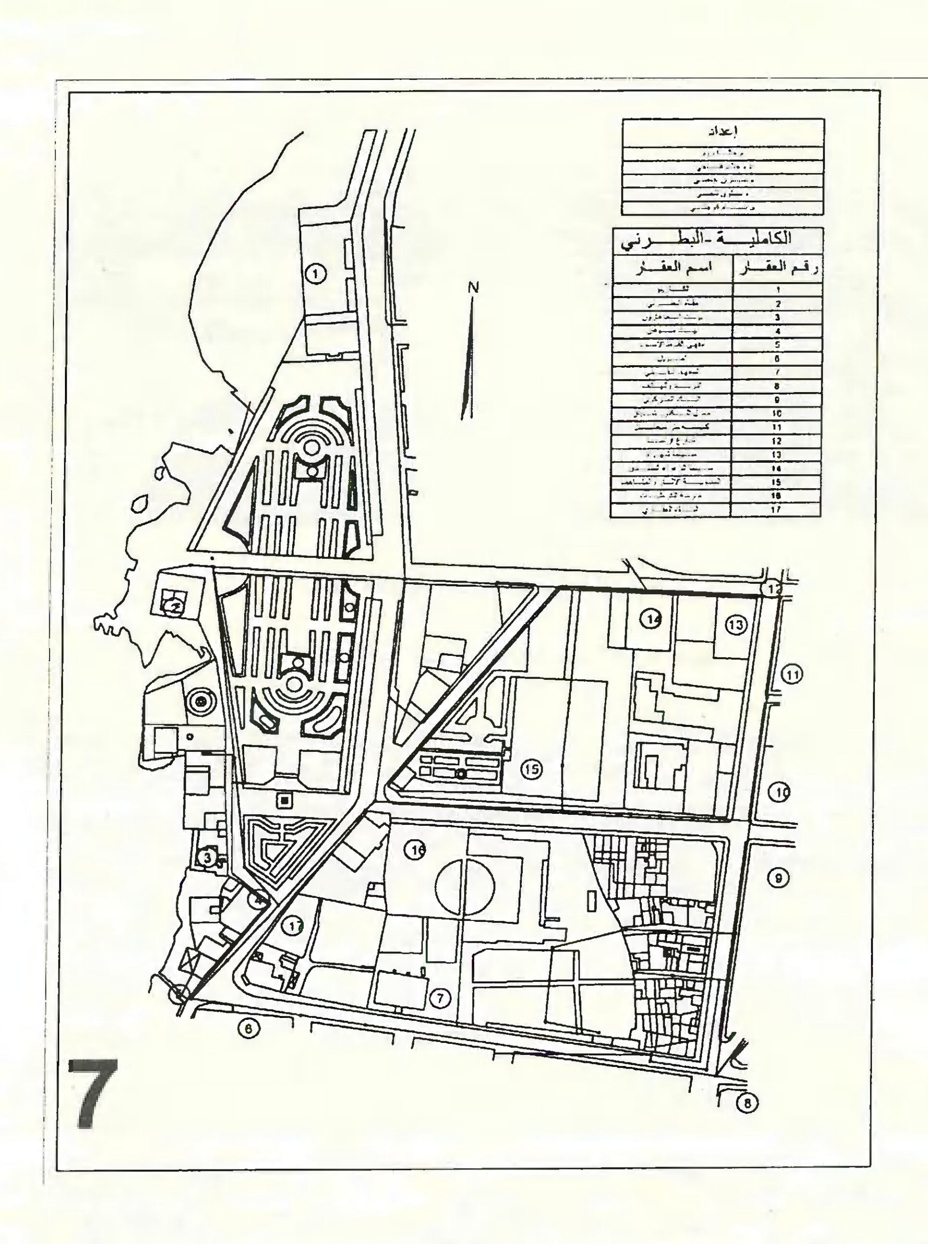

إعداد
الأميركان
رقم العقار
اسم العقار
1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
25
6

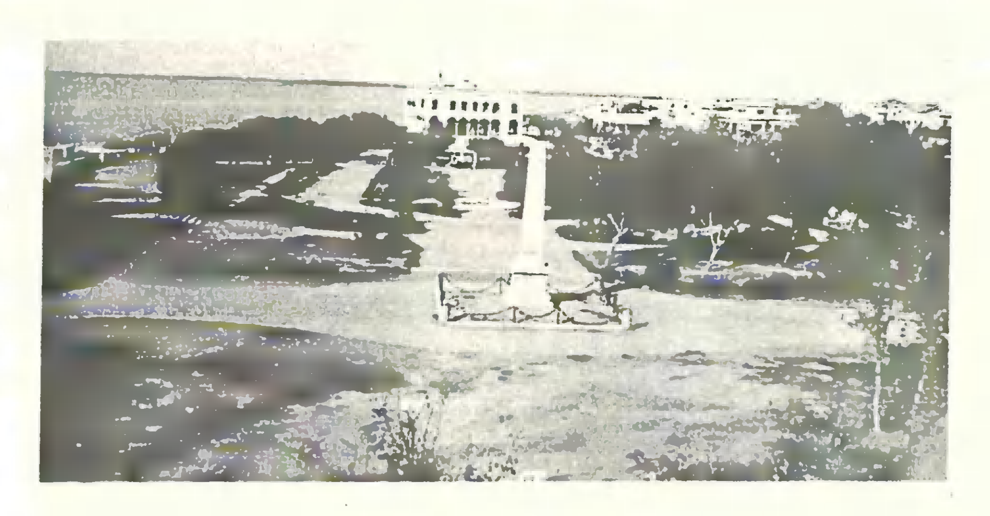


صخرة البطرني. جلسة هادئة وتأملات فيما وراء البحار لروّاد هذا المقهى على صخرة البطرني. تميز شاطئ المدينة بهذه الصخرة كما تميز شاطئ بيروت بصخرة الروشه.



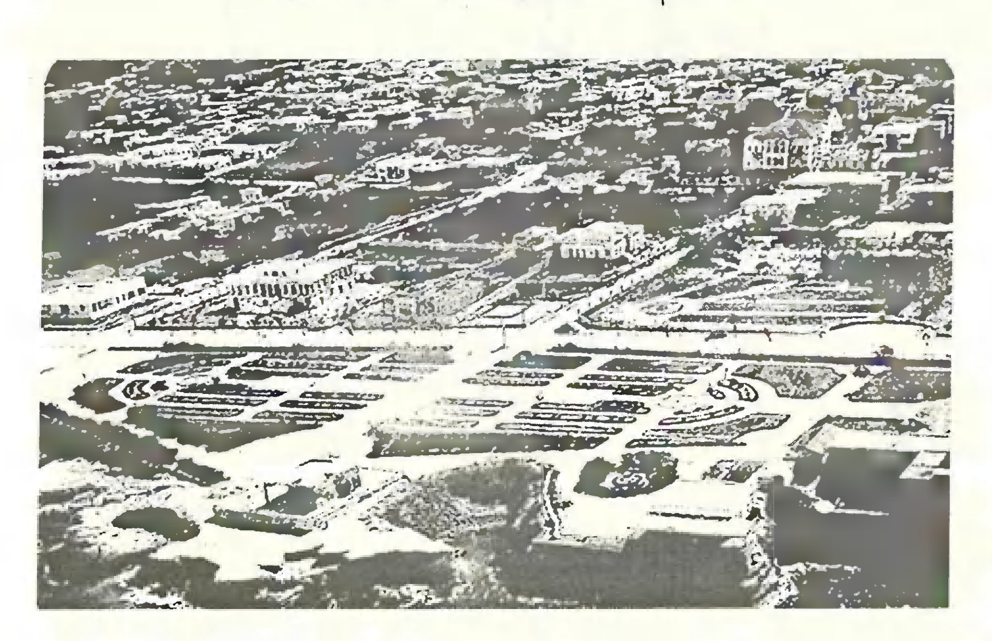
وعلى هذا الشاطئ الصخري لكورنيش اللاذقية كانت مقاهي اللاكبان وفينيسيا ورشو (المندثرة). وأيام الصيف كان الرواد الجالسون على الكراسي بجانب الشاطئ يداعبون بأيديهم مياه البحر وأمواجه اللطيفة الناعمة. كانت قيمة فاتورة العشاء لأربعة أشخاص من سمك (سلطان إبراهيم) الفاخر وتوابعه في مقهى ميشيل رشُو ١٤ ل.س فقط ، في عام ١٩٦٦م.


إعداد
الكاملية -البطرني
رقم العقار
اسم العقار
1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
N
7



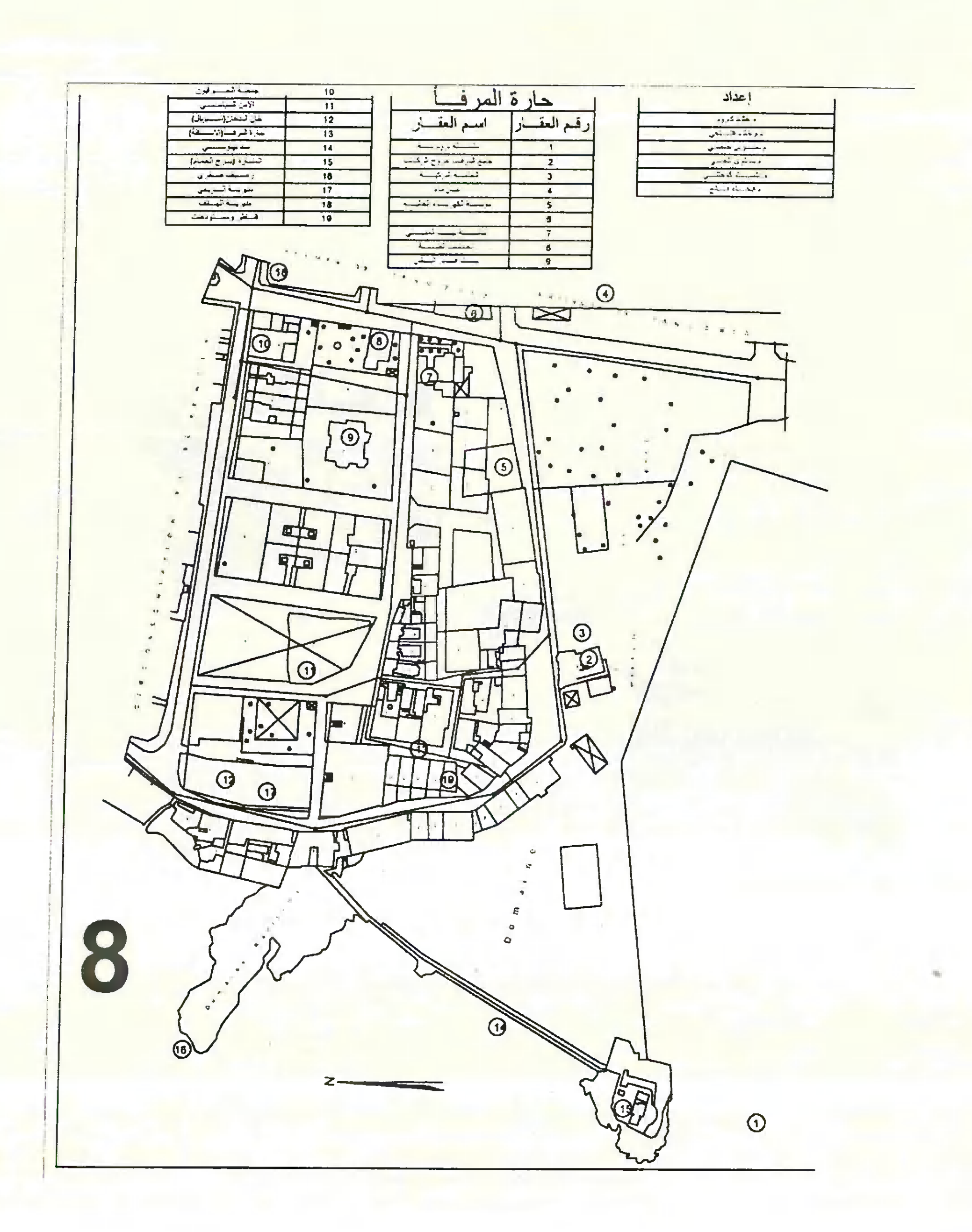
مسلة حديقة البطرني تم نقلها إلى فرنسا.

لا نعلم ماهية النقوش والكتابات المدونة عليها.



صورة جوية لمنشية البطرني

وتظهر البيوت المعروفة آنذاك (مخطط٧).



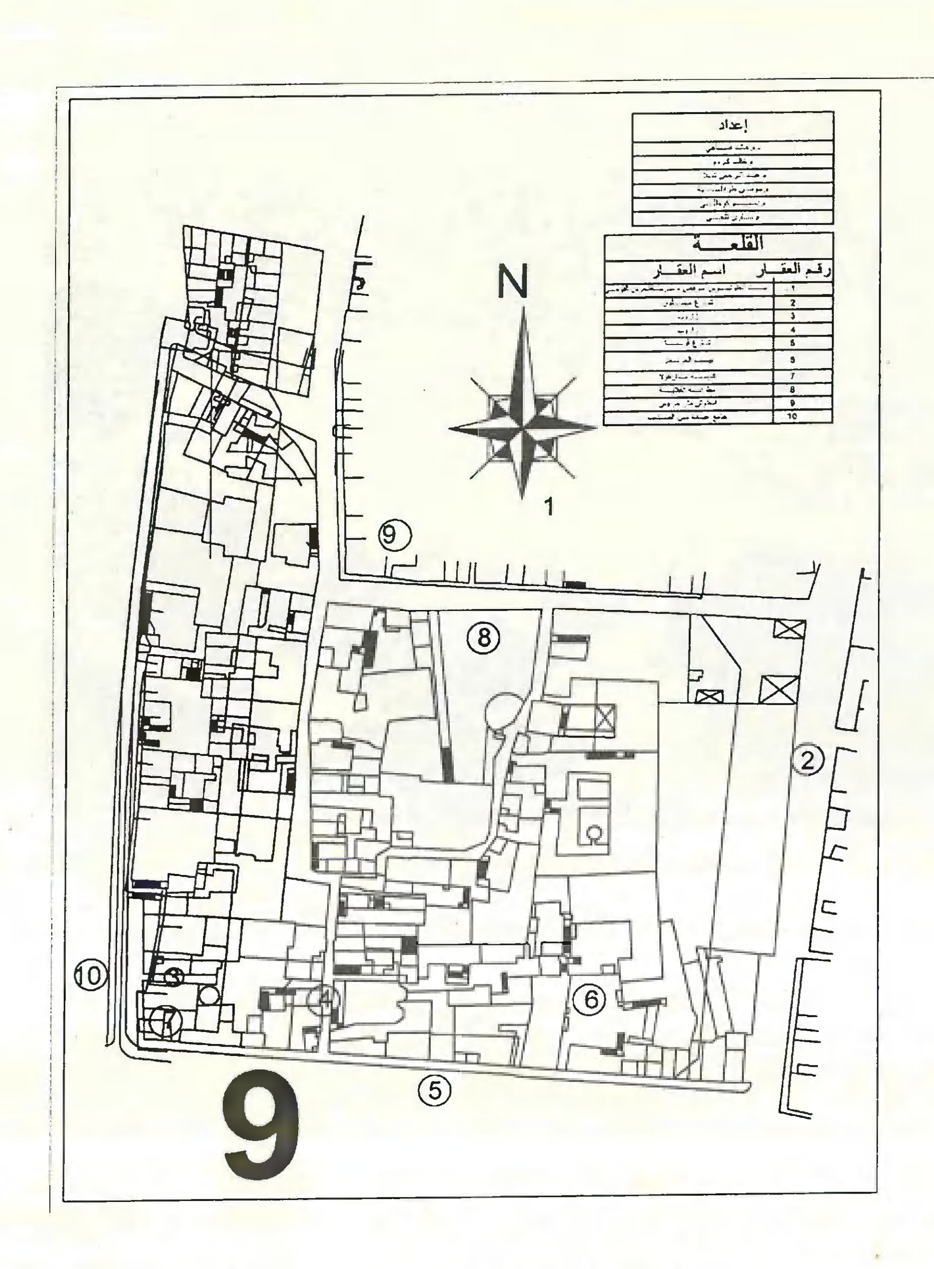
حارة المرفـأ

رقم العقار	اسم العقار
1	[illegible]
2	[illegible]
3	[illegible]
4	[illegible]
5	[illegible]
5	
7	[illegible]
6	[illegible]
9	[illegible]
10	[illegible]
11	[illegible]
12	[illegible]
13	[illegible]
14	[illegible]
15	[illegible]
16	[illegible]
17	[illegible]
18	[illegible]
19	[illegible]

إعداد
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]



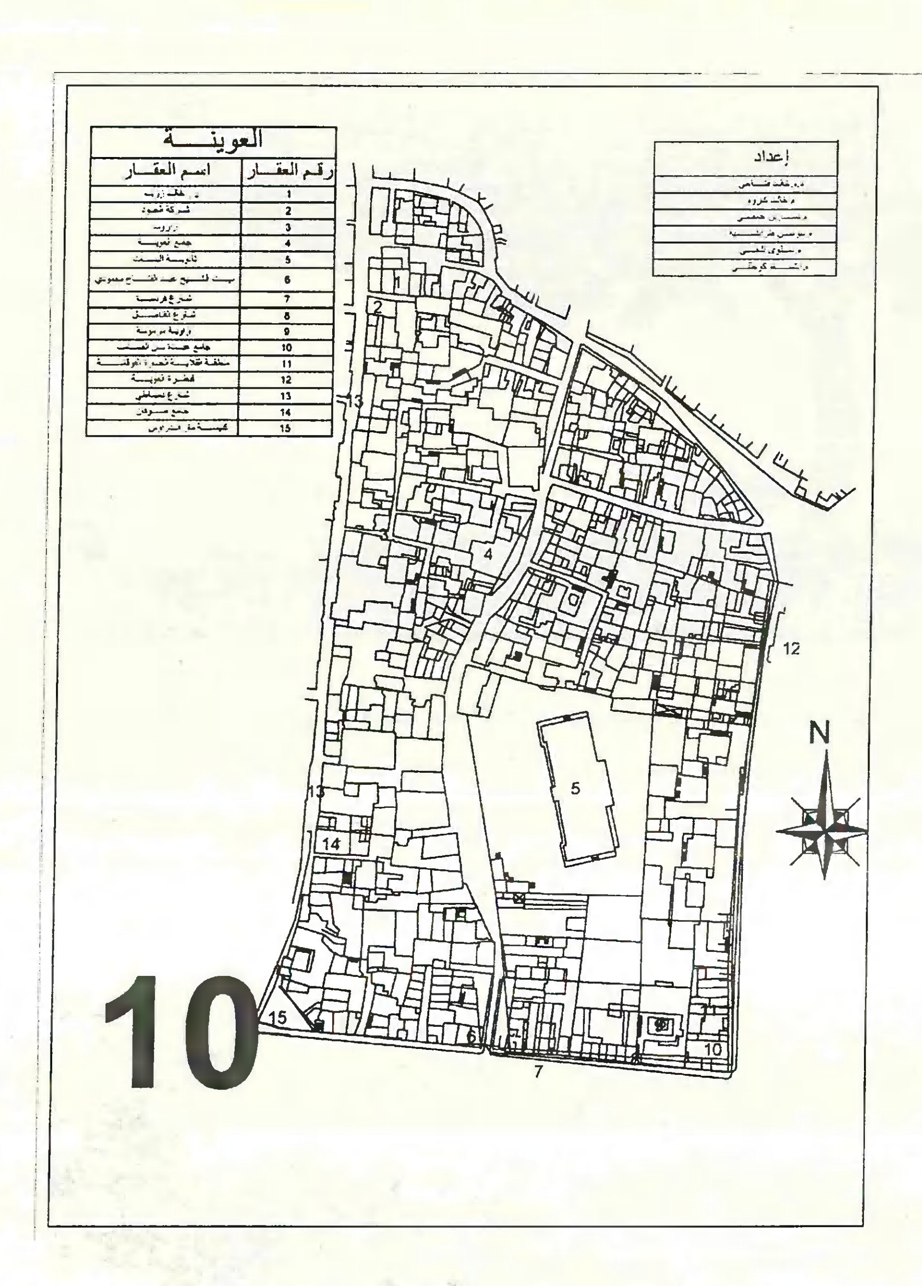
برج الحمام وآثار ما تبقى منه من تأثير زلزال عام (١٢٧٨م – ٦٨٦ هـ)
وكان قلعة حصينة في البحر أقيمت سلسلة حديدية بين هذا البرج
والطرف الآخر لمنع السفن الغريبة من دخول الميناء. كانت السلسلة
عند مدخل الميناء في موقع القارب الشراعي الظاهر في الصورة
(مخطط٨ شكل ١٥).


إعداد
القلعة
رقم العقار
اسم العقار
1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
N
1
9
8
2
10
6
5
9



بانوراما اللاذقية عام ١٩٣٠م تظهر جميع الأمكنة المعروفة في ذلك الوقت.

وكذلك آثار سور اللاذقية عند مدخل الميناء من الجهة الجنوبية.


العوينـــة
اسم العقـــار
رقم العقـــار
1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
إعداد
N
10

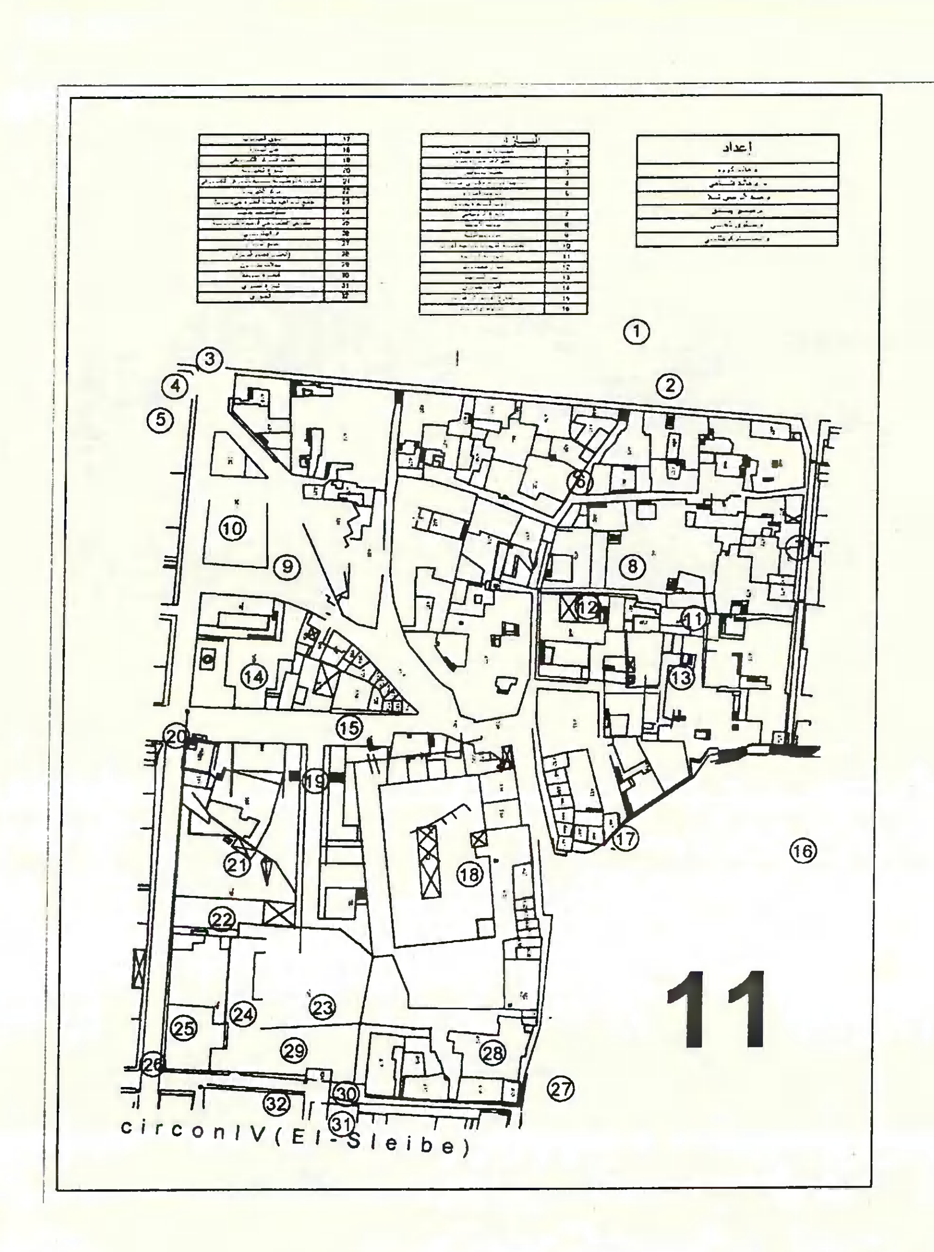


منظر اللاذقية من مقهى الطابيات عام ١٩٥٦م. تحت شجرة الخرنوب هذه وزميلاتها المجاورات كانت هي الأمكنة المفضلة لطلاب الحي في الجلوس تحتها والمذاكرة قبل الامتحانات. يظهر في الصورة جامع غريب والمقبرة الفرنسية المميزة بشجر السرو العالي فيها.

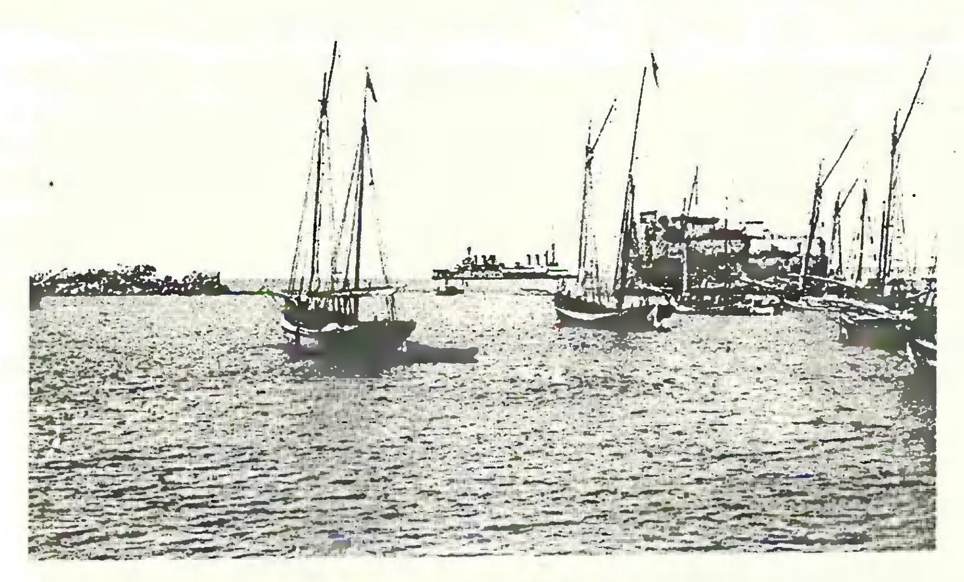


منظر اللاذقية عند شق شارع بور سعيد مخترقاً البساتين.

تظهر أشجار الزيتون المعمرة المتبقية على الجانب الأيمن من الطريق.



إعداد
11
circonIV(El-Sleibe)

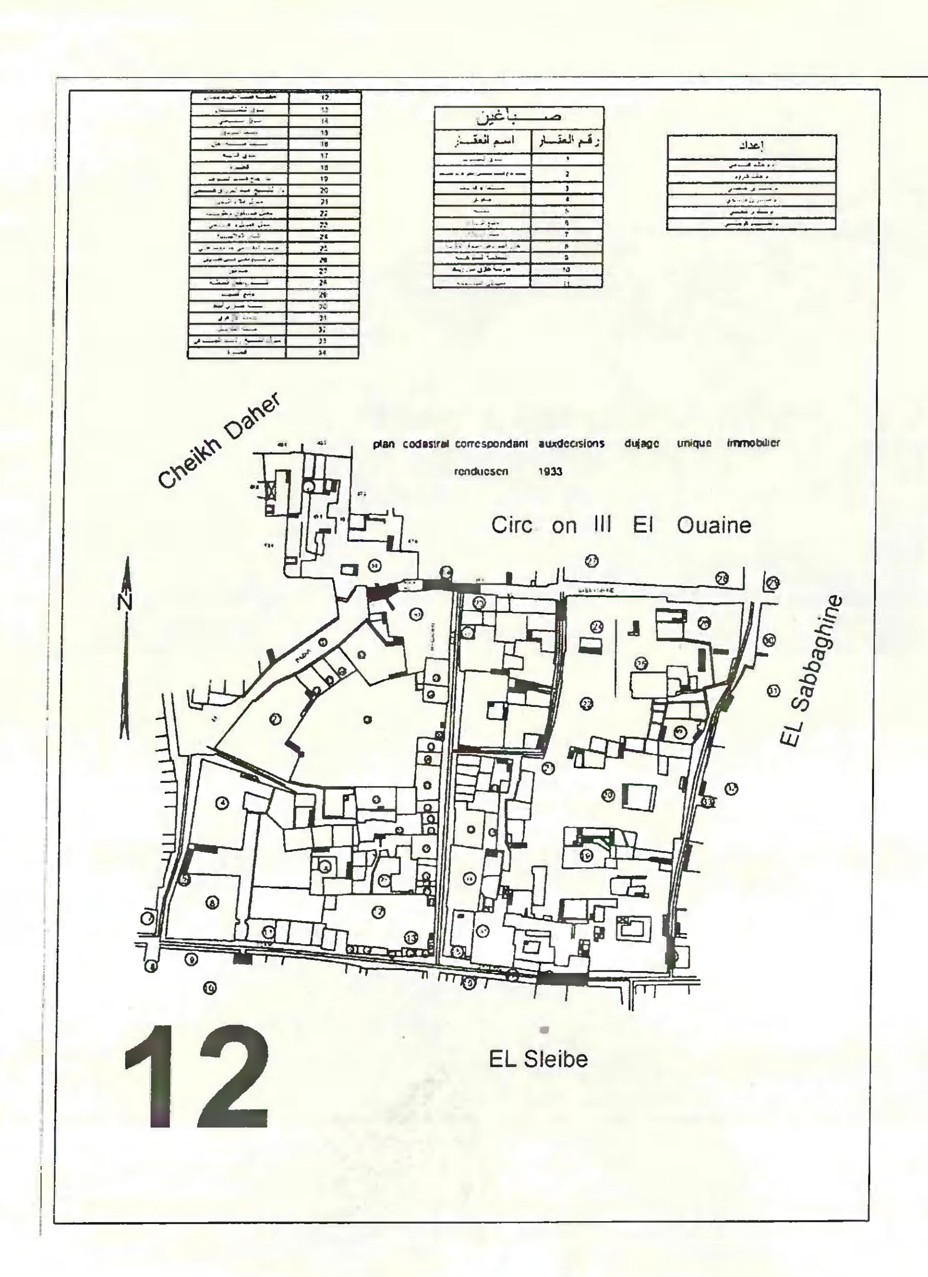


سفن شراعية وتظهر من بعيد

سفينة حربية خارج الميناء عام ١٩٢٣م.



سفن شراعية داخل الميناء.


صـــباغين
رقم العقـــار
اسم العقـــار
إعداد
Cheikh Daher
plan codastral correspondant auxdecisions dujage unique immobilier
renduesen 1933
Circ on III El Ouaine
EL Sabbaghine
EL Sleibe
12

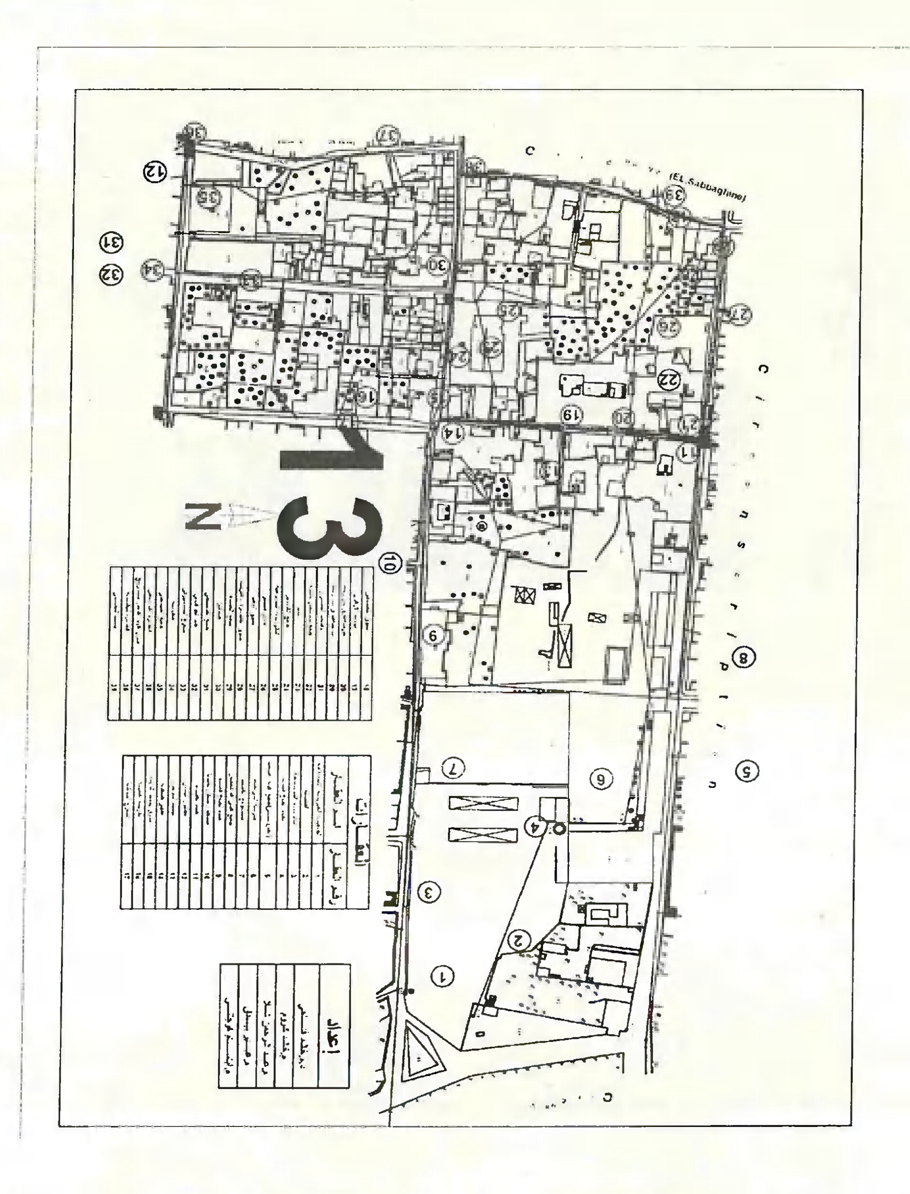


قنطرة في حي الصباغين (مخطط١٢) (رقم٣٤)

من الجهة الشمالية - الجنوبية.

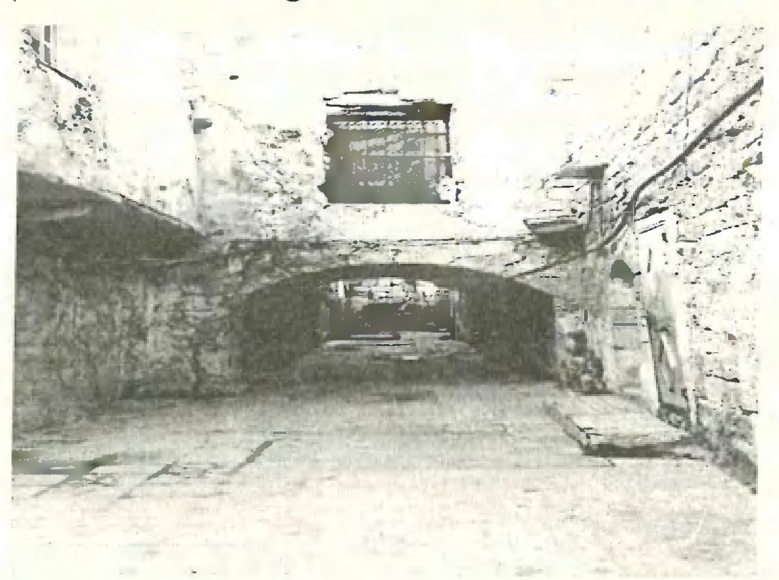


القنطرة نفسها من الجهة الجنوبية الشمالية ، كان يسكن في هذه المنطقة معظم شعراء وأدباء اللاذقية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.



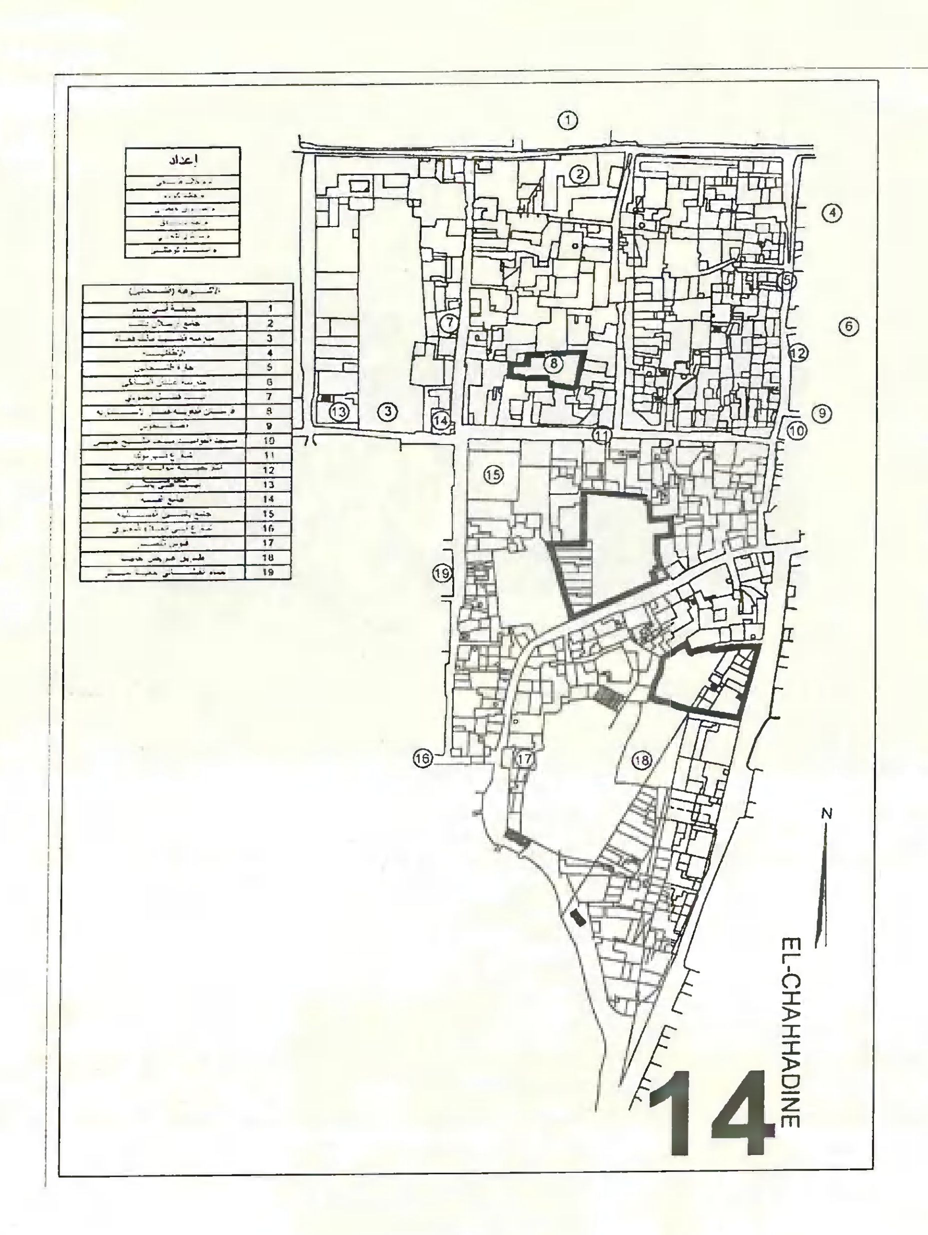


الجامع الكبير في سوق الداية عام ١٩٤٠م. استخدمت نصف الأقواس لدعم جدران الجامع خوفاً من تأثير الزلازل. أزيل نصف القوس هذا لتوسيع الطريق. (مخطط ١٣) (رقم٢٤)



قنطرة عند مدخل بيت الشيخ رشيد الصوفي في حي الصباغين

(مخطط١٢) (رقم٣٣). يصلح هذا البيت الجميل أن يكون مركزاً ثقافياً بعد ترميمه.

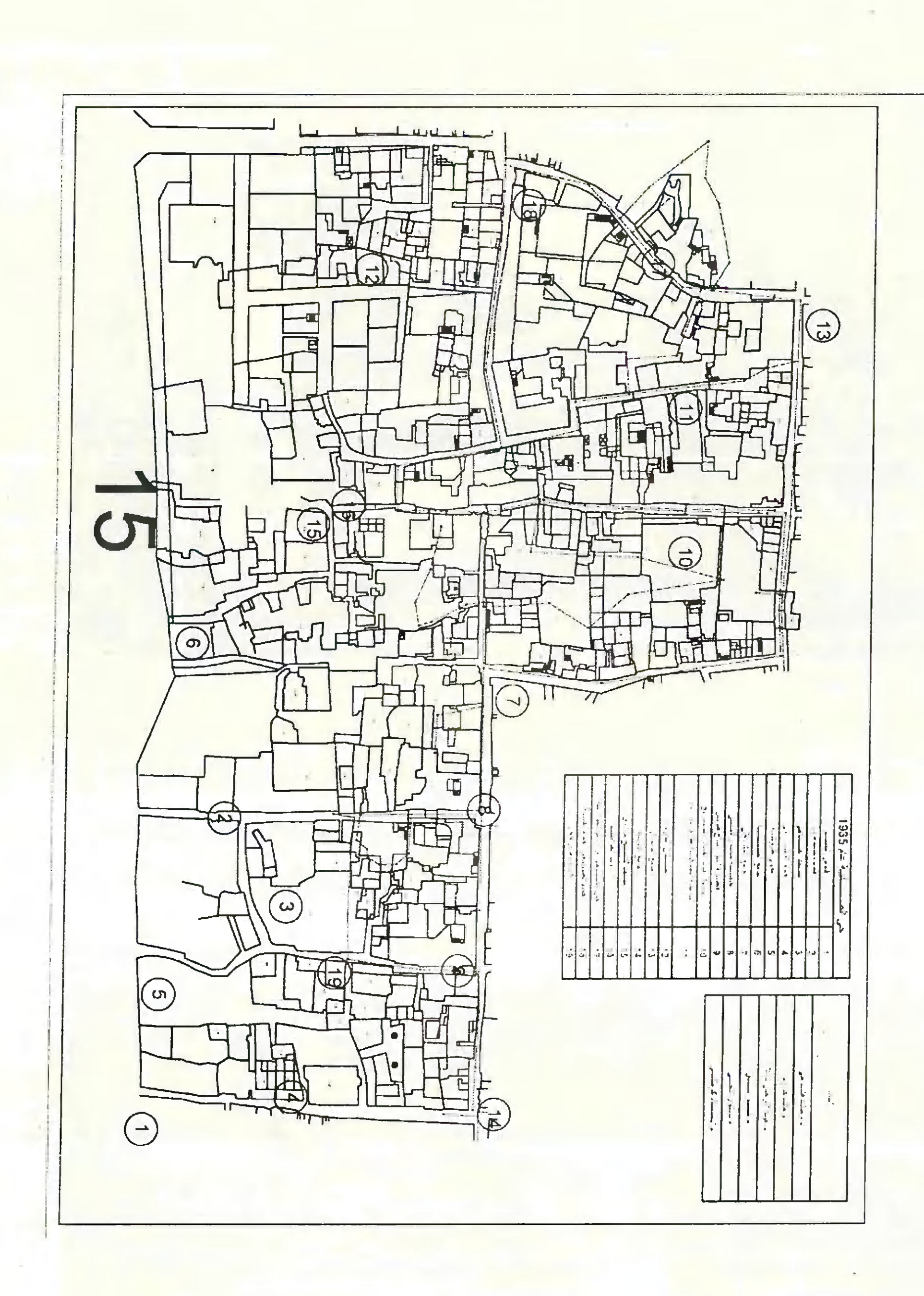

إعداد
N
EL-CHAHHADINE
14



أعمدة باخوس للرسام روجيه عام ١٨٥٠م ويظهر لباس الناس وحركتهم في ذلك الزمان. هناك لوحات أخرى لهذه الأعمدة لرسّامين أجانب آخرين.



صورة تذكارية لجنود الاحتلال الفرنسي عند أعمدة باخوس نحو عام ١٩٤٠م (مخطط ١٤) (رقم ٩).

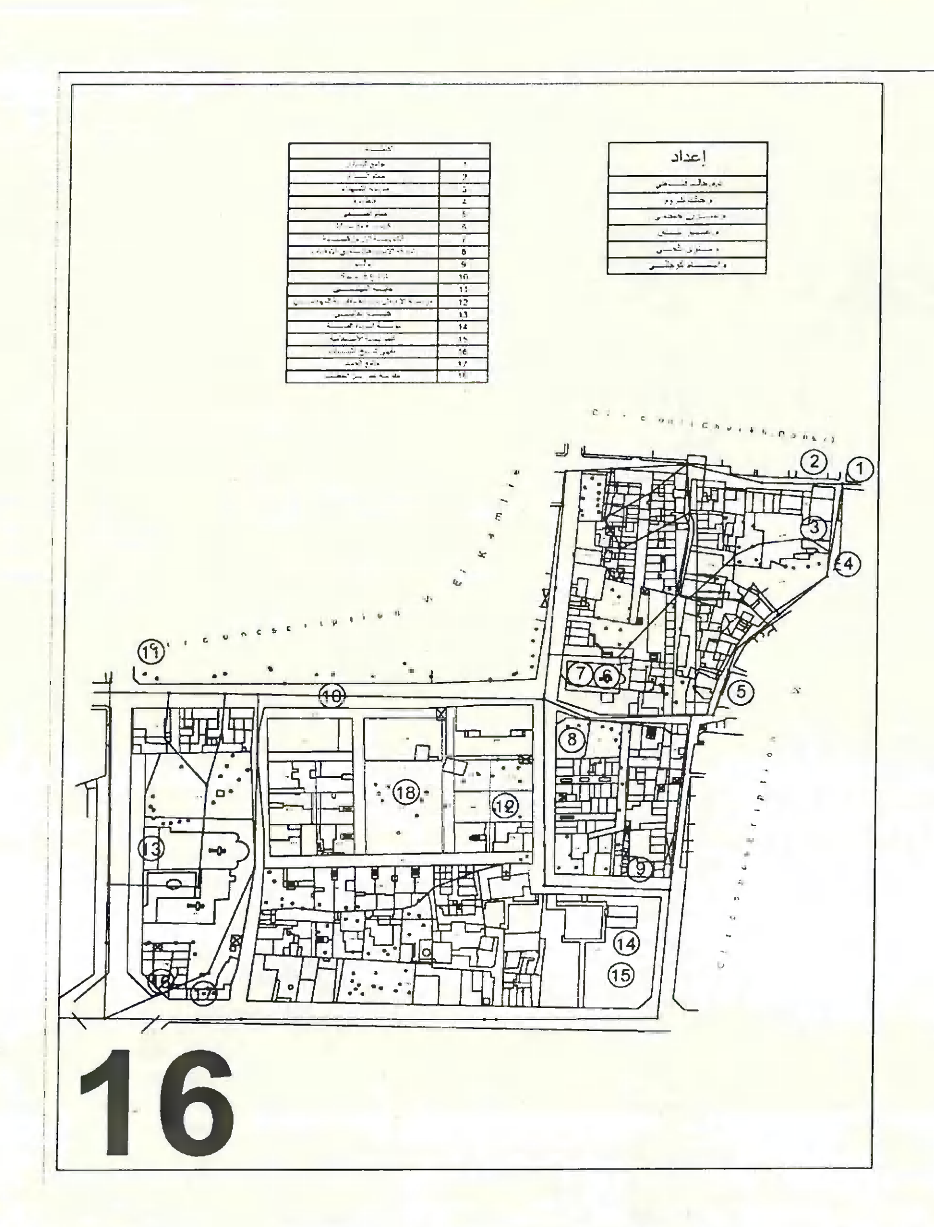


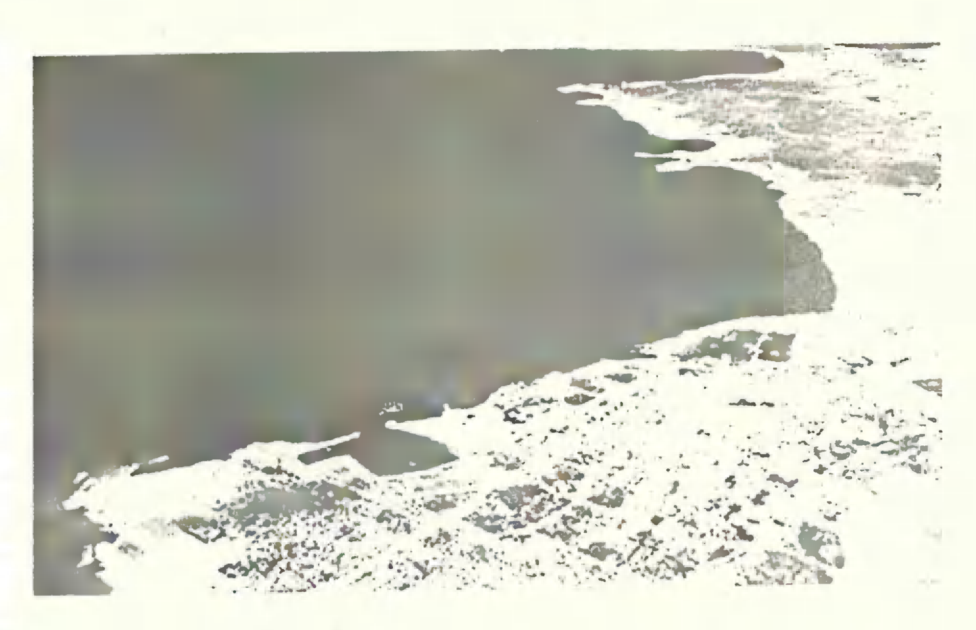


قنطرة بيت هارون. على يسار القنطرة من الجهة الجنوبية الشمالية منزل جميل لمنير هارون ذو فسحة سماوية وشجرة أرز باسقة الطول في حديقة المنزل. كان يصلح قبل هدمه أن يتحول إلى متحف تراثي شعبي أو مطعم مميزٍ. وكمعظم البيوت في اللاذقية والمدن الأخرى فان المظهر الخارجي للبيتِ لا يدل على فخامته من الداخل.



قنطرة بيت هارون من الجهة الشمالية – الجنوبية. هدمت هذه القنطرة عام ٢٠٠٠م لتسهيل مرور (السوزوكي) سيارات النقل الصغيرة (مخطط١٥) (رقم٢).

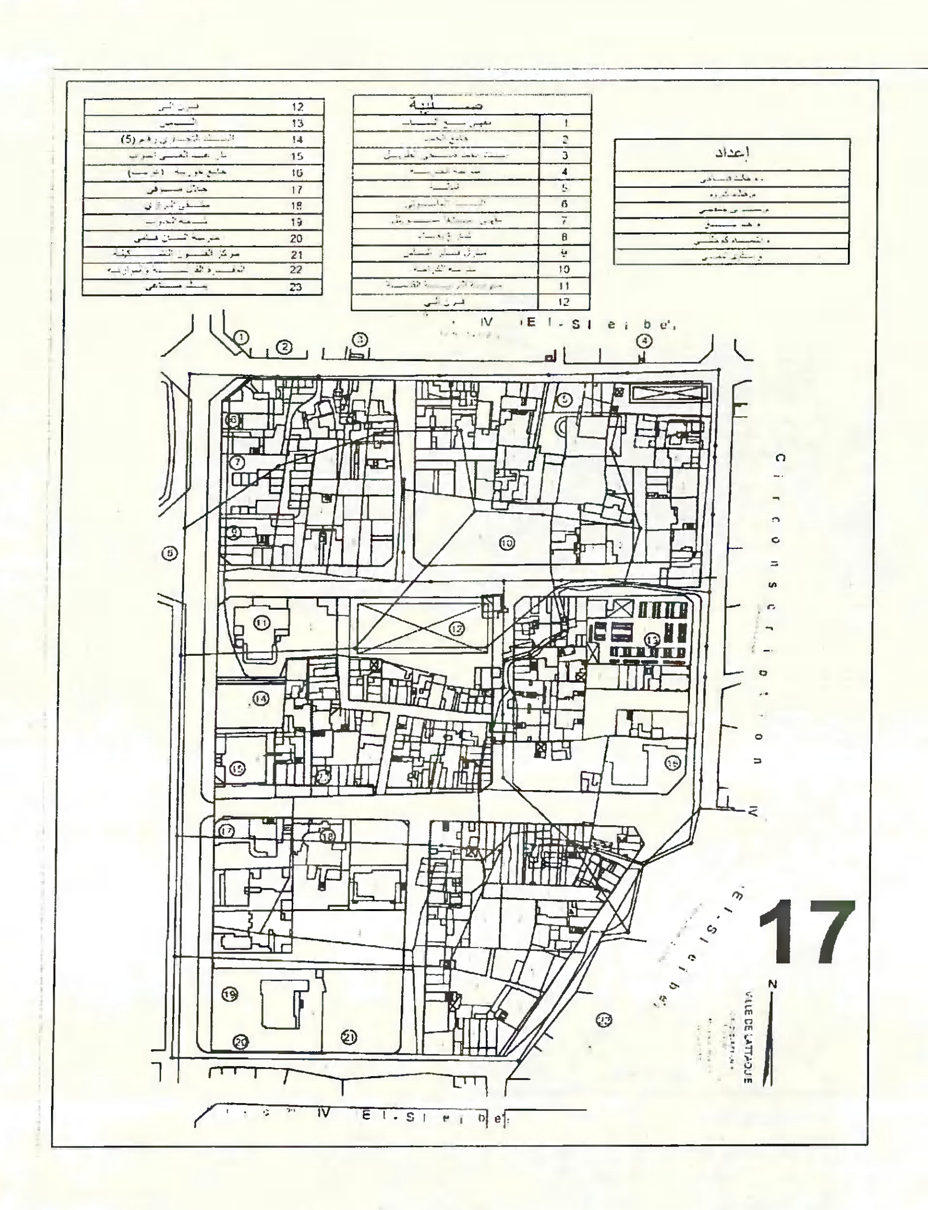

إعداد
16

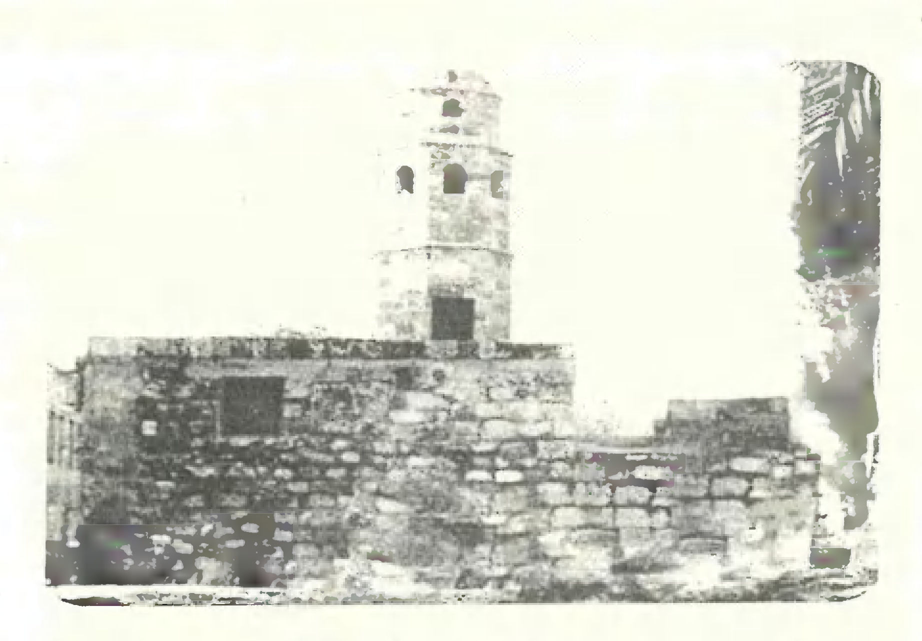


شاطئ اللاذقية. ويظهر الميناء الطبيعي للمدينة. وعلى الهضبة الصخرية الجنوبية للميناء كانت هناك ياريموتا (راميتا) فيما مضى.



سفن شراعية في الميناء.


صليبة
إعداد
Circonscription IV
El-Sleibe
17



زاوية الفتاحي يعود تاريخها لعام (١٢٩١م-٦٩٠هـ) كانت تقام فيها الصلوات و الأذكار والخلوات.



بنى جامع الفتاحي المجاور للزاوية الحاج عبد الوهاب فتاحي على نفقته الخاصة في الأرض التابعة للزاوية عام ١٩٨٥م.


Circonscription El-sleibe
Circonscription
Circonscription El-sleibe
إعداد
الطابيــــات
اسم العقــار
رقم العقــار
1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
N
18



قوس النصر عام ١٨٩٠م وتبدو أشجار النخيل المثمرة منتشرة بكثرة في اللاذقية.



قوس النصر عام ١٩٤٨م خلال فترة الترميم. يظهر مستوى الطريق المرصوف الفعلي الروماني لقوس النصر كما كان عند مدخله الجنوبي. وكذلك بعض الأفاريز الحجرية المنقوشة والمحطمة لأبنية مجاورة له في السابق، وقطع من الرخام والحجارة مبعثرة هنا وهناك. وكنا كأطفال نلتقط من هذا الركام قطعاً صغيرة من الرخام الناصع البياض لنصنع منها دحل (كلال)، وذلك بحفها بصبر وأناة بفوهة قوقعة بحرية لعدة ساعات حتى تأخذ شكلها الكروي الجذاب، وتصبح جاهزة للّعب بها ونحن في نشوة من السعادة الغامرة لإنجاز هذا العمل الكبير، إذ لم تكن هذه الدحل متوفرة في الأسواق بعد الحرب العالمية الثانية.

المراجع العربية

١ - آثار الحقب في لاذقية العرب - إلياس صالح - مخطوط.

٢ - أخبار القرامطة في الأحساء - الشام - العراق - اليمن. د. سهيل زكّار - دار الكوثر.

٣- الأوضاع الاجتماعية في لواء اللاذقية - سجلات المحكمة الشرعية باللاذقية - خضر عمران - جامعة تشرين ٢٠٠٧.

٤ - البداية والنهاية - أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هجري - مكتبة المعارف - بيروت.

٥- البحر المتوسط نشأته وتاريخ تطوره - فاروق الباز وميشيل حلبوتي - مجلة الفيصل العدد ١٤٨ عام ١٩٨٤.

٦ - البراكين قنابل موقوتة - نجلاء حسن حامد - مجلة الفيصل ٢٣٦ عام ١٩٩٦.

٧- التسونامي - د. موسى علي حسن الأدب العلمي العدد ٢٦.

٨- الحرف الشامية والتراث الشعبي الشفاهي - رمضان محمد خالد رمضان، وزارة الثقافة ٢٠٠٩.

٩ - الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل شهاب الدين) ٦٦٥ هجري - ١٢٦٧م. حققه أحمد البيسومي - وزارة الثقافة - دمشق ١٩٩٢.

١٠ - الزلازل حقيقتها وآثارها - شاهر جمال آغا - عالم المعرفة العدد ٢٠٠.

١١ - الساحل السوري وعلاقاته الحضارية خلال الألف الثاني ق. م - د. بسام جاموس، دار المرساة ٢٠١٥م.

١٢ - السلوك لمعرفة دول الملوك - المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) المتوفّى ٨٤٥ هـ - تحقيق محمد عبد القادر عطار - دار الكتب العلمية بيروت.

١٣ - الفتح القسّي في الفتح القدسي - عماد الدين الكاتب الأصفهاني (٦٠١ هـ) - مطبعة ليدن ١٨٨٨م.

١٤ - القول المستظرف في سفر مولانا الأشرف - ابن الجيعان (القاضي بدر الدين محمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغني (٨٤٧ - ٩٠٢ هـ) تحقيق عمر تدمري - جرّوس برس طرابلس - لبنان.

١٥- الكامل في التاريخ - ابن الأثير(علي بن محمد الشيباني الجزري أبو الحسن) المتوفّى سنة ٦٣٠ هجري- راجعه الدكتور محمد يوسف الدقاق - دار الكتب العلمية - بيروت.

١٦- المختصر في أخبار البشر تاريخ أبي الفداء - الملك المؤيد. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، المتوفى سنة٧٣٢هـ - دار الكتب العلمية - بيروت.

١٧ - الظاهر المدفون في بلد الزيتون - مشلح عبد الحميد ج ١.

١٨- اللاذقية أيام زمان - زهير غريب - دار المرساة للطباعة والنشر ١٩٩٩.

١٩- الموسوعة العربية الأجزاء ١-١٠-١١.

٢٠- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. تغري بردي جمال الدين يوسف جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ٨١٣ - ٨٧٤ هـ قدم له محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية.

٢١- إنباء الغمر بأبناء العمر - العسقلاني.

٢٢- أوغاريت التاريخ والآثار - جمال حسن حيدر.

٢٣- أوغاريت - صفية سعادة ١٩٨٢.

٢٤- بناء المدن السورية وتنظيمها في العصر الهلنستي والروماني - بشير زهدي - مجلة الحوليات الأثرية.

٢٥- تاريخ الأمم والملوك الطبري (محمد بن جرير الطبري) سنة (٣١٠ هـ- ٩٢٣م) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر.

٢٦- تاريخ ابن سباط - حمزة بن أحمد بن عمر المعروف بابن سباط الغربي المتوفي ٩٢٦ هـ تحقيق عمر عبد السلام تدمري - جرّوس برس طرابلس.

٢٧- تقويم البلدان أبو الفداء.

٢٨- تاريخ الموارنة - الأب بطرس ضوج ٢. بيروت.

٢٩-تاريخ سوريا الاقتصادي -الأمير علي الحسني - مطبعة بدائع الفنون -دمشق ١٩٢٣.

٣٠- تاريخ مختصر الدول - ابن العبري (غريغوريوس الملطي). المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٥٨م.

٣١- تاريخ حمص. منير الخوري عيسى أسعد – مطرانية حمص الأرثوذكسية ١٩٨٤.

٣٢- تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار – ابن بطوطة. تحقيق محمد عبد الرحيم – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت.

٣٣- تشريف الأيام والعصور – محيي الدين بن عبد الظاهر. حققه مراد كامل – وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

٣٤- حوادث حلب اليومية ١٧٧١ – ١٨٠٥م عبود الحلبي يوسف بن دمتري بن جرجس الخوري.

٣٥- ديوان عمر أبو ريشة – دار العودة – بيروت ١٩٧١م.

٣٦- ديوان المغنطيس في الغزل والنفيس – عبد الرحمن مصطفى المحمودي – مخطوط.

٣٧- رأس الشمرة – آثار أوغاريت – جبرائيل سعادة ١٩٥٤.

٣٨- زبدة الحلب في تاريخ حلب – للصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة – المعروف بابن العديم المتوفي سنة ٦٦٠ هـ. دار الكتاب العربي.

٣٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب الحنبلي (عبد الرحمن بن العماد).

٤٠- صناعة الصابون وكشف أسرار المنظفات – محمود مكي.

٤١- صور دمشقية – منير كيال. وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١١م.

٤٢- صناعة الجلود والثروة الحيوانية – أحمد دياب – وزراة الدفاع ١٩٦١م.

٤٣- عجائب الآثار في التراجم والأخبار – عبد الرحمن الجبرتي ١٢٢٥هـ – ١٨١١م – دار الجيل – بيروت.

٤٤- عجائب المقدور في أخبار تيمور – ابن عرب شاه (شهاب الدين الأنصاري).

٤٥- طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي – عبد العزيز سالم السيد مؤسسة شباب الجامعة المصرية.

٤٦- فتوح البلدان للإمام أبي الحسن البلاذري – تدقيق رضوان محمد رضوان – المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٥٠ هـ – ١٩٣٢م.

٤٧- مآثر شامية في الفنون والصناعات الدمشقية – منير كيال وزارة الثقافة ٢٠٠٧.

٤٨ - محافظة اللاذقية – جبرائيل سعادة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٦٠م.

٤٩ - مرآة الزمان في أخبار الأعيان - سبط ابن الجوزي (يوسف بن عبد الله).

٥٠ - معجم البلدان – شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي -٦٢٦ هـ دار الفكر بيروت.

٥١ - من هنا انطلقت الحضارة – حسين حجازي – دار الأماني ١٩٩٢م.

٥٢ - موسوعة التراث القروي – سامي ريحانه. دار نوبليس – بيروت ١٩٩٣م.

٥٣ - نزهة الأنام في محاسن الشام أبو البقاء (عبد الرحمن بن محمد الدمشقي)-٨٤٧ هـ -١٤٤٣ م.

٥٤ - نصوص من أوغاريت، علي أبو عساف ١٩٨٨.

المراجع المعربة

١-البحر المتوسط المجال والتاريخ – بروديل فرنان. ترجمة يوسف شلب الشام دار التوحيدي للنشر.

٢- أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة س. بريوشكين. ترجمة حسان ميخائيل إسحق – دار علاء الدين دمشق ٢٠١٠م.

٣-أنطاكية القديمة – دووني غلافيل. ترجمة محمد الحاج – دار الرأي دمشق ٢٠٠٧.

٤- الفردوس المفقود- لغز أطلنطس – ترجمة إسماعيل اليوسف دار الكتاب العربي ١٩٨٧.

٥- الفولاذ الدمشقي – أولي شيرلي وجفري وادسورت. بحث منشور في مجلة.

٦- ألكسياد –آنا كومنينا ١٠٨٣م –تاريخ الحروب الصليبية الموسوعة الشامية. د. سهيل زكّار.

٧- المجتمع السوري القديم – شيفمان. إش. ترجمة حسان ميخائيل إسحق دار الأبجدية – دمشق ١٩٨٧.

٨- تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار – وليم الصوري – تاريخ الحروب الصليبية – الموسوعة الشامية د. سهيل زكّار.

٩- رأس الشمرة – البعثة الفرنسية المنقّبة – ترجمة فهمي الدالاتي. المديرية العامة للآثار والمتاحف – ١٩٨٠.

١٠- رأس الشمرة والعهد القديم – جاكوب أدمون. ترجمة جورج كوسا.

١١- قصة الحضارة – ول ديورانت – ترجمة زكي نجيب مراد. ج ٦ دار الجيل بيروت.

١٢- مخطط افتراضي لمدينة اللاذقية – جان سوفاجيه.

١٣- مجتمع أوغاريت – شيفمان إش. ترجمة حسان ميخائيل اسحق دمشق ١٩٨٨ م.

المجلات والحوليات

١- مجلة الباحث – العدد ٤٢ – الخزف تقنياته ومراحل تطوره.

٢- مجلة تاريخ العرب والعالم. جزء ٢.

٣- مجلة الحوليات الأثرية مجلد ٤+٥ لعام ١٩٥٤ + ١٩٥٥ المديرية العامة للآثار والمتاحف – دمشق.

٤- مجلة الحوليات الأثرية مجلد ٦ لعام ١٩٥٦ ومجلد ٧ لعام ١٩٥٧.

٥- مجلة الفيصل العدد ١٤٨ لعام ١٩٨٤.

الصور واللوحات

فهرس

الصفحة

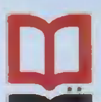
د. خالد فتّاحي

- مواليد مدينة اللاذقية عام ١٩٣٩م.
- ماجستير في الهندسة الميكانيكية - من معهد باومن في موسكو ١٩٦٥م.
- دكتوراه في هندسة الإنتاج - من معهد البوليتنيك في لينيغراد ١٩٧٢م.
- درَّس في جامعات: دمشق - صنعاء - تشرين.
- له مؤلفات علمية في الهندسة الميكانيكية.
- تولَّى عدة مناصب إدارية.

الطبعة الأولى /٢٠١٩



يتحدَّثُ هذا الكتابُ حديثاً مفصَّلاً عن أوابد اللاذقيَّة، ومنها قلعة اللاذقيَّة المندثرة، والأعمدة الرُّومانية فيها، وما ألمَّ بها مِنْ زلازل، ومراحل تزويدها بالمياه، وفي الكتاب نبذةٌ عن الصناعات اليدويّة والحِرَفيّة، ودور السّينما الّتي عرفتْها اللاذقيَّة، وفيه وَصْفٌ لأحيائها كما كانتْ في الماضي.





www.syrbook. gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٩م
سعر النسخة ١٥٠٠ ل.س أو ما يعادلها